الإسرا إلى المقام الأسرى

أو

كتاب المعراج

محيي الدين بن عربي

٥٦٠ - ٦٣٨ هـ

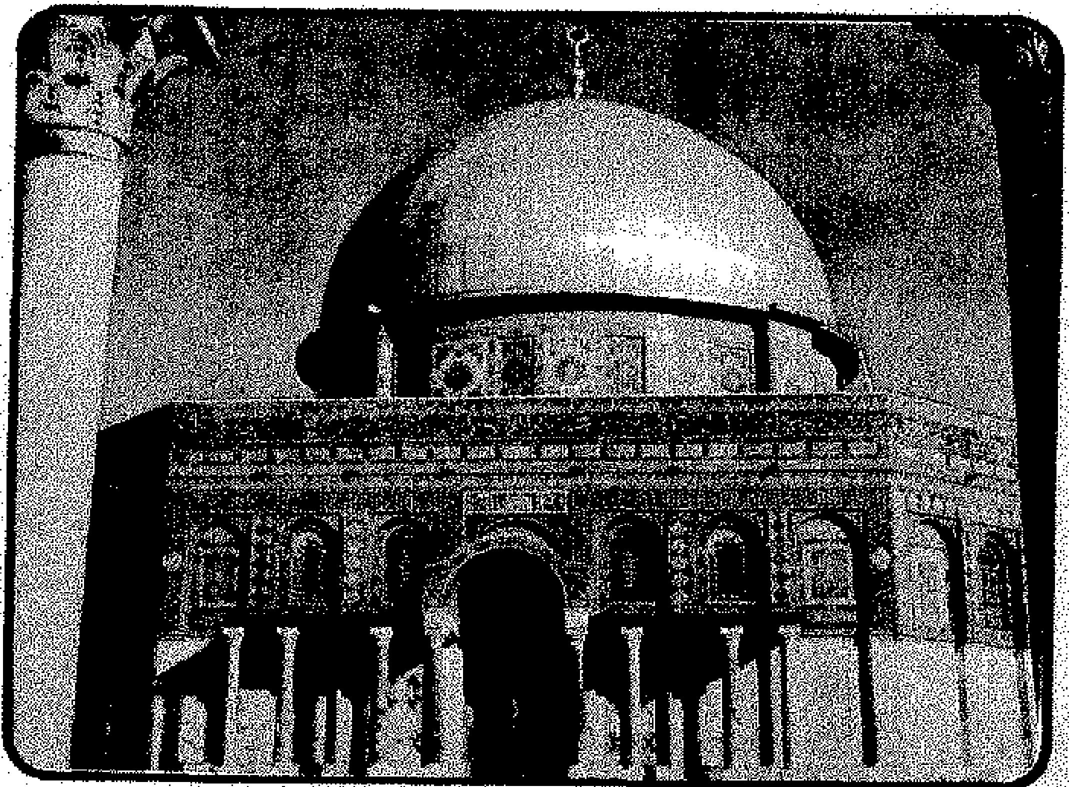

تحقيق وشرح

د. سعاد الحكيم

استاذة علم التصوف في الجامعة اللبنانية

دراسة عن المعراج النبوي والمعراج الصوفي

دندرة للطباعة والنشر

Bibliotheca Alexandrina
0004964

الإسرا إلى المقام الأسرى

* الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
* جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
* الناشر : دندرة للطباعة والنشر
منطقة الظريف - شارع الاستقلال - بناية سنو - ط ٢ - ص ب ٦٣٠١ / ١٤
- ت ٤١٥ ٣١٤.

* التوزيع : يطلب من دندرة للطباعة والنشر
ويطلب من المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد
ص. ب. ٦٣١١ / ١١٣ -
ت ٨٠٢٤٠٧ - ٨٠٢٤٢٨ - بيروت - لبنان

الإسرا إلى المقام الأسرى

أو

كتاب المعراج

محيي الدين بن عربي

٥٦٠ - ٦٣٨ هـ

تحقيق وشرح

د. سعاد الحكيم

استاذة علم التصوف في الجامعة اللبنانية

مع دراسة عن المعراج النبوي والمعراج الصوفي

دندرة للطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الدّندراويّ الثّالث، الأمير الفضل بن العبّاس..
خرجتُ عن أقطار ذاتي بحثاً عن أصل الوجود .. قلّبتُ
وجهي في آفاق المتاح .. طهّرتُ ألواحي من نقش
الأغيار .. واستكنتُ أترقّبُ بزوغ اليقين.
ارتفعتْ نجمُ هدايةٍ فلق لجج الظّلمات ..
تتبّعتُ داعيات طريقك، فأوصلتني إلى حضرةٍ
لا إحساس فيها ولا إدراك.

سُعاد

مُقَدِّمَةُ المُحَقِّقَة

مَع

دِرَاسَة عَنِ المِعرَاجِ النَّبَوِيِّ وَالمِعرَاجِ الصُّوفِي

To: www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

نظر هارون الرشيد ، الخليفة العربي العباسي ، إلى غيمة تَعْبُر فضاء السماء ، وقال لها جملته المشهورة : « أمطري أنّى شئتِ فإنّ خراجَك راجعٌ إليّ » . . خطابُ مطمئنٍ إلى امتدادِ ظلال سيادة المسلمين العرب على أرض الدنيا ؛ ولكنه ـ للأسف ـ كان الخطاب الأخير . فقد حمل الغد حرباً أهلية بين ولديه الأمين والمأمون ، وتحركت عصبيات وأعراق ، لتنافسَ العِرْقَ العربي على الكيان والقرار الإسلامي . وشهدنا فاتحة تمزُّقِ وحدة الأمة الإسلامية وبداية أفولِ نجمِ سيادةِ العرقِ العربي .

وتوالت الأحداث . . أعراقٌ وعصبياتٌ تتنافس في الداخل ، من فرسٍ وأتراك ، ومطامحُ على الأطراف تجتاح بالحروب صليبية من الغرب ومغولية تترية من الشرق ، والنتيجة معروفة : دويلاتٌ في الشرق ودويلاتٌ في الغرب .

وأَفَقْنا على أرضٍ تتناقصُ من أطرافها ، تتفسّخ وتتصدّع من وَسَطِها . . وحروبٍ صغيرةٍ وكبيرةٍ ، متوالية ومقتطعة ، نالت من الكيان العسكري والسياسي للدولة العربية . ولكن ، شاء الله ، أن لا يصلَ التصدّع الى الوجود والوجدان الديني للإنسان المسلم ، فظلت العلومُ الاسلاميةُ تنمو ، والشخصيات المبرّزة تلمع ، لا يخلخلها قلق المصير ؛ كما ظلّ وجدان الإنسان المسلم متفتحاً متفائلاً ، لا يثقله ـ كما اليوم ـ عبءُ تاريخٍ من الإنهيار والتدهور . وعلى الرغم من تمزُّقِ السلطات ، فقد كانت الشعوب الاسلامية ، تنعم بوحدة حقيقية وتواصل جَسّدته أسفارُ العلماء بين شرقٍ وغرب ، ونزولهم في أي بلد إسلامي دون غربة حضارية

أو ثقافية أو حياتية معيشية . . لقد كانت بلاداً إسلامية في البنية والكيان على اختلاف أنواع حكوماتها .

وجاء زمن محيي الدين بن العربي (٥٦٠ هـ ـ ٦٣٨ هـ) على هدأةٍ من حمّى الأحداث ، في ظل انفراج عهد الأيوبيين والسلاجقة . . ابن عربي كاتب صوفي رُؤيوي ، إنتمى ببدنه الى دنيا الأحداث والوقائع ، فتعلّم وخدمَ العلماء ، وساح في الشرق والغرب ، وخاطبَ الناس على قدْر العقول ؛ وانتمى بروحه الى عالمِ السيادةُ فيه لمحمد ﷺ ، لا يشاركه فيها مخلوق ، مهما علت رتبته في مقامات الولاية .

وجاءت كتب ابن عربي جميعاً ناطقة بهذه السيادة ، وبتفرُّدِ النبي ﷺ في عالم الكمال ؛ وكتاب « الإسرا » الذي ننشره هنا يُبيِّن بكل الأسانيد المتوفرة للكاتب المسلم ، من عقلية وشرعية ، قرآنية وحديثية ، استدلالية وذوقية ، سيادةَ النبي ﷺ على قمة البناء الروحي للعالم ، وأنّه فردٌ وأعظم حرمة في الاسلام .

من هنا سر اهتمامي الشخصي بإبن عربي ، ذلك انني أنتسب إلى جمع اسلامي ، أسسه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر المصلح الإسلامي الكبير والإمام الصوفي المجدد السيد محمد الدندراوي ، الذي يلتقي مع الصوفية عامة وابن عربي خاصة في نظرتهم إلى الشخصية المحمدية وكمالها ، إلا أنه يفترق عنهم في قراءته لهذا الكمال ؛ فالكمال المحمدي عند الإمام الدندراوي لا يظل حبيسَ نظرةٍ روحيةٍ صوفية ، بل هو كمال إسلامي شامل ، ترجمته أعمال النبي ﷺ في بناء الفرد والمجتمع والأمة ، كمالٌ علينا أن نقرأه اليوم على مستوى الوجود الديني والإجتماعي والأممي للإنسان المسلم .

I

التعريف بمؤلف « الإسرا » : محيْ الدّين بن عَربي

يقول ابن عربي في الفتوحات جـ ١ ص ٢٨٩ : « مرضت ، فغشي عليَّ في مرضي ، بحيث أني كنت معدوداً من الموتى . فرأيت قوماً كريهي المنظر يريدون إذايتي . ورأيت شخصاً جميلاً طيب الرائحة شديداً يدافع عني حتى قهرهم . فقلت له : من أنت؟ فقال : أنا سورة « يس » أدافع عنك . فأفقت من غشيتي

تلك فإذا بأبي رحمهُ الله عند رأسي يبكي وهو يقرأ سورة « يس » . . وهكذا منذ بداية حياته الروحية ، يتجلى ابن عربي مُراداً للإلهامات ، مُكاشَفاً في رؤاه ومناماته ؛ وباختصار يمكننا أن نعرّفه بقولنا : إنّه يَشْهَدُ بالرمز عالم الواقع .

ويقول ابن عربي عن والده في الفتوحات جـ ١ ص ٢٨٩ : « وكان قبل أنْ يموت [أي والد ابن عربي] بخمسة عشر يوماً أخبرني بموته ، وانه يموت يوم الأربعاء ؛ وكذلك كان . فلما كان يوم موته وكان مريضاً شديد المرض ، استوى قاعداً غير مستند ، وقال لي : يا ولدي ! اليوم يكون الرحيل واللقاء . فقلت له : كتب الله سلامتك في سفرك هذا ، وبارك لك في لقائك » .

ذريةٌ بعضها من بعض . . هكذا تعيش مُرادةً للقُرْب ، وهكذا تموت راضيةً بالرحيل ، مطمئنةً للسلامة ، مشتاقةً للقاء .

٤ ـ تكوين ابن عربي العلمي وأسفاره :

كان والد محيي الدين ، واسمه علي بن محمد ، عربيَّ النسب من سلالة حاتم الطائي ، أندلسيَّ المولد والنشأة ؛ وكان من أئمة الحديث والفقه والزهد والعبادة ، وصديقاً لابن رشد الفيلسوف القرطبي ؛

ولم يكن هذا الأب متمرّساً بالمنازلات الصوفية وأحوال القوم ومقاماتهم ، فلم يهتم بحياة الباطن الصوفية ، بل أفرد أعماقه للزهد والتعبُّد ، فظل في دائرة العبّاد والزهاد ؛ وحيث انه كان عالماً بالحديث والفقه ، فهو إذن عالم عابد زاهد . . وأراد لابنه أن يمشي مثله تماماً في رِكاب العلماءِ العبّاد الزهاد ، فاعتنى بتعليمه وتكوينه العلمي ، وكفل له تربيةً دينية كاملة ، فحظي ابن عربي بنشأة علمية فقهية حديثية أدبية .

انتقل ابن عربي مع أبيه من مسقط رأسه مرسية الى اشبيلية ، وله من العمر ثماني سنوات ، وفيها نشأ وتعلم ؛ قرأ القرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي على يد أبي بكر بن خلف ، كبير فقهاء اشبيلية ، وبرّز في القراءات ، وحين أتمّها أسلمه والده إلى جلّةٍ من رجال الحديث والفقه ، فسمع في وقت مبكر من ابن زرقون والحافظ ابن الجد ، وأبي الوليد الحضرمي والشيخ أبي الحسن بن نصر[١]

(١) را : « محي الدين بن عربي » ، طه عبد الباقي سرور ، ص ١٥

كل هذه العلوم الاسلامية حصّلها ابن عربي ، وهو لم يتجاوز العشرين من العمر ، وهو الزمن الذي نلمس فيه توجهه الى الخلوة والتصوّف وأحوال القوم . وكانت بدايته خلوةً واحدة ، خرج منها يتحدث بكل هذه العلوم - بحسب أقواله - والأرجح أن ذلك كان عام ٥٨٠ هـ - ١١٨٤م . لم يأت تصوف ابن عربي ثورةً على علومه السابقة ، بل جاء مرحلةً متقدمة تتوّجُ مسلكَهُ الفقهي وحياتَه العقلية ؛ وهنا يختلف عن الغزالي الذي كان التصوف منقذه من الضلال .

ويمكن تقسيم حياة ابن عربي الى مراحل أربعة : التكوين العلمي والعملي في الأندلس - السياحة في المغرب الاسلامي - السياحة في المشرق الاسلامي وإقامته في مكة - وأخيراً استقراره في دمشق .

■ **التكوين العلمي والعملي في الأندلس** : سلك ابن عربي ، في التحصيل الصوفي ، نفس المنهج الذي يتّبعه علماء الحديث والفقهاء ، فنراه لا يأخذ علماً إلا عن صاحبه ولا حالاً إلا من أهله . لذلك تعددت أساتذة ابن عربي من رجال ونساء حفظت لنا كتبه كالفتوحات ورسالة القدس أسماءهم .

تعلم ابن عربي معنى العبودية على يد شيخه ابو العباس العريني[٢] ؛ وتعلم من موسى بن عمران الميرتلي كيف يتلقى الإلهامات الإلهية[٣] ؛ وتعلم على أبي الحجاج يوسف الشُبْرُبْلي وكان ممن يمشي على الماء وتعاشره الأرواح[٤] ؛ وتعلم محاسبة النفس على الأفعال والأقوال عن رجلين من « أقطاب الرجال النياتيين » هما : أبو عبد الله بن مجاهد وأبو عبد الله بن قيسوم[٥] . وتعلم الصبر على اضطهاد العامة عن أبي يحيى الصنهاجي الضرير[٦] ؛ وعلمه أبو عبد الله أشرف الخلوة في الظلام مع تجنّب كل داعٍ إلى تشتيت الخواطر[٧] ؛ وتعلم من صالح البربري السياحة والتجوال ؛ وخدم سنتين متواصلتين صوفيةً مُسِنّة هي فاطمة

---

(٢) الفتوحات ج ١ ص ٢٤١ ، ٣١٨ ، ٧٢٢ . ج ٢ ص ١١٤ ، ٢٣٤ ، ٢٦٦ ، ج ٣ ص ٤٤٢ ، ٦٩٦ ، ٧٠٥ . كما يراجع « ابن عربي » لآسين بلاسيوس ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٢١ .

(٣) را. الفتوحات المكية حيث يذكر ابن عربي موسى بن عمران ، ج ٢ ص ٨ ، ج ٢ ص ١٠٧ . كما يراجع بلاسيوس ص ١٤ .

(٤) الفتوحات ج ٢ ص ٢٦٨ ؛ بلاسيوس ص ١٥ .

(٥) الفتوحات ج ١ ص ٢٧٥ . بلاسيوس ص ١٦ .

(٦) بلاسيوس ص ٢٥ .

(٧) بلاسيوس ص ٢٥ .

بنت أبي المثنى وكان لها حال مع الله ـ بحسب تعبير ابن عربي ـ وكان الله عزّ وجلّ قد أعطاها فاتحةِ الكتاب تخدمها[٨] ؛ وتمرس بالتوكّل على يد عبد الله الموروري[٩] .

وهكذا كانت حياة ابن عربي في الأندلس ، مرحلةَ تكوين علميّ وعمليّ ؛ علميَ بخدمة رجال هذا الطريق للإكتساب ، لأن الخدمة أقرب طريق للمماثلة الصفاتية ، وعمليّ بالخلوة واعتزال الناس ومنازلة الأحوال المقرِّبة لله .

■ **السياحة في المغرب الإسلامي** : بدأ ابن عربي السياحة في بلاد افريقيا ، خارج حدود الأندلس ، وله من العمر حوالي الثلاثين سنة ، وعلى الرغم من أن شهرته الصوفية كانت تسبقه ، إلا أن نيّته من السفر انحصرت بلقاء رجال عصره ، رغبةً في استكمال جوانب التعليم . . فلا نهاية للعلم ، لأن فوق كل ذي علم عليم .

وتميزت هذه المرحلة بكثرة السياحة . . فاس ، بجاية ، تونس ثم العودة الى اشبيلية ومرسية والسفر ثانية وهكذا . وابن عربي في كل هذه التنقلات مشغولُ الروحِ بالمبشّرات والرؤى ، مشغولُ اليدِ بالتدوين وكتابة الكتب[١٠] .

■ **السياحة في المشرق الاسلامي ٥٩٧ هـ ـ ٦٢٠ هـ** : في عام ٥٩٧ هـ ، وقد بلغ ابن عربي السابعة والثلاثين من العمر بدأت مرحلة هامة في حياته ، إذ أنه سيرتحل نهائياً باتجاه المشرق الإسلامي إثر رؤية رآها[١١] .

وبعد مروره بتونس والقاهرة والإسكندرية ، نجد له إقامات متقطعة في بغداد وقونية ، وإقامات شبه متواصلة في مكة المكرمة حيث عكف على تأليف موسوعته الصوفية « الفتوحات المكية » .

وتمتاز هذه المرحلة من حياته بالخصوبة من كل نواحيها ، لقاءات مع شخصيات صوفية بارزة فقد التقى شهاب الدين السهروردي في بغداد عام ٦٠٨ هـ . . حفاوة وتكريم من ملوك وسلاطين زمانه فهاهو كيكاوس الأول يخرج

---

(٨) الفتوحات ج ٢ ص ٤٥٩ ؛ بلاسيوس ص ٢٧ .

(٩) الفتوحات ج ٤ ص ٩٥ ، رسالة القدس ١٤ ، بلاسيوس ٣٠ .

(١٠) را. كتاب عثمان يحيى القيّم عن مؤلفات ابن عربي في جزءين باللغة الفرنسية . Histoire et classification de l'œuvre d'Ibn Arabi. Institut Français de Damas. Damas 1964.

(١١) الفتوحات ج ٣ ص ٥٧٣ ، بلاسيوس ٥٣ .

بنفسه لاستقباله . . وكلمته هي المسموعة عند الملك الظاهر صاحب مدينة حلب ابن صلاح الدين الأيوبي .

■ **استقراره في دمشق (٦٢٠ هـ ـ ٦٣٨ هـ)** : عندما بلغ ابن عربي الستين من العمر ، كانت شهرته قد عمّت العالم الاسلامي ، وتنافس الملوك على استقطابه ، وتزاحمَ العامة على بابه ، ولكنَّ حالته الصحية الزمته ان يستقر ، فلم يجد أطيب من دمشق وأعدل مناخاً ؛ يقول : « ان قدرت ان تسكن الشام فافعل ، فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال عليكم بالشام ، فإنه خيرة الله في أرضه وإليها يجتبي خيرته من عباده »(١٢) .

ونَعِمَ ابن عربي في دمشق بأنواع من التكريم . . نزل في ضيافة القاضي محيي الدين ابن الزكي الذي اشتهر بصحبته لصلاح الدين الأيوبي ؛ وخدمه شمس الدين أحمد الخوَلي ، قاضي قضاة المالكية ؛ وكان الملك الاشرف ابن الملك العادل يحضر دروسه ، كما تلقى عنه الإجازة لرواية جميع كتبه عام ٦٣٢ هـ .

وهكذا . . عاش ابن عربي حياةً وشّاها التكريم ، ورحل عن الدنيا عام ٦٣٨ هـ تشيّعه أنواع الحفاوات .

2 ـ إبن عربي : عالِمٌ مُلهم وكاتبٌ مُلهَم :

منذ أن خرج ابن عربي من خلوته الأولى عام ٥٨٠ هـ وله من العمر عشرون عاماً ، وهو مطلوبٌ لأنواع المكاشفات والإلهامات والفتوحات والرؤى المنامية .

وكان ذلك في حياة والده الذي لم يكن ينكر عليه حاله ، وإنما لا يستطيع له تفسيراً ؛ وها هو صديق والده الفيلسوف الشهير ابن رشد ، يطلب من الوالد رؤية الولد ، فيرسله اليه عمداً في حاجة ملفّقة . . ويروي ابن عربي الحدث قائلاً(١٣) : « فلما دخلت عليه قام من مكانه إليّ محبةً واعظاماً ، فعانقني وقال لي : نعم ؟ فقلت له : نعم . فزاد فرحه بي لفهمي عنه ، ثم اني استشعرت بما أفرحه من ذلك فقلت له : لا . فانقبض وتغيّر لونه وشكّ فيما عنده وقال : كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهي ، هل هو ما أعطاه لنا النظر ؟ قلت له :

---

(١٢) الفتوحات ج ٤ ص ٤٦٩ ، بلاسيوس ٨٥ . (١٣) الفتوحات ج ١ ص ٨ ، بلاسيوس ٥٤ .

نعم ولا ، وبين نعم ولا تطير الأرواح من موادّها ، والأعناق من أجسادها » .
وعلق ابن رشد ـ بحسب رواية ابن عربي ـ على معاينته لحال العلم الكشفي الذي وجده عند ابن عربي بقوله : « هذه حالة أثبتناها وما رأينا لها أرباباً ، فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه واحدٌ من أربابها الفاتحين مغاليق أبوابها ، والحمد لله الذي خصّني برؤيته » .

وهذا يدلنا على المكانة التي ينازلها ابن عربي ؛ فمنذ بدايته أعجز فيلسوف قرطبة وألجأه الى الإعتراف الموضوعي بحالته الخاصة ، التي تمثل التكريس لولادة تيار جديد في الفكر الصوفي وهو تيار علم المكاشفة ، هذا العلم الذي سينافس الفكر النظري الفلسفي في الاسلام ، لأنه يضع منهاجاً صوفياً ورؤية ما ورائية متكاملة لله والإنسان والكون .

■ كانت البداية مع المبشرات ، وهي منامات كانت تدل ابن عربي بالرمز على المكانة التي تنتظره في عالم العرفان والتسطير ، عالم اللوح والقلم ، فيتثبت فؤاده حين يوافق « المنام الإلهام » . وأوضحها بلا شك تلك الرؤية التي رآها في بجاية عام ٥٩٧ هـ في رمضان ، إذ رأى أنه عقد زواجه في المنام على نجوم السماء كلها فما بقي منها نجم ، ثم أُعطيَ حروفَ الهجاء فتزوجها جميعها . ويكمل ابن عربي قائلاً(١٤) : « وعرضت رؤياي هذه على مَنْ عرضها على رجل عارف بالرؤيا بعيد بها . . فلما ذكر له الرؤيا استعظمها وقال : صاحب هذه الرؤيا يُفتح له من العلوم العلوية وعلوم الأسرار وخواص الكواكب ما لا يكون فيه أحد من أهل زمانه » .

ونحن نرى أن هذه الرؤية تُعرِّفنا على الوجهين اللذين اتخذهما الابداع والإلهام في عبقرية حكيم مرسية . فإن هذا العارف بالرؤيا الذي فسرها بالفتح في العلوم العلوية والأسرار ، قد اقتصر على تفسير الجزء الأول منها وأسقط الإشارة الواردة في حروف الهجاء ؛ وهذه الإشارة ، في رأيي ، هامة جداً لأنها تعرّفنا على خصوصية إلهام ابن عربي ، وتقول رمزاً بامتلاك ابن عربي وسائل التعبير اللغوية ؛ فهو ليس ملهم الفكرة فقط ، بل ملهم الكلمة والحرف أيضاً ؛ وهذا ما سيتّضح لنا في النقطتين التاليتين اللتين تبينان شِقّيْ الإلهام عند ابن عربي .

---

(١٤) الفتوحات ج ١ ص ١٩٩ ، بلاسيوس ١٢ ، ١٣ .

■ عالمٌ مُلْهم : تنوّعت أحوال رجال الصوفية قبل ابن عربي ، فتنوعت بالتالي كتاباتهم وعلومهم وأقوالهم ، وكان على الطالب للتصوف، المهتمّ ببلوغ الغاية العلمية منه ، أن يقرأ للجميع ويؤلف من شتاتهم صورةً واحدةَ النسق . . فهذا الجنيد ، شيخ الطائفة ، يتلخص نشاطه الصوفي بالتوحيد ؛ فهو موحِّدٌ سَحَقَه التوحيد، ومَحَقَه ، وأفناه عن كل علم سواه . . وهذا الحلّاج هامَ عاشقاً فرددت أشعارُه ونصوصُه أنينَ أعماقه الملتهبة شوقاً ووجوداً وفقداً . . وهذا النفّري يقف ولا يُبارح ، ينظر إلى السوى ولا يرى ، خوفَ أن يحرمه الالتفات جماع كليته لاستماع الخطاب الإلهي ، فتسقط العوالم عنده في العدم ، ولا يبقى إلا مخاطِب ومخاطَب وخطاب . . ولو أردنا أن نعدد جميع مَنْ تقدم ابن عربي في طريق الرجال ، لما اتسع لنا المقال ؛ وخلافاً للجميع نرى ابن عربي وقد خرج عن قيد الحال الواحد ، الذي يرفد جملة النشاط الصوفي في مسلك واحد ، ويحصر بالتالي النص الصوفي في الفردية والذاتية ، إلى فضاءِ العلوم .

نعم ، لقد خرج ابن عربي عن ذاتية الأحوال الى موضوعية العلوم ، ولكن خروجه هذا كان صوفياً أصيلاً ، لأننا إذا دققنا بمصادر علومه الصوفية ، نجدها في الفتوحات والمشاهدات والإلهامات والرؤى المنامية . باختصار ان علم ابن عربي هو علم إلهامي لدنيّ ، وليس هذا بمستغرب على إنسان تلقى « الخرقة » الصوفية من الخضر عليه السلام ثلاث مرات(١٥) ؛ وتلقّي الخرقة عملٌ رمزي يدل على الأخذ والمتابعة في الحال والمسلك . وكما أن الخضر عليه السلام ، علّمه الله من لدنه علماً ، كذلك سيكون الشيخ الأكبر ممن اختارهم الله عزّ وجل للعلم اللدني ، أي العلم الإلهامي بكل أشكاله .

وتصبح الرؤى المنامية عند ابن عربي أبواباً مفتوحة على عالم الأسرار والمعارف اللدنية ، وليس ذلك ببعيد عقلاً ولا شرعاً(١٦) على رجال استقاموا في

---

(١٥) يروي ابن عربي أنه تلقى الخرقة من الخضر ثلاث مرات را : الفتوحات ١ / ٢٤٤ ؛ بلاسيوس ٦٢ - ٦٣ .

(١٦) يتشبث الامام الغزالي بالرؤيا كبرهان ودليل على أن هناك آلة للمعرفة غير الحس والعقل ، ويرد ذلك في كثير من كتبه . . . يقول في المنقذ « ووراء العقل طور آخر تتفتح فيه عين أخرى ، يبصر بها الغيب ، العقل معزول عنها ، كعزل قوة الحس عن مدركات التمييز . . . وقد قرّب الله تعالى ذلك إلى خلقه بأن أعطاهم انموذجاً من خاصية النبوة وهو النوم » (المنقذ من الضلال . ص ١٣٢ . نشر عبد الحليم محمود . دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٣٨٥ هـ) .

يقظتهم وطهّروا أعماقهم ، فأكرمهم الله عزّ وجلّ بأن تتنفّس أرواحهم في منامهم من حبس الدنيا والبدن ، وتحلّق في آفاق السماء والأرض وتشاهد عوالم ملك وملكوت ، ثم ترجع مطمئنة لتدخل أبدانهم الطاهرة . . وكلما تَصَفَّت الأعماق رقّت الرؤى وراقت ، وهذا الكتاب الذي ننشره اليوم ، والذي يجد مصدره في منام لابن عربي هو الشاهد على المستوى الرفيع الذي تصل اليه الرؤية المنامية للمسلم المؤمن الطاهر البدن المطهّر الأعماق ، المطلوب للمعرفة والعرفان .

وهكذا خرج ابن عربي عن قيد الحال الواحد ، لينطلق في عوالم العلوم اللدنية الإلهامية ، وهو في انطلاقته هذه لم يفارق ميزان العقل الشرعي ، متبعاً في ذلك سنّة الصوفيين في علومهم ، والتي تلخصها مقولة : « كلما نكت في قلبي من نكت القوم لا أقبل منه إلا بشاهدين عَدْلَيْن : الكتاب والسنة » .

وها هو ابن عربي ، بحكم نشأته الفقهية الحديثية ، يُشْهِدُ على علمه الإلهامي شاهدين عَدْلَيْن هما : القرآن والحديث ، فلا نكاد نجد معنى في كتابه الذي ننشره هنا ، إلا وهو يتضمن إشارة قرآنية أو نبوية .

■ كاتبٌ ملهمٌ : لقد تعودنا أن يهتمّ الشاعر برصف الحروف وسحر البيان ، ويهتمّ العالم والعارف برصف المعاني والتكهّن ببنية الأكوان ، ولكن الصوفيين وحدهم عوّدونا الجمع بين علو المعنى وعمقه ، وبين رقة الكلمة وحلاوتها ، فاشتهر لذلك النثر الصوفي عبر التاريخ بقيمة فكرية وأدبية تكرّست لدراستها عشرات الأبحاث .

فالإنسان الصوفي بتفتّح بصيرته ورقي وجدانه ، لا يرضيه ولا يعبّر عنه إلا نصّ مُثْقلٌ بثمار المعرفة ، مُشْتَهى في السمع والبصر . . وها هو ابن عربي سليل قوم وحّدوا بين المبنى والمعنى ، وجاهدوا لبلوغ الغاية في الموضوع والكلمة .

---

* ● وها هم أتباع الافلاطونية المحدثة من فلاسفة المسلمين ، كالفارابي مثلاً الذي يرى أن غاية المعرفة هي الاتصال بالعقل الفعال ، ويفسح فلسفياً مجالاً للمنام كأحد طرق المعرفة . وابن سينا على الرغم من أنه من كبار أتباع الفلسفة الارسطية إلا أنه ينزع إلى تلطيفها بالافلاطونية المحدثة ، وتقوم المعرفة عنده على اتصال النفس بالعالم العقلي .

ر١. « نظرية المعرفة الاشراقية وأثرها في النظرة إلى النبوة » إبراهيم ابراهيم هلال . دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٧ .

منذ البداية اهتم ابن عربي بالشكل الأدبي للنص ، ونظم الحروف نثراً وشعراً . . قرأ دواوين الأدب واللغة(١٧) ، حتى انه تولى كتابة الانشاء في ديوان اشبيلية ، وما كانت هذه الوظيفة لينالها إلا صاحب قلم رفيع المستوى .

وكانت بداياته في التأليف ، إذ كان يُلْهَمُ الفكرة ، فيجرد الطاقة للتعبير عنها ، وهذا ما نجده في مقدمات كتبه الأولى ، كمواقع النجوم ، ورسالة الأسفار ، وحتى الكتاب الذي ننشره هنا ، فهو يقع ضمن الفترة التي كان ابن عربي فيها يؤلف في الحروف ما يُلهم من مواضيع .

ولكن بعد عام ٥٩٧ هـ ، وبعد الرؤيا التي رأى فيها أنه تزوج من حروف الهجاء ، توالت مؤلفاته حاملة نَفَساً جديداً من حيث المبنى . وتوالت إشاراته في مقدمة الكتب ، كالفتوحات مثلاً ، الذي بدأه في مكة عام ٥٩٨ هـ ، الى نمط جديد من الإلهام ، وهو الإلهام في بناء الكتاب وليس فقط في موضوعه(١٨) .

ولنا في مقدمة كتابه الأخير «فصوص الحكم» النص الأكيد الواضح على الغاية التي بلغها الإلهام عند ابن عربي ، وتكرّس لدينا أن ابن عربي ، إلى جانب كونه مُلْهَم المضمون ، فهو مُلْهَم الكلمة أيضاً ؛ يقول في المقدمة ص ٤ : « رأيتُ رسولَ الله ﷺ في مبشرة أديتها في العشر الأخير من المحرم سنة سبع وعشرين وستماية بمحروسة دمشق وبيده ﷺ كتاب ، فقال لي : هذا كتاب «فصوص الحكم» خذه واخرج به الى الناس ينتفعون به ؛ فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا ، كما أُمرنا . واخلَصْتُ النية ، وجرَّدتُ القصد والهمة الى إبراز هذا الكتاب كما حدّه لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان وسألت الله أن . . يخصني في جميع ما يرقمه بناني وينطق به لساني . . بالإلقاء السبوحي والنَفث الروحي . . حتى أكون مترجماً لا متحكماً . . فما أُلقي إلا ما يُلقى إليّ ، ولا أُنزل في هذه السطور إلا ما ينزل به عليّ . ولست بنبي ولا رسول ، ولكني وارث ولآخرتي حارث » .

هذا هو ابن عربي ، ملهم الكلمة ، يترجم بالحروف ما يُلقى اليه من المعاني

---

(١٧) انظر مقدمة كتابه « محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار » حيث يعدد المؤلفات الادبية العالية التي قرأها ، واستقى منها .

(١٨) راجع مقدمة الفتوحات ج ١ ص ١٢ ، وج ٤ ص ٩٣ حيث يقول « بنيت كتابي هذا [أي الفتوحات] بل بناه الله لا أنا على إفادة الخلق ، فكله فتح من الله تعالى . وسلكت فيه طريق الاختصار » .

دون زيادة ولا نقصان . . إلهامٌ علمي لا يُقارب اعتاب الوحي النبوي ؛لأن الوحي النبوي هو وحي تشريعي ، وإلهام الأولياء والعارفين ليس إلا فتوح فهم في الوحي النبوي ، وقراءة وعي وحضور للشريعة النبوية .

II

رُموز المِعراج النّبَوي

يرى ابن عربي أن المعراج الصوفي أو معراج الولي هو خصوصية للتابع المحمدي ، فليس لغير الأولياء المحمديين أن تعرج أرواحهم في منامهم إلى السموات أو إلى جنة أو نار . . وهو في الوقت نفسه معراج تقليد ؛ فكيف لنا أن نعرف ترتيب وجود الأنبياء عليهم السلام في السموات أو غير ذلك من علوم المعراج لولا أن يعرِّفنا ذلك رسول الله ﷺ في معراجه . . فمعراج الولي ـ كرواية الكتاب الذي ننشره هنا ـ هو رؤية منامية تجد أصولها وجذورها في الرواية النبوية للمعراج ، ولذلك يتوجب علينا أن نبدأ بدراسة رموز ومعاني المعراج النبوي لأنه الأصل والمثال .

توفي أبو طالب عم النبي ﷺ ومناصره . وبعد أيام توفيت السيدة خديجة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، وخيرُ سندٍ له في الدعوة . . إنه حقاً عام الحزن .

إشتد أذى قريش وجهرت بنواياها في قتل النبي ﷺ فخرج إلى الطائف ينشد نصيرا ، ولكنه عاد أكثر حزناً ، يشكو الى الله عز وجل ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس . . وجاء حدث الاسراء والمعراج ليقول للنبي ﷺ بالحس والمحسوس : أنت كريمٌ مكرمٌ عند خيرة أهل الأرض من الناس ، وهم الأنبياء . . أنت كريمٌ مكرمٌ عند الملأ الأعلى ، وهم الملائكة أهل السماء . . أنت كريمٌ مكرمٌ عند رب العزة ، أدناك وقرّبك ، ورفعك فوق كل نبي وملك(١٩) .

---

(١٩) اختلف في تاريخ الاسراء والمعراج فقيل كان قبل البعثة وهو شاذ ، وقيل قبل الهجرة بسنة وهو الأرجح قاله ابن مسعود وجزم به النووي وبالغ ابن حزم فنقل فيه الاجماع . وقيل قبلها بثمانية أشهر حكاه ابن الجوزي ، وقيل بثمانية عشر حكاه ابن عبد الله ، وقيل بثلاث سنين وقال الزهري بخمس حكاه عنه القاضي عياض . . . والمشهور الذي سار عليه جمهور المسلمين انه في ليلة ٢٧ رجب قبل الهجرة بسنة .

باختصار ان المعراج النبوي هو رحلة تقصّ علينا بالرمز انباء مقام محمد ﷺ ، وتقدمه في البناء الروحي للكون على كل نبي مرسل وكل ملك مقرب .

هذه الرحلة النبوية تواترت فيها الروايات وتعددت ، ونستطيع من الوقوف على مجموع هذه الأحاديث ـ جرياً على منهج ابن كثير ـ ان نحصّل الحق ، وهو مضمون ما اتفقت عليه[٢٠] . . ولنتوقف قليلاً عند معانٍ حملتها الكلمات سنين وسنين ولم تطرحها الا بين أيدي ثقات مؤمنين .

1 ـ **التحضير البدني** : سبق الإسراء والمعراج تحضير بدني مخصوص ، ففي المسجد الحرام قبيل الإسراء ، شُقَّ صدر النبي ﷺ ، وغُسل قلبه وملء حكمة وإيماناً ، وكانت هذه هي المرة الثالثة التي يثبت فيها شق الصدر ؛ الأولى ، كما عند مسلم من حديث أنس ، حين أخرج منه علقه وقيل : هذا حظ الشيطان ، وذلك حتى ينشأ ﷺ معصوماً من الشيطان ؛ والثانية عند البعث وذلك حتى يتثبت فؤاده ويتقبل الوحي وهو في كمال تطهره ؛ والثالثة هي قبيل العروج ليثبت للرؤية في الحدث العظيم[٢١] .

2 ـ **أهمية الإسراء**: الإسراء هو الجزء الأول من الرحلة النبوية ، انها المسافة التي قطعها النبي ﷺ راكباً البراق من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . ويقدِّم الاسراء الكثير من الأدلة على حِسِّية هذه الرحلة وحقيقتها ، انها رحلة تنتمي الى عالم الواقع الملموس ، ذهب فيها النبي بروحه وبدنه ، يقظة في الليل ، وبرفقة جبريل من مكة إلى بيت المقدس .

■ تكمن أهمية حدوث الإسراء في هذه الأدلة الحسية التي يقدمها للمنكرين ، وإلا فما الحكمة من أن يسبق العروج ، ولماذا لم يتم عروج النبي ﷺ مباشرة من مكة بيت الله الحرام الى السموات ؟!

لقد حدث الإسراء لأن هذا الجزء من الرحلة النبوية واقع تحت البرهان تجاه المسلمين والقرشيين ، فلو قال النبي ﷺ مباشرة عُرج بي الى السماء ، لم يملك أحد

---

(٢٠) انظر تفسير ابن كثير ، أول سورة الاسراء حيث يورد أحاديث مسلم والبخاري والامام أحمد والترمذي وغيرهم في الاسراء والمعراج ويخلص الى أن الحق هو ما اتفقت عليه الروايات .

(٢١) انظر « الاسراء والمعراج » للحافظ ابن حجر العسقلاني . مكتبة التراث الاسلامي ، القاهرة . ص ٢٧ ـ ٢٨ . ويضيف قول القرطبي بأنه لا يلتفت لأنكار الشق ليلة الاسراء لأن رواته ثقات مشاهير .

أن يصدِّقه أو يُكَذِّبه ، ولظل الخبر مرتهناً للإيمان بالغيب ، لأن رحلة السموات خارجة عن نطاق التصديق البرهاني . ولذلك قدمت الحكمةُ الإلهية الإسراءَ ، ليكون برهاناً ودليلاً على مصداقية رحلة النبي ﷺ . فعندما وصف لقريش المسجد الأقصى ، وهم على يقين بأنه لم يزره قبلاً ، وذكر لهم خبر القافلة التي تصل في الغد ، قدم الأدلة على صدقه .

فالإسراء هذه الرحلة الأرضية ، هي جزء من خبرات قريش في السفر ، إذ كانوا يضربون اليها أكباد الابل في شهر ، لذلك انحصر الجدال بين قريش وبين النبي ﷺ في الإسراء.

■ ركب النبي ﷺ في مسراه البراق ، وهو دابة . لم يستخدم ﷺ ما يطير ، وإنما ما يدبّ ويمشي على الأرض ويقلب آنية بحافره كما حدث في العودة ، تأكيداً لحسية الإسراء . وهذا البراق وان رأى البعض أن سرعته هي سرعة الضوء ، واشتقاق اسمه يشير الى البَرق ، إلا أننا نرى أن نص الحديث النبوي عن سرعة البراق يقول « يضع حافره عند منتهى طرفه » ، ومعنى ذلك أن خطوته يبلغ طولها أفق نظره ، فيكون بالتالي هذا البراق يمشي بسرعة البصر ؛ وهذه السرعة تمكّن النبي ﷺ من رؤية كل شيء في الطريق ، ومن رؤية مواقع الأقدام . فهو ﷺ لم ينتقل من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى بطيّ الأرض بل قطع مسافات حقيقية ورأى احداث الطريق ومواقع الأقدام، وهنا المعجزة الحقيقية التي حيّرت قريشاً ، ان يقطع في بعض ليلة مسافة يستغرقَ قطعها الشهر . . وقدرة الله تبدّل مقاييس الزمان والمكان .

3 ـ **مشاهد الطريق في الإسراء** : رأينا أن الإسراء يقدم الدليل من جهة على حسية الرحلة النبوية ، ومن جهة ثانية تأتي الأحداث والمشاهد التي شاهدها رسول الله ﷺ في مسراه ، لتؤكد على أن الإسراء لم يحدث بطيّ الأرض ، وهو ما يمكن أن يكون كرامة لولي ، بل هو قطع لمسافات طويلة في الزمن القصير ، انها معجزة إلـهية .

وفي طريقه ﷺ الى بيت المقدس نُصبت له أفعال العباد من أمته في صور مشهودة ، وإذا استثنينا مشهد المجاهدين في سبيل الله ، يبقى أن معظم المشاهد تمثل نتائج الذنوب والمحرمات وترك الطاعات . وفي رواية البيهقي عن ابن هريرة أن النبي ﷺ رأى المجاهدين في سبيل الله ، في صورة قوم يزرعون في يوم

ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان . . ورأى خطباء الفتنة في صورة أناس ، تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار . . ورأى ﷺ تاركي الصلاة في صورة قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت . . ورأى ﷺ الزناة في صورة قوم يتركون اللحم الطيب ويقبلون على اللحم النيء الخبيث . . الى غير ذلك من المشاهد(٢٢) التي تصور الأعمال الحسنة والقبيحة على حقيقتها ، وهذا التصوير يبالغ في إبراز الحسن والقبح أمام النفس البشرية حتى ترغب في الحسن وتنفر من القبيح .

وحين تهب رائحة الجنة باردة ممسكة من واد ، وتهب رائحة النار منكرة منتنة من وادٍ اخر ، نعلم أن الجنة هي الدار التي تنتظر أصحاب الأعمال الحسنة ، وأن النار هي الدار التي تنتظر أصحاب الأعمال القبيحة . . هذه المشاهد تقول بالرمز هذه أفعالكم وهذه نتيجتها .

4 ـ إمامة النبي ﷺ للأنبياء : وصل النبي ﷺ ومعه جبريل عليه السلام الى بيت المقدس ، وربط البراق بالحلقة التي يَربط بها الأنبياء ؛ ثم دخل الى المسجد الأقصى ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في نفر من الأنبياء ، فأمّهم وصلّى بهم(٢٣) .

لقد أخذ الله عز وجل ميثاق النبيين بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصرونه ، قال تعالى ﴿ وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ النبيينَ لمَا اتيتُكم من كتاب وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري . قالوا اقررنا ﴾ [آل عمران / ٨] وجاءت إمامته ﷺ للأنبياء وصلاته بهم ، دليلاً حسياً على إيمانهم به ، وتكريساً ملموساً لتصديقهم له ، وفاءً للميثاق الذي أُخذ عليهم .

5 ـ تقديم الأواني : أُتي النبي ﷺ باناءين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن ، فأخذ رسول الله ﷺ اناء اللبن وشرب منه ، وترك إناء الخمر ، فقال له جبريل

---

(٢٢) الآية الكبرى في شرح قصة الاسراء ، جلال الدين السيوطي . مكتبة عبيد دمشق ص ٢٠ ـ ٢٢ .

(٢٣) را . « صلاة النبي ﷺ بالأنبياء ليلة الاسراء » للحافظ عبد الغني القسدومي (٦٠٠ هـ) ، مخطوط الظاهرية : مجموع ٧١ ، ورقة ٨١ . . نقلاً عن كتاب صلاح الدين المنجّد « معجم ما الف عن رسول الله ﷺ » دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ . ص ٨١ .

عليه السلام : « هديت للفطرة ، وهديت امتك »[٢٤] . . هذا هو رسول الله ﷺ صاحب الفطرة المستقيمة على صراط الشرع المكتوب مما أُنزل ويُنزل .

6 ـ المعراج الى السموات السبع : نص القرآن صراحة على الإسراء في قوله تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبدِهِ ليلاً من المسجد الحرامِ إلى المسجد الأقصى . . ﴾ [الإسراء/١] ؛ ولكنه على المعراج نصّ التزاماً ، ذلك انه حين أشار القرآن الى رؤية النبي ﷺ ربَّه عزّ وجلّ أو جبريل ـ بحسب التفاسير ـ عند سدرة المنتهى ، يلزمُ عن هذا كون النبي ﷺ ارتقى حتى سدرة المنتهى الكائنة بعد السموات السبع . قال تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الفؤادُ ما رأى . أفتُمارونَهُ على ما يَرَى . لقد رآهُ نزلةً أخرى . عندَ سدرةِ المنتهى ﴾ [النجم / ١١ـ١٤] .

التقى النبي ﷺ في كل سماء ساكنها ، ففي الأولى اجتمع بآدم ، وفي الثانية عيسى ويحيى ، وفي الثالثة يوسف ، وفي الرابعة ادريس ، ثم في الخامسة هارون ، وفي السادسة موسى عليهم السلام أجمعين ؛ وفي السابعة رأى ابراهيم عليه السلام مسنداً رأسه الى البيت المعمور كما في رواية مسلم . والبيت المعمور لأهل السماء كالكعبة لأهل الأرض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يصلون فيه ثم يخرجون ولا يعودون إليه أبداً .

ونلاحظ أن النبي ﷺ لم يسأل الأنبياء الذين التقى بهم عن سابق وجودهم في أممهم ، فلم يتطرق مثلاً الى المشاكل التي تعترض كل نبي في دعوته الى التوحيد ، بل انحصر الحوار في سلام وترحيب ؛ وربما يعود عدم الحوار هذا الى كون الحق عزّ وجلّ قد قصَّ على نبيه ﷺ من أنباء الأولين ما يثبت به فؤاده فلم يجد ﷺ في نفسه حاجة الى الحوار مع المرسلين ، وها هو يعرج ويرتقي للتلقي من المرسِل عزّ وجل .

7 ـ سدرة المنتهى ـ صريف الأقلام : اتخذ كل نبي رتبته في سلم القيم الإسلامية فإن كنا لا نفرق بين أحد من رسل الله فالكل مرسل من لدن عزيز حكيم ، إلا أن الله عزّ وجلّ فضَّلَ النبيين بعضهم على بعض ، فمنهم من اتخذه خليلاً ، ومنهم مَنْ أعطاه ملكاً عظيماً ، ومنهم من ألآنَ له الحديد وسخّر له الجبال

---

(٢٤) وقع اختلاف في تقديم الأواني هل هو قبل العروج أو بعده ، وهل حصل مرتين . انظر المرجع السابق ص ٤١ .

والجن والإنس والرياح ، ومنهم من جعله يُبرىء الأكمة والأبرص ويُحيي الموتى بإذنه ، ومنهم من كلّمه تكليماً . . . وجاء الإسراء والمعراج يُجَلّي منزلة محمد ﷺ ، فها هو يؤم الأنبياء ويصلّي بهم ، وها هو يتجاوز السماء السابعة منزل ابراهيم الخليل عليه السلام ومنزلته ، إلى سدرة المنتهى ثم الى مستوى يسمع فيه صريف أقلام القدر بما هو كائن . .

وتتداخل الروايات التي تقص نبأ الرحلة المحمدية بعد سدرة المنتهى ، وحيث ان ما يهمنا في بحثنا هذا هو معاني المعراج لذلك مهما تداخلت الروايات فهي كلها ناطقة بتفرد محمد ﷺ بمكانةٍ لم يلحقه فيها نبي مرسَل ولا ملك مقرَّب ، لأن جبريل ، وهو حامل الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام ، لم يملك إلا أن يتوقف عند سدرة المنتهى ، مرتلاً قوله تعالى ﴿ وما منا إلاّ له مقامٌ معلوم ﴾ [الصافات / ١٦٤] ، وفي ذلك اشارة إلى أن محمداً ﷺ في ترقّيه وعروجه خلّف وراءه كل المخلوقات من إنسٍ وجنٍ وملائكة ، وتقدّم ليتقلّد مقامَه المخصوص .

وقد أبدع ابن عربي في بيان مقام محمد ﷺ ـ في الكتاب الذي ننشره هنا ـ حين قارن الإشارات القرآنية ، فقال : كم بين مَنْ يقول : « عَجِلْتُ اليك ربِّ لترضى » ، وبين مَنْ يُقال له : ﴿ ولسوفَ يُعْطِيكَ ربك فترضى ﴾ ؛ وكم بين مَنْ يقول : ﴿ رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ ، وبين مَنْ يُقال له ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ . . فكل ما كان مطلوباً للأنبياء في السابق نراه الآن يطلب محمداً ﷺ لأنه مقامه وحظه من الكمال ، والإسراء والمعراج هو النص المثالي الدالّ على مكانة النبي وسيادته .

8 ـ **القرب والخطاب الإلهي** : لا يقترب مخلوقٌ من الله عزّ وجلّ قرباً مكانياً ، فإنّه تعالى لا يحويه مكان ونسبة الأمكنةِ إليه واحدة ، ولكن القرب المقصود في كلام الصوفية عامة هو قربٌ معنويّ . . هو قربُ محبةٍ ورضى ، قرب مكانةٍ لا مكان .

والمعراج قُرْبٌ وتقريبٌ وارتقاءٌ إلى مكان طاهر مطهّر ، لم تدوسه قدم غير قدم النبي ﷺ . فإن كان الحق عزّ وجل قد خاطب موسى عليه السلام في الوادي المقدس في الأرض ، فإنّه عزّ وجلّ قد رفع النبيَّ ﷺ مكاناً عَلِيّاً فوق السموات السبعِ منازل الأنبياء ، وفوق سدرة المنتهى مقام جبريل ، وفوق المستوى الذي يُسمع فيه صريف الاقلام التي تَنسخ بها الملائكة في صحفها من اللوح المحفوظ ،

ثم خاطبه . . خطاباً منزَّهاً عن الصوتِ والحرف . . ﴿ فأوحى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى ﴾ . . خطابٌ مخصوصٌ لا نملك أن نتكهّن بكيفيته ، ولا علم لنا من مضمونه إلا ما علّمنا .

ونقفُ حيارى ، فإن كان المعراج تشريفاً وتكريماً وتقريباً وايناساً للنبي ﷺ ، فلماذا في هذا الموقف العظيم ، الفريد في حياة النبي ﷺ ، وفي حياة أمته ، يظهر التكليف بالصلوات الخمس ؟ . . والتكليف أمانات ، أعباءٌ وأثقالٌ نؤديها في أوقاتها المكتوبة ! . .

وتُبرز هذه الحيرةُ أمام أعيننا حقيقةً ملموسة : فإن كانت الشهادتان عتقاً من النار ، والصيامُ تعباً وصحة ، والحجُ مشقّةً وغفراناً ،والزكاةُ التزاماً ونماءاً ، فالصلاة قد تحررت من كل مشقة وتكليف ، لأنّها الصلة بين الإنسان وربّه ، والطريق الوحيد الى مرضاة المعبود عزّ وجل . . ومن استقامت صلاته استقامت أفعاله كلها « إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر » . . .

وتتدافع قبالة أعيننا إشاراتٌ تنزع عن الصلاة صفةَ التكليف ، وتجعلها عطيّةَ الكريم إلى عباده ، إشارات تجعل المؤمن يُسارع إليها مسارعة مشتاق إلى اللقاء ، الى الوقوف بين يدي ربّه عزّ وجل ، ومتى دُعيَ أحدٌ الى مخاطبة الحق . فتكاسل أو تهاون ؟! . وها هو الإنسان يخاطب ربّه في صلاته ، والحق يجيب ؛ إنّه تعالى قَسَمَ الفاتحةَ بينه وبين عبده .

فالمعراج يقول لنا بالرمز : إن الصلاة ليست تكليفاً ومشقة ، بل العكس إنّها راحة كلها ، بدليل انها لا تسقط عن المؤمن العاقل أبداً . . راحة تبدأ مع رفع الآذان ، فقد كان ﷺ يقول لبلال حين يأمره برفع الآذان : أرِحْنا بها يا بلال . . راحة تتجلى في الوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ لأنّه تعالى في قبلة المصلي ، وتتجلى أيضاً في « التحيات » وما يتنزل معها من سلام وسكينة على قلب العبد المؤمن المصلّي .

والمعراج تفهيمٌ لنا انه لو لم تكن الصلاةُ كلها راحةً وقُرَّةَ عين لم يذكرها الحق عز وجل في هذا المقام . . فالصلاة تشريف لا تكليف ، انّها عين الصلة بين العابد والمعبود ، انها قُرْبٌ ورضى . . « واسجد واقترب » .

■ لقد توقفنا عند أهم معاني المعراج النبوي ، التي تُمَهِّد لنا دراسة كتاب

ابن عربي الذي ننشره هنا ، أما الإحاطة بكل المعاني التي تلتمع في طوايا رواية المعراج ، فهو عمل يخرج عن الممكن في مجالنا هنا .

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يتوقف انتشار رواية المعراج عند محدّثي وفقهاءِ وعلماءِ هذه الأمة ، بل تعدّى ذلك إلى العوام والقصّاص ، الذين حمّلوا نصوص المعراج ألفاظاً غريبة وصوراً مستنكرة ، مما حدا بالمعاصرين العقلانيين الى التخوف من المعراج جملة واحدة ، فتجنبوا الحديث فيه ، ولا نرى أحداً يتطرق اليه اليوم اللهم إلا فقيهاً ، أو محدّثاً ، أو عالماً أوقفه عامة المؤمنين موقفَ المساءل .

ومن هنا نقف أمام عشرات الكتب والرسائل التي أُلّفت في الإسراء والمعراج(٢٥) ، كما نقف أمام مئات المؤلفات التي تروي أو تشرح وتفسّر رواية الإسراء والمعراج ، التي رويت عن أكثر من ستة وعشرين صحابياً(٢٦) : ونحيل القارىء الراغب في الإستزادة على كتب صحاح الحديث ، وعلى كتب السيرة مثل سيرة ابن هشام وشرحها للسهيلي « الروض الأنف » ، وعلى مؤلفات أهمّ الحفّاظ والنقّاد والمفسّرين الذين تناولوا معاني المعراج أمثال ابن كثير في تفسيره سورة الإسراء ، وابن حجر العسقلاني في « الإسراء والمعراج من فتح الباري شرح صحيح البخاري » ، وجلال الدين السيوطي في « الآية الكبرى في شرح قصة

---

(٢٥) راجع الكتاب القيّم الذي أصدره الدكتور صلاح الدين المنجّد ، بعنوان « معجم ما أُلّف عن رسول الله ﷺ » ـ قد سبق ذكره ، ص ص ٧٨ ـ ٨٣ ؛ حيث يورد أهم الكتب التي أُلّفت في الإسراء والمعراج ، مع ذكر مكان النشر وسنته للمطبوع ، وذكر المكتبة ورقم التصنيف للمخطوط . ويزيد عدد هذه المؤلفات على الخمسين فلتراجع ؛ ونختار للذكر منها هنا : ● أسئلة النبي التي سأل ربه بها ليلة المعراج ، مروية عن جعفر الصادق (١٤٨ هـ) ، مخطوط دار الكتب ، مجموع ٢١٢٥٨٤ ب .

● تزيين الأرائك في إرسال نبينا إلى الملائك ، للحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) ، مخطوط تيموريه ، مجاميع ٢٠١ /٤٢ .

● « رسالة في رؤية النبي الله تعالى هل كانت بعيني رأسه » ، لإبن تيمية (٧٢٨ هـ) ، مخطوط بغداد ، الأوقاف ٣٣ /٤٧٦٧ مجاميع .

● « قصة المعراج » ، منسوبة لأبي ذر الغفاري (٣٢ هـ) ، مخطوط الظاهرية ، سيرة ٤٠ .

(٢٦) يورد ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٢٥ قول الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية في كتابه : التنوير في مولد السراج المنير ، بأن حديث الإسراء قد تواترت رواياته عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمر وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأم هانىء وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين . منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره .

الإسرا » ، والقاضي عيّاض في « الشفاء » ، وكذلك القسطلاني في « المواهب اللدنية » ، والزرقاني في « شرح المواهب » .

وحيث ان المعراج فَتَنَ الخاصّةَ والعامّةَ من المسلمين ، وأضحى مناسبة يحتفلون بها . . اهتمّ الخاصة بالتدقيق والتحقيق ، واهتم العامة ـ كما هم في معظم الشعوب ـ بكل مُغربٍ مُدهش ، فلامسوا حدود الأساطير والخرافات ، لذلك لم يُظلَم نصٌ بقدر ما ظُلِمَ المعراج النبوي على أيدي العامة[٢٧] . . وهو بطبيعته قابل لدخول الكثير من الخيالات الشعبية ، لأن الحقيقة فيه إيمان بقدرة الله عزّ وجل وتسليم لمشيئته تعالى في عباده . ولكن ما بين إيمان العالِم المصدِّق بقدرة الله في الوقائع ، وما بين إيمانِ العوام ، المصدّقين بكل أنواع الخيالات والخرافات ، برزخ العقل ، فهما لا يلتقيان .

ولا شيء يقتل الحقيقة بقدر مزجها بالأساطير والخيالات ، لأنها تجعل العقل الإنساني يقف أمامها محتاراً ، ومن ثَمَّ رافضاً للكل ، للحق والخيال ، خوف الوقوع في شرك الخرافات .

ومن هنا نقول للعقل المعاصر رويداً . . ان الرفض للكل ليس موقفاً عقلياً ، بل تتجلى قيمة العقل في أن يقف موقفاً نقدياً . . يحلّل ، يقارن ، ويخلّص الحقائق من شوائب الجهالات ، حتى تتجلى أمام بصائرنا قاهرة في وضوحها ، وتتسرّب إلى حنايا وجداننا فتطمئن اليها قلوبنا . . كأننا نراها .

وإسراء النبي ﷺ ومعراجه ببدنه يقظةً ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، إلى السموات السبع ، إلى سدرة المنتهى ، ومن ثَمّ دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، وأوحى إليه الله عزّ وجلّ ما أوحى . هي أحد هذه الحقائق القاهرة . . لأنها رواية الصادق الأمين ﷺ ، وفعل العليّ القدير تبارك في قدرته سبحانه .

---

(٢٧) مثلاً المعراج المنسوب لابن عباس .

III

المِعرَاج الصُّوفي

حرّك المعراج أو العروج النبوي كلّية النشاط الصوفي ، فآندفع كتّابهم لاستعارة ألفاظه ومفرداته من جهة ، ومن جهة ثانية حفلت رؤى بعضهم المنامية بمعارج إلى السموات السبع فما فوقها . .

وسنتوقف عند استفادات الصوفية من لفظ المعراج ومضمونه . . هذه الاستفادات التي تبين مدى تغلغل المعراج في التفكير الصوفي .

1 ـ لفظ « معراج » : من حيث المفرد ، وجد الصوفية أن لفظ « معراج » يصور حركة الترقي ، وهو ليس حصراً على الحركة الحسية أي الترقي في السموات ، بل يحمل هذا اللفظ معاني عقلية ، كالتدرج في التطهر النفسي من ناحية ، أو التدرج في التحقق بالعلوم من ناحية ثانية .

■ وهذا كتاب الإمام الغزالي « معارج القدس في مدارج معرفة النفس » ، الذي يعرج فيه من معرفة النفس الى معرفة الحق جل جلاله ، لقوله ﷺ ﴿ مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربّه ﴾ و﴿ أعْرَفُكم بنفسه أعرفُكم بربّه ﴾(٢٨) .

وكذلك كتابه « معراج السالكين » الذي يبيّن فيه أن الناطقين بكلمة الشهادة هم على سبع فرق . وان كل عقيدة فاسدة هي حجاب وظلمة ، وان العالَمَ كلّه هو السُّلم إلى معرفة الباريء سبحانه(٢٩) .

■ واستخدم أحمد بن عجيبة لفظ « معراج » ليصور به فكرته القائلة بأن الكلمة الواحدة ، أو الكلمة الصوفية على التخصيص ، يعرج معناها مع مقامات السالكين ؛ فهناك معنى يفهمه العامة ، ومعنى يَرقى إليه الخاصة ، ومعنى لا يناله إلا خاصة الخاصة .

---

(٢٨) الغزالي . معارج القدس . مطبعة الاستقامة . القاهرة . د.ت. ص ٣ .

(٢٩) الغزالي . معراج السالكين . مكتب الجندي . مصر . سلسلة القصور العوالي ج ٣ ص ١٠١ .

وجاء كتابه « معراج التَشَوُّف الى حقائق التصوف » ، معجماً للمفردات الصوفية ، ولكنه معجم يراعي معراج المعنى بحسب مقام السالك . وعلى سبيل المثال حين يريد ابن عجيبة أن يشرح معنى المجاهدة ، يقول : « مجاهدة الظاهر [وهي مجاهدة العوام] بدوام الطاعات وكفّ المنهيات ، ومجاهدة البواطن [وهي مجاهدة الخواص] بنفي الخواطر الرديئة ودوام الحضور في الحضرة القدسية ، ومجاهدة السرائر [وهي مجاهدة خواص الخواص] باستدامة الشهود وعدم الالتفات إلى غير المعبود »(٣٠) .

■ وتتعدد المؤلفات التي تتبنى هذه الرؤية المعنوية للفظ « معراج » ، والتي يجمعها قول ابن عربي في الفتوحات ج ٣ ص ٥٤ : « فكل نظرٍ إلى الكون ممن كان فهو : نزول ، وكل نظرٍ إلى الحق ممن كان فهو: عروج » .

ومن هذا المنطلق تتعدد المعارج ، بحيث لا يمكننا حصرها ، إذ يصبح كل كتاب يطرح طريقاً للسالكين ـ بمقاماته وأحواله ـ معراجاً ، وعلى سبيل المثال نشير إلى كتاب فريد الدين العطار المشهور « منطق الطير »(٣١) ، الذي يصور في القسم الثاني منه رحلة السالكين عبر أودية تبدأ بالطلب وتنتهي بالفناء .

2 ـ مضمون « المعراج » : أما من حيث المضمون ،فقد حافظ المعراج على فكرة الصعود والحركة الحسية ، وهنا نجد أدب الرحلات ينافس المعراج الصوفي بمؤلفات توسعت في تصوير الجنة والجحيم كرسالة الغفران للمعري ؛ أو أراضي ومواطن أحلام ، كما في رسالة التوابع والزوابع لابن شُهَيْد الأندلسي، ولكننا نتجاوز هذه الآداب ، ونتجاوز كذلك شبيهها في الأعمال التي نظمت الثقافة الإسلامية نثراً ، وشعراً ، كقصيدة سنائي « سير العباد إلى المعاد » ، لنهتم فقط بهذه النصوص التي تروي لنا قصةَ عروجٍ ، دون أن تتصل إلا من حيث الشكل بأدب الرحلات .

■ أول ما يسترعي الانتباه نصٌ للجنيد (ت ٢٩٧ هـ) ، الواصل الصاحي والمربي الصوفي ؛ وعلى الرغم مما يكتنف هذا النص من طمسٍ

---

(٣٠) أحمد بن عجيبة . « معراج التشوف إلى حقائق التصوف » ، مطبعة الاعتدال ، دمشق ١٩٣٧ ، ص ٦ .
كما يراجع : Jean-louis Michon . «Le soufi m· ·oc.ı ı · Ahmad Ibn Ajiba et son Mi'rag» Lib. J. Vrin -Paris 1973

(٣١) « منطق الطير » لفريد الدين العطار . دراسة وترجمة بديع محمد جمعة دار الأندلس . بيروت ١٩٧٩ .

مقصود ، إلا أننا نستشف منه رائحة عروج حدثت ، وتتلامح دون بيان . يقول في رسالته لبعض أخوانه : « صَفَا لك من الماجد الجواد جميل ما أولاك ، وكشفَ لكَ عن حقيقة ما به بَدَاك ، وقرّبك في الزلفى لديه وأدناك ،وبَسَطَك بالتأنيس في محل قربه ونَاجَاك ، وأيّدك في عظيم تلك المواطن ، وقريب تلك الأماكن ، بالقوة والتمكين،والهدوء والدعة والتسكين. فأينَ أنت وقد أقبلَ بك كلك عليه، وأقبل بما يريده منك لديه ، وقد بسط لك في استماع الخطاب ، وبسطك إلى ردّ الجواب ، فأنت حينئذٍ يُقال لك ، وأنت قائل . . »[٣٢] .

■ أما أول معراج صوفي واضح ، فهو ما يرويه أبو يزيد البسطامي[٣٣] ، ويبدأه بتعريفنا أنه رؤيا منامية ، فيقول : « رأيت في المنام كأني عرجت إلى السموات قاصداً إلى الله » .

ولكن معراج البسطامي ، بخلاف معراج النبي ﷺ الذي كان تشريفاً وتكريماً ، يتجلى أمام أعيننا معراج امتحان ؛ وها هو البسطامي كلما وصل سماءً تنبسط له العطايا مغريةً بالالتفات والركون ، داعيةً النفس إلى الإستقرار وترك متابعة التوجه والقصد ؛ والبسطامي كان يعلم أنه في ذلك كله مُمتَحَن ، فلم يكن ينظر إلى شيء إجلالاً لحرمة الله . وكان كلما وصل سماء ، وكشفت له عن معالم حسنها ، وتزيّنت بسكانها من الملائكة ، يُعرِض عن كل شيء ويخاطب ربه قائلاً : « مرادي غير ما تعرض علي » ؛ وحين كان ينطق بهذه العبارة التي تكشف صدق ارادته في القصد إلى الله عزّ وجل ، كانت تجذبه يد مَلَك إلى السماء التي تعلوها ، . ونلاحظ هنا أنه لم يلتق في السموات ، أحداً من الأنبياء أو الرسل ـ كما في المعراج النبوي ـ بل كانت السموات عامرة بالملائكة العبّاد ، وكانت هذه الملائكة تدعوه لأن يقيم معها ويشاركها عبادة الله عزّ وجل وتسبيحه .

وحين وصل أبو يزيد السماء السابعة سمع منادياً ينادي : « يا أبا يزيد ، قف قف ، فإنك قد وصلت إلى المنتهى » ؛ فلم يلتفت إلى قوله ، لأنه كان يعلم أن ذلك كله امتحان لصدق إرادته وقصده إلى الحق عزّ وجل . وحين دلّل على

---

(٣٢) أبو القاسم الجنيد . رسائل الجنيد . نشر علي حسن عبد القادر . الرسالة الأولى ص ١ .

(٣٣) أنظر كتاب المعراج للقشيري نشر علي حسن عبد القادر . دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٩٦٤ ملحق رقم ٢ ص ص ١٢٩ ـ ١٣٥ « رؤيا أبو يزيد » .

صدق إرادته ، وقطع سمواتٍ سبعٍ من الامتحان بنجاح ، صيّره الحق عز وجل طيراً[٣٤] .

فلم يزل يطير في الملكوت ، ويجول في الجبروت ، ويقطع حجباً بعد حجب حتى انتهى إلى الكرسي ، ولم يزل يطير حتى انتهى إلى بحر من نور ، ولم يزل يقطع بحاراً بعد بحار ، حتى انتهى الى البحر الأعظم ، الذي عليه عرش الرحمن . . ولم يلتفت ابو يزيد إلى شيء بل كان يردد دائماً « مرادي في غير ما تعرض علي » . . فلما ظهر صدق إرادته ناداه الحق : « إليّ . . إليّ . اجلس على بساطِ قُدْسي ، حتى ترى لَطائف صُنعي . . . » .

وهنا صار أبو يزيد الى حال لا يستطيع وصفه ، واستقبله روح كل نبي ، وخاطبه محمد ﷺ بقوله : « يا أبا يزيد ، مرحباً وأهلاً وسهلاً ، قد فضّلك الله على كثير من خلقه تفضيلاً ، إذا رجعت أقْرِىء أمتي مني السلام ، وانصحهم ما استطعت ، وادْعُهم إلى الله عز وجل » . هذه نهاية معراج أبي يزيد البسطامي ، ففي أعلى مواطن القرب يخاطبه النبي ﷺ ويحمّله رسالةً إلى أمته .

وبذلك اكتملت عناصر المعراج الصوفي في معراج أبي يزيد ، إذ انه رؤيا منامية من جهة ، ومن جهة ثانية لم يرسله الله عزّ وجل إلى البشر بتشريع جديد ، بل ها هو يقف في نهاية معراجه أمام نبي هذه الأمة ، وصاحب الأمر فيها ينتظر أوامره . . فنفهم من هذا النص أن مَنْ يُفضّل الولي ويصطفيه بالولاية هو الله عزّ وجلّ ، ولكن متى تعيّنت ولايته ، يتقدم لينسلك في البناء الروحي للأمة الاسلامية ، وهو بناء هرمي يستوي على قمته النبي ﷺ .

■ **معراج ابن عربي** : في الليل تسقط كل حركة ويتوقف كل سعي ، تنام عوالم دنيانا الفانية ، وتستيقظ أعماقنا لتمدّ ظلال نورها على ظلمة الأشياء، تنطلق الأعماق من سجن البدن والزمن ، وترحل في عوالم مشهودة لها فقط . . فإن كان الإنسان منا ينتمي في النهار الى دنيا الناس ، ففي الليل تنتمي الكائنات كلها إلى دنياه الخاصة . . إنه الوقت الذي نخلو فيه بأنفسنا، ونسكنُ إلى جوهر وجودنا.

---

(٣٤) نلاحظ أن الملائكة في السموات السبع التي قطعها أبو يزيد كانت تأخذ في أكثر الأحيان صورة الطير . ولا يخفى ما في رمز الطير من مضامين انطلاق وتحرر من جهة ، وعرفان من جهة أخرى (الهدهد ـ منطق الطير) .

والليل هو أحب الأوقات الى الصوفي ، ينام منه البدن ، وتهجع النفس ، فتتفتّح الروح على عالمٍ رحبٍ وسيع ، يغمر الصفاء والرضى ساكنيه وزوّاره . . وفي نوم البدن يرتدّ الوعي عن عالم المحسوسات ، ليعيش لحظات في عالم المنام ؛ وسواء أكان المنام هو ظهور اللاوعي أمام أعين الوعي ، أو كان كشفَ عين البصيرة ، لتقرأ ما هو مدوّن في غيب الأيام ، أو كان انفتاحَ خزانة الذاكرة في تركيبات جديدة أمام الوعي . . مهما كانت هويّة المنام وحقيقته ، فإنه يظل قسرياً مفروضاً على النائم ، ولا خيارَ له فيه . .

ولكنّ عالم المنام ، لا تنقطع صلته بعالم اليقظة ، فالليل يتولّد من النهار ، ومن اتّقى الله في يقظته حفظه في منامه . . ومن هنا أهمية الرؤية الصادقة التي نوّه بها رسول الله ﷺ .

وها هو ابن عربي في معراجه الذي دونه في كتابه « الإسرا إلى المقام الأسرى » ، يحملنا معه على أجنحة الصحبة ، وعلى هَجْعَةٍ من الحواس ، في منام يوقظ عالمَ نورٍ وعرفان . . منامٍ يُحيي حروفاً تقادمت في النصوص ، وتنتظر أن تولد في الوجدان .

ومعراج الصوفي ـ الوليّ ، في رؤيا مناميّة ، الى السموات السبع فما فوقها ، وسماعه الخطاب الإلهيّ دون أي تشريع ، هو أحد أنواع الرؤيا الصحيحة التي ذكرها علماؤنا ؛ يقول ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) : « والرؤيا الصحيحة أقسام : منها إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد ، وهو كلام يُكَلِّمُ به الربّ عبدَه في المنام ، كما قال عُبادة بن الصامت وغيره . ومنها مَثَلٌ يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها . ومنها التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه . ومنها عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له . ومنها دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك . فالتقاء أرواح الأحياء والموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات »(٣٥) ، ويلمح هذا النص الى وجود معارج مناميّة لعبّادٍ وزهادٍ وعلماءَ مسلمين ولكن لم تصلنا ، ربما لأنهم كتموها في الصمت والمشافهة فلم يحفظها لنا التدوين ، أسوة بمعراج أبي يزيد أو معارج ابن عربي .

---

(٣٥) ابن قيم الجوزية . كتاب الروح . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ . ص ٢٩ .

ومنذ البداية يأخذ معراج ابن عربي مكانته كرؤيا منامية خليّة من تشريع جديد ، لذلك لا مقارنة بينه وبين معراج النبي ﷺ . . لأن معراج البدن في اليقظة هو وَقْفٌ على النبي ﷺ ولا ذوق للولي أبداً في مقام النبوة . ويؤكد ابن عربي في الباب الثاني والستون وأربعماية من الفتوحات المكية انه لا ذوق له في مقام النبوة ليتكلم عليه ، وإنما يتكلم على ذلك بقدر ما أُعطي من مقام الإرث فقط ، لأنه لا يصح لأحد من التابعين دخول مقام النبوة(٣٦) . ويؤكد هذا المعنى نفسه في «ترجمان الأشواق»أن مقام النبي ممنوع للتابعين دخوله ، وغاية معرفة التابع به من طريق الإرث ، النظر اليه كما ينظر مَنْ هو في أسفل الجنة إلى مَنْ هو في أعلى عِلّيين ، وكما ينظر أهل الأرض إلى كوكب السماء . ويُروى عن الشيخ أبي يزيد أنه فُتح له من مقام النبوة قدر خرم الإبرة ـ تجلياً لا دخولاً ـ فكاد أن يحترق .

فالمعراج الحسي التشريعي خصوصية نبوية ، والمعراج المنامي الروحي العرفاني إرث يحظى به الولي التابع المحمدي وهو لا يلحق النبي أبداً ؛ يقول الشعراني في « اليواقيت والجواهر » ج ٢ ص ٦٤ : « فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبداً ، ولو أن ولياً تقدم إلى العين التي يأخذ منها الأنبياء لاحترق . وغاية أمر الأولياء أنهم يتعبدون بشريعة محمد ﷺ قبل الفتح عليهم وبعده . . فلا يمكنهم أن يستقلوا بالأخذ عن الله أبداً » .

وهكذا تتميز المراتب ، فالأولياء وإن فَضَلوا العوام بعرفانٍ وتصريف ، إلا أنّهم تراجعوا عن مداناةِ سلسلةٍ طاهرةٍ مطهرةٍ معصومةٍ ، ضمانةٌ للناس ، سلسلةٍ خُتمت بمحمد ﷺ ، فلا شريعة بعده ولا نبي . . وانحصر تنافس الناس بعده في أتّباعه .

ولم تتضح كامل الصورة الشرعية للمعراج الصوفي إلا مع ابن عربي ، الذي كان له عدة معارج منامية(٣٧) ، أهمها على المستوى الأدبي والثقافي هو كتابه « الاسرا الى المقام الأسرى » ، ويليها النص الذي يقارن فيه بين معراج التابع ومعراج صاحب النظر . وننشره ملحقاً « بالإسرا » فليراجع .

---

(٣٦) را. الفتوحات ج ٤ ص ٧٥

(٣٧) لقد نشر الأستاذ محمود محمد الغراب ، مجموع المعارج المنامية التي دونها ابن عربي في مؤلفاته ويبلغ عددها الخمس في كتابه « الخيال » . راجع : « الخيال ، عالم البرزخ والمثال » ، من كلام محيي الدين ابن عربي . جمع وتأليف محمود محمد الغراب ، مطبعة زيد بن ثابت . دمشق ١٩٨٤ . =

IV

كتاب « الإسرا إلى المقام الأسرى »

ألّف ابن عربي كتابه « الإسرا إلى المقام الأسرى » (٣٨) في فاس عام ٥٩٤ هـ وله من العمر أربعة وثلاثون عاماً ، وذلك قبل قدومه إلى المشرق العربي واستقراره فيه .

كل حرف وكل معنى في هذا الكتاب شاهدٌ على شباب ابن عربي وفتوّته من ناحية ، وشاهدٌ على نداوة تفتّحه على عوالم الإلهامات من ناحية ثانية .

يظهر شباب ابن عربي في طموحه الذي توخّى الكمال من هذا النص ، فأعدّ له ما استطاع من قوة البيان ، وأمل في أن يتكاثر عليه الحفّاظ فجعله مسجّع الألفاظ . . شبابٌ دافقٌ يفجّر نثراً ، رفع هذا النص إلى مستوى نوادر الروائع التي تحرّك في القارىء مكامن لم يقاربها قبله كاتب .

اجتمع لابن عربي موهبة الشعر ، فأنشده منذ نشأته ، ألّف الكثير من الموشحات وشارك في النهضة الأدبية التي كانت متوهجة في الأندلس . . واجتمع

= ● هذا والمعارج كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود هي نتيجة للاذكار والطريق الصوفي والسلوك الى الله ، ويورد أمثلة على هذه المعارج عند الامام أبي الحسن الشاذلي الذي يقول مثلاً : « رأيت كأني مع النبين ، الصديقين . . . رأيت كأني في المحل الأعلى . . . رأيت كأني واقف بين يدي ربي . . » [أنظر ، المدرسة الشاذلية الحديثة ، وإمامها أبو الحسن الشاذلي ، الفصل السابع « معارج ومرائي » ، ص ١٤٩] .

والأمثلة على معارج الصوفية كثيرة ، وتعدادها لا يفيد النظرية الصوفية في المعراج ، ولا يقدم عنصراً جديداً للرؤية . ومن أمثلتها الكثيرة ، ما يشير اليه كثيراً عبد الكريم الجيلي في كتابه الشهير : « الإنسان الكامل » مثلاً ج ٢ ص ص ٧ ـ ٨ « وهو الذي وجدناه في عروجنا . . . لأن معراجنا ليس كمعراجه ﷺ . . » ، وص ٦٠ نلمح من وصف الجيلي لما بعد السموات ، ومن لقائه في كل سماء أنبياء وملائكة ، نلمح معراجاً صوفياً متكاملاً ، فليراجع .

(٣٨) للكتاب أسماء كثيرة أهمها : كتاب الرحلة ـ اختصار وترتيب الرحلة ـ كتاب المعراج ـ كتاب الإسراء واختصار الرحلة ـ الإسراء واختصار ترتيب الرحلة من العالم الكوني الى الموقف الأعلى . فليراجع عثمان يحيى : Hist. et classification de l'œuvre d'Ibn Arabi-R.G.I. 320- 321

له أيضاً ثقافة إسلامية واسعة شملت علوماً قرآنية وحديثية وفقهية . . وتخطى كل ذلك حين تفتّح وجوده على عالم الروح وما وراء الحرف .

وهذا الكتاب يجسّد اكتمالَ مواهبِ ابن عربي الشخصية من حيث الشكل والمضمون وبدايات الإلهام ؛ مرحلةٌ من حياة ابن عربي الحرف فيها لا يظلم المعنى ، والمعنى لا يطغى فيها على الحرف ، فاكتملت بالتالي للقارىء المتع الأدبية والفكرية والروحية معاً .

ويتميز هذا الكتاب عن بقية كتب ابن عربي بالأسلوب والبيان ؛ فقد صاغه مسجّع الألفاظ ، أنيق المفردات ؛ وتميّز أيضاً من حيث المضمون بوحدة الموضوع وتسلسله ؛ اذ قلما نجد ابن عربي يلتزم موضوعاً واحداً دون استطرادات أو شروحات أو مداخلات ، وكأنما أراد ابن عربي لهذا الكتاب فعلاً أن يُحفظ في الأذهان ، وبكل دفق شبابه جنّد له كل مواهبه الأدبية والثقافية والروحية ؛ فجاء كاملاً في توحده لغة وموضوعاً .

تحليل مضمون كتاب الإسرا

يروي هذا الكتاب تفاصيلَ رحلةٍ منامية إلى السمواتِ السبع فما فوقها ، على لسان السالك الذي هو ابن عربي ؛وعند تحليلنا لمضمونِ روايةِ السالكِ يُمكننا تقسيمها الى مقدمة وخمسة أقسام :

1 ـ في المقدمة بيّن ابن عربي أنّ رحلته هذه هي معراجٌ منامي روحيٌ معنوي ، يختلف تمامَ الاختلاف عن معراج النبي ﷺ ، الذي كان معراجاً حِسّياً تمّ بالجسم واختراق مسافات وسموات .

2 ـ في القسم الأول الذي يتضمن ستة أبواب ، تبرز شخصية رسول التوفيق الذي سيحضّر السالك بدنياً وعملياً وعقائدياً للمعراج ؛ ومن ثَمّ يرافقه في السموات السبع . ونلاحظ أن استعدادَ النبي ﷺ للمعراج انحصر بظهور جبريل وشقّ الصدر ، إلا أن الوليّ كما في رواية ابن عربي هنا ، يتطلب تحضيراً أشدّ وأكثف ، إذ لا بد من تعليمٍ وتفهيمٍ لقضايا اعتقادية إلى جانب

التحضير البدني ، الذي يفارق فيه السالك عناصره الأربعة : التراب والنار والهواء والماء .

إن معراج النبي ﷺ تمّ بغير طلبٍ منه ، في حين ان معراج الصوفي التابع كان بطلب التحقق بالمقام المحمدي .

والتابع في التحقق يصلُ ليكون مع المتبوع ﷺ لا ليتّحد به أبداً ، فلن يصل أحد ليكون له ما لمحمد ﷺ ، ولكن ظلال العطاء الإلهي للنبي ﷺ تمتد لتنعكس على تابعيه ؛ ومن هنا فإن كان للنبي ﷺ المعراج يقظةً وبالجسم ، فلتابعيه ان تتفسّح أرواحهم في منامهم ، في عوالمَ تواتر اليهم وجودُها بالأحاديث الصحيحة .

3 ـ القسم الثاني من الرواية يقصّ نبأ السالك في السموات السبع ، ففي الأولى التقى سر روحانية أبيه آدم عليه السلام ، وبعد أن استفاد من علومه ، ارتقى الى السماء الثانية وهي سماء الأرواح ؛ وهناك تنعمت ذاته بشهود سرِ روحانية عيسى عليه السلام ، وتلقّى كذلك ظهير الأمان ، وهو « مرسوم » تعيينه وليّاً ؛ هذا المرسوم أمر به روح الأرواح ، عيسى عليه السلام ، وكتبه كاتبه ووزيره ؛ وفي ذلك تأكيد على أن عيسى عليه السلام هو ختم الولاية المحمدية عند ابن عربي وعليه مدارها ؛ ويعتبر هذا المرسوم من أهم النصوص في الولاية لأنه يحدد صلاحيات الولي وواجباته .

وفي السماء الثالثة ، سماء الجمال ومعدن الجلال ، طلب السالك أن يُعرِّف بمقام يوسف عليه السلام ، مقام أمين الأمناء وجمال النبآء ، مَنْ أبصرته اللواهيت فحرّقت النواسيت ورامت الخروج اليه عشقاً ؛ فحين تم له ذلك ودّع الى السماء الرابعة .

وفي الرابعة ، سماء الاعتلاء ، التقى سر روحانية ادريس عليه السلام . . ونرى السالك هنا يُستقبل بعبارة : مرحباً بسيدِ الأولياء . ونفهم من هذه الإشارة أن مَنْ وصل الى السماء الثانية وتمَّ تعيينه ولياً ، إن قطعَ فناءَ الثالثة فإنّه سيحظى ببقاءِ الرابعة ، ويضيف السيادةَ إلى الولاية فيصبح : سيّد الأولياء .

وفي الخامسة ، سماء الشرطة ، التقى سر روحانية مَنْ سادَ الأنامَ ، ولم تظهرْ سيادتُه ، وهو هارون عليه السلام .

وفي السادسة ، سماء الكلام ، رأى السالك سِرُّ روحانية موسى عليه السلام ؛ الذي أوضح له غاية المعراج الصوفي ونتيجته . قائلاً له : « اعلم أنك قادمٌ على ربك ، ليكشف لك عن سرِّ قلبك ، وينبّهك على أسرارِ كتابه ، ليكمل ميراثك ويصحّ انبعاثك ، فلا تطمعْ بشريعةٍ ناسخةٍ ولا في إنزالِ كتاب ، فقد أُغلق ذلك الباب . ثم انت بعد حصولك في هذا المقام ، ترجع مبعوثاً ؛ فعليك بالرفق في تكليف الخلق . . » . . وهكذا يتضح للسالك في سماء الكلام ، معنى معراجه وحدودَ نهايته ، فهو وصولُ عرفانٍ وعِلْم ، ورجوع دعوةٍ ورفق .

وفي السابعة ، رأى السالك سر روحانية الخليل ، يدور بالبيت المعمور في غلائل النور . فطلب السالك منه الدخولَ إلى البيت المعمور وهو ـ كما سبق الكلام عليه ـ لأهل السماء كالكعبة لأهل الأرض يُصلُّون إليه ، ويطوفون به ، فأوضح له الشروط . . ثم عرّفه بمقام محمد ﷺ ، الذي قدّمه الله عز وجل بشاهد القرآن المعصوم ، على كل نبي مرسل ؛ فكم بَيْنَ موسى عليه السلام الذي يقول : « عَجِلْتُ اليك ربِّ لترضى » ، وبَيْنَ محمد ﷺ الذي يُقال له : « ولسوفَ يُعْطيك ربك فترضى » ، وموسى الذي يقول : « رب اشرح لي صدري » ، ومحمد ﷺ الذي يُقال له : « الم نشرح لك صدرك » ، ولم يتقدم النبي ﷺ على موسى ، كليمِ الله فقط ، بل ينبّه الخليل عليه السلام السالك إلى علوِّ مقام محمد ﷺ على مقام إبراهيم نفسه ، أبو الاسلام وأبو الأنبياء . فيقول للسالك : شتّان بَيْنَ مَنْ نَظَرَ في النجومِ وقال : « إني سقيم » ، وبَيْنَ من قِيل عنه : « ما كذب الفؤاد ما رأى » . أنا أقول : « رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » ، وهو عليه الصلاة والسلام يُقال له : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » . أنا أقول : « وأجعل لي لسان صدق في الآخرين » ، وهو عليه الصلاة والسلام يقال له : « ورفعنا لك ذكرك » .

وهكذا يبين الخليل عليه السلام للسالك ، كيف أن الحق عزّ وجل أعطى

محمداً ﷺ كل ما صَبَت إليه همم الأنبياء قبله . لذلك ، فلا نبي يحجب السالك عن رؤية الكمال المحمدي وأتّباعه . ولذلك لا يملك الخليل في نهاية الخطاب من أن يقول للسالك : يا بنيّ ، سِرْ الى ما إليه ناداك . . فيخرج السالك عن السبع الطّباق .

4 ـ بعد السبع الطباق يصل السالك إلى سِدْرة المنتهى ، ويقف عاجزاً أمام ما يغشاها من النور والبهاء . ثم يطلب الترقي منها الى الملأ الأعلى ، فيُقال له : بينك وبينه حضرة الكرسي . فيطير على أجنحة العزم إلى الكرسي ، وهناك يلتقي قطب الشريعة .

نقف ـ نحن هنا قرّاءاً وكتّاباً أيضاً ـ أمام هذا الفصل معترفين لابن عربي بأنه استاذ كبير ، يمتلك كل أداةٍ توسَّلها قبله كاتب ، من ثقافة وعمق الى بلاغة وإعجاز . .

وصية قطب الشريعة للسالك تجمع كل الوصايا التي أبرزتها قصص الأنبياء في حياتهم ، لذلك نجد هذه الوصايا تتداخل ، تتعارض ، تتكامل . . جدليةٌ لم يصلها هيجل ، لأنه لم يبلغ آفاق النظر الصوفي الذي يُعرِّف الله عزّ وجلّ بجمعِه للأضداد ، وكذلك جاءت أوامره عزّ وجل ، تجمع الأضداد في كُلٍّ ، لا يُؤالف بينها بل يزاوجها . يقول قطب الشريعة من جملة نصائحه للسالك : « لا ترغب في ملك لا ينبغي لأحد من بعدك . بل قل : كل هذا سبحانك من عندك . أرغب في ملك لا ينبغي لسواك . تتخلق في ذلك بصفات مولاك . . الزم المحراب يأتيك الرزقُ بغير حساب ، لا تلزمه سبباً متمماً ، واتخذ الى التوحيد سُلَّماً . . لا تهزّ الجذع في كل وقت ، فإنه مَقْت . هُزُّهُ فهو المراد ، وهو الدليل على أهلِ الإفك والإلحاد . . سلّم أمركَ لصاحب السماء ، تعلَم حقيقة الأسماء . لا تُسلّم فلست بثاني فلا تحجبك المثاني . . لا تطلب رداءاً سواه ، فمن توكّل عليه كفاه . اطلب الرداء من جنسك ، فإنه قد شاء أن يكون أقوى لنفسك . . ألق تابوتك في اليم مطبقاً ، فإنه لا بد من اللقا . لا تُلْقِه بحال ، وأخلص لرب المُحَال . . » وهكذا تتدافع المعاني متسارعة ، رافعة حضور القارىء الذهني إلى أعلى درجات

To: www.al-mostafa.com

التوتّر ، وتتصاعد النغمات من الكلمات تلطّف حدة التوتر ، فنعيش لحظة فريدة ، تعمّ فيها النشوة كافة مذاقاتنا .

يفرح السالك بوصية قطب الشريعة ويرغب في استدامة صحبته ، غير أن قطب الشريعة لا يصحب إلا مولاه ، لذلك يتركه السالك بعد أن يشكره على ما بيّنه له من حقائق المقامات وأسرار الصوفية ؛ ويمتطي متون الرفارف ، ويطير الى الملأ الأعلى ، حيث يُعاين من علم الغيوب عجائباً . . ومن ثم يطلب حضرة قاب قوسين .

5 ـ القسم الرابع : يدخل السالك هنا حضرةً بعد حضرة ، وهي خمس : قاب قوسين ـ أو أدنى ـ اللوح الأعلى ـ الرياح وصلصلة الجرس ـ أوحى . وفي كل حضرة من هذه الحضرات يُناجَى ، يُكلَّم ، يُعلَّم ، ويفهَّم .

■ ففي الأولى ، أي حضرة قاب قوسين ، نُودِيَ السالك ، وقيل له : يا زهرة المحبين ، ويا جمال الوارثين ، ماذا لقيت في طريقك الينا ، وبماذا وفدت به علينا ؟ . . فاندفع يرتّل جمالَ مشاهداته منذ فارق عنصر الماء وعرج الى أول سماء ، ويرصف فوائد لقاءاته بالأنبياء في السموات السبع وبقطب الشريعة في حضرة الكرسي . فلما انتهى السالك من رواية حديث الأغيار ، خلّصه المعبود من كل نظر ، وأرخى عليه ثوب العبودية . وابتداء من هذه اللحظة نلاحظ أن السالك أصبح يُنادى في كل مناجاة بلفظ : « يا عبدي » ؛ وفي ذلك اشارة الى تحققه بخصوصية العبودية : « يا عبدي ، لا تَحُدُّ الكلام ، فإني المكلِّم والمكلَّم ومني الكلام . فلا تجعل كلامي سوائي ، كما لم يسعْني أرضي ولا سمائي » .

■ طار السالك على جناح الفناء الى حضرة « أو أدنى » ، فلما نزل بفنائها وسقط على حيطان أسمائها ، أخذ يشكو شوقه ووجده ونحيبه ، فكان النداء : « ذلك إرادتي فَسَلِّم ، وإلى جَرْيِ مقاديري عليك فَوِّضْ أمرَكَ واستَسلِمْ » . وهنا يأتي الدرس الثاني ، بعد درس العبودية الذي تعلّمه في حضرة قاب قوسين ، ويتلخّص بتسليم الإرادة وتفويض الأمر والاستسلام . . خطاب نشعر أنه يأخذ ابن عربي من النظر في ذاته إلى النظر في إرادة الحق عزّ وجلّ فيه ؛ وينتقل النص من بثٍ للأشواق والوجد ، إلى بيانِ إرادةِ الحقِّ عز وجل في ابن عربي ، يريد الحق أن يناجيه كمناجاته للامام ابن حامد الغزالي ؛ فعليه أن يُلقيَ السمعَ لإدراك غوامضِ الأسرار ، ويُجِدَّ إدراكَ البصيرة إلى إدراك مشارق الأنوار .

■ وبعد « أو أدنى » نزل السالك في حضرة اللوح المحفوظ . . ورأى مسطراً في ذلك اللوح مقاماتِ أهلِ الريحان والروح ، وهم الموحدون .

والأرجح أن ابن عربي ربط بين قوله تعالى ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذِكْر وإنّا له لحافظون ﴾ وبين عبارة « اللوح المحفوظ » من حيث تكرار معنى ولفظ الحفظ في السياقين . وحيث ان التوحيد هو جوهر القرآن والإسلام ، وإن الحق عزّ وجل ضمن القرآنَ من التحريف والتبديل لذلك نرى التوحيد يَظهر عند ابن عربي مسطراً في اللوح المحفوظ . . ولكن هذا التوحيد الذي يطرحه ابن عربي هنا ، ليس عقيدة ونظرية كما هو عند علماء الكلام ، بل هو ممارسة وحال ومقام . . وبالتالي إنه موحِّدٌ يَرْقى في سلم المراتب والمقامات . وحيث ان القرآن يورد ستاً وثلاثين صيغة للتوحيد ، ونقصد بصيغة التوحيد عبارة « لا إله إلا » ، لذلك جعل ابن عربي مقامات الموحدين على ستٍ وثلاثين صفة . كلما رفع السالكُ حجاباً لاح له توحيدٌ . ونرجِّحُ ان السرَّ في ربط الحُجُب بالتوحيد هو أن صيغة التوحيد نفسها هي : نفي ثم إثبات ، نفي لوجود إلّه ، تمهيداً لاثبات وحدانية الله . . فالله عزّ وجل هو الواحد القاهر فوق حُجُبِ الصفات والأسماء والأفعال . .

وبعد أن عاين ابن عربي مقامات الموحدين قيل له : « ايها السالك ، أين هذه المقامات من أولئك ؟ . . » ونقول لابن عربي : صدقتَ . . لولا مناسبة الاسم ، لما كان بين مقاماتِ الموحدين ، أهلِ الشهود ، الذين ارتفعت عن بصائرهم حجب الأغيار ، وبين حال الموحدين ـ أهل العقائد المؤمنين بالغيب والمحجوبين بالمشهود من دنيا ونفس ؛ أيُّ نسب .

■ بعد « اللوح المحفوظ » وقف بالسالك الفرسُ في حضرة الجرس ، فهبّت رياح عواصف ، وصلصلت رعود قواصف ، ارتعد لها السالك رعباً . . وبعد مرور الرياح ، يقال للسالك : « اني أوصِلُك إلى مستقر قلبك ، ومقر لبك » ، فيجيب : « ليس له مقر ، الله أريد ، فإن في الربوبية يوحِّدُ العبيد » .

■ أُختطف السالك وأُفني عن ذاته ، ولم يرجع إلى البقاء بالحق إلا بعد أن وجد في قلب النفس المعنى الذي كان آمَّلَهُ بالأمس ، أي بعد أن تحقق بمطلوبه ، وهو مقامُ التابع المحمدي . . الوارث المحمدي ، الكامل بين الأولياء .

ونلاحظ هنا أن كل خطاب بعد ذلك يصل إلى السالك ، يتخطاه في الواقع ليكون المقصود منه صاحب هذا المقام بالأصالة أي محمداً ﷺ . . فكل مناجاة

يُناجي بها الحقُّ عبدَه في حضرة « أوحى » تتخطى كلماتُها السالكَ الفانيَ ليصبح المخاطَبُ هو النبي ﷺ .

ونستطيع أن نسهِّل على القارىء الصورة فنقول : ان كُلَّ سالكٍ يخرج عن ذاته طلباً للمقام المحمدي ، يُشبه ـ ان امكن التشبيه بلغتنا ـ عند وصوله ، الذرات الكونية المحيطة بالقمر ، التي هي في أصلها مظلمة وعندما ينعكس عليها نورُ القمر ، تشكل هالة النور المحيطة به . . فهذه الذرات المحيطة به لم تتغيّر حقيقتها ، بل استقبلت أنوارَه على صفحة ذاتها ففنت عن هويتها لقربها منه . ومن هنا نفهم لماذا كل خطابٍ يُوَجَّهُ للسالك في مقام فنائه ، يتخطاه الى الإنسان الكامل بالأصالة إلى محمد ﷺ .

وفي هذه الحضرة ، أي حضرة أوحى ، كُشف للسالك عن أسرار ، صرّح منها ببعض المناجاة فقط ، وخلاصتها تعريف السالك بنفسه أي بالإنسان ومكانته في الكون [مناجاة التشريف] ، وبربّه الواحد الذي لا تحيط به الأفكار ولا تدركه البصائر ولا الأبصار [مناجاة التقديس] ؛ وبنعم الله عزّ وجل على الإنسان السالك [مناجاة المِنّة] ؛ وبأسرار مبادىء السُّوَر ، وبعلوّ مقام محمد ﷺ على كل مقام [مناجاة الدرة البيضاء] .

6 ـ القسم الخامس : يبرز هذا القسم على شكل إمتحان ، فكأن السالك بعد ما قطع كل هذه المواطن ، وتكشفت له مُعَمَّياتُ الأمور ، ومُخَبَّآتُ الأسرارِ ، وجب عليه أن يقف موقف المُساءَل . فالعلوم ان دققنا فيها النظر ، إنما هي أمانات ، نتلقّاها أمانةً ونعطيها أمانةً ؛ نأخذها على شرط الصوْن من النسيان ، والعمل بها ، ونعطيها لأهلها على نفس الشرط . لذلك من المنطقي جداً أن يختتم ابن عربي معراجه العرفاني هذا بإمتحانٍ للسالكِ في الإشارات النبوية .

V
النسخ المعتمدة

النسخة (أ)

مخطوط مكتبة ولي الدين . اسطنبول ١٦٢٨ . يبلغ عدد أوراقه : ٧٥ ؛ وفي كل صحيفة ١٣ سطراً كتب بخط نسخي عادي .

الصحيفة الأولى من المخطوط يختلف خطها عن الأصل ، ولعلها من إضافة أبو الحسن الرومي الذي صحح وأصلح وكتب الشرح كما سيرد .

في آخر المخطوط سماع نعلم منه أن هذا المخطوط قُرىء على مصنّفه العلامة محيي الدين بن عربي في سنة ٦٣٣ هـ بمنزله بدمشق . وهذا السماع يرفع المخطوط إلى مرتبة تُقارب الأصل .

ونجد في آخره كذلك سماعاً آخراً مفاده أنه في عام ٩٧٦ هـ طالع هذا المخطوط من أوله الى آخره وصححه وأصلحه وكتب شرح شمس الدين اسماعيل بن سودكين على هوامشه ، أبو الحسن محمود بن محمد الرومي بمكة المشرفة .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه النسخة (أ) حصلت على صورة منها من معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ـ القاهرة . .

النسخة (ب)

وهي النسخة المطبوعة في حيدر أباد عام ١٩٤٨ عن مخطوط آصف رقم ٣٧٦ .

ويُلاحظ أن طبعة حيدر أباد بُنيت على مخطوط تعذّر على الناشر في أكثر الأحيان قراءته ، لذلك كثيراً ما يورد في المتن جملاً أو ألفاظاً أو يترك فراغاً ويعلّق في الهامش بقوله : كذا .

وقد حاولت أن أسقط مقارنة مطبوع حيدر أباد بالنسخة (أ) التي اعتمدتها أصلاً لما أنشره هنا ، لما فيها من أخطاء وهنات ونقص ، إلا أنني وجدت ضرورة إقامة هذه المقارنة استكمالاً لمنهج التحقيق العلمي ليس إلا . لذلك أرجع القارىء إلى فهرس مقارنة المخطوطات ليطّلع بنفسه على مدى سقم طبعة حيدر أباد ، هذا مع الاعتراف بفضل كل ناشر يتيح للقارىء أن يتعرف على جوانب تراثنا ، وان كنا لا نطلب من الأقدمين المنهجية العلمية التي نطلبها من باحثينا اليوم .

النسخة (ج)

مخطوط برلين ، رقم We.1632 من الورقة ١ ب إلى ٥٤ أ ، يوجد في الصحيفة ١٥ سطراً كتبت بخط نسخي واضح . والناسخ هو أحمد بن محمد الشهير بالبزوري . وقد وقع الفراغ من نسخ هذا المخطوط نهار الثلاثاء من شهور ربيع الثاني من سنة ست وستين وتسعماية ٩٦٦ هـ .

النسخطة (د)

مخطوط برلين ، رقم١٩٥ Pet ، من الورقة ٢٥ ب إلى ٦١ ب. يوجد في الصحيفة ١٧ سطراً كتبت بخط نسخي واضح ، وقد أغفل اسم الناسخ . تاريخ النسخ : ١٢٥٩ هـ. عنوان المخطوط : كتاب المعراج .

النجاة من حجب الاشتباه :

مؤلف صنّفه اسماعيل بن سودكين تلميذ ابن عربي في شرح كتابيّ استاذه « الاسرا إلى المقام الأسرى » ، و« مشاهد الأسرار القدسية » . وينسب هذا المؤلف خطأ إلى ابن عربي . وينسج ابن سودكين في هذا الكتاب على منوال شروحات غيره من مدرسة ابن عربي ، بمعنى أن الشرح لا يترجم النص ويجعله في متناول القارىء ، بقدر ما يجعله مناسبة يدخل منه إلى كلية فكر ابن عربي عبر استطرادات ومداخلات هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية لا يخرج الشارح عن مخاطبة دائرة الصوفية والمتصوفين فيظل الكتاب والشرح ، رهينين عالم التصوف مع ما في الكتاب من فوائد ومتع تهمّ القراء وليس الصوفية خاصة .

وقد لجأت الى كتاب النجاة للمقارنة أحياناً وأحياناً لضبط بعض الشروحات ولكن دون فائدة تذكر ، والنسخة التي استخدمتها هي نسخة المكتبة الوطنية باريس ، رقم ٦٦١٣ عربي . وقد كتبت بخط نسخي واضح عام ٩٧٠ هـ . وتتألف من ١٣٧ ورقة .

VI

المنهج المتّبع في التحقيق

■ إن هذا! النص هو قطعة فنية تصدح موسيقاه في انسيابه وَوَقْفِه ، لذلك ، وحفاظاً مني على موسيقى النص ، احترمت وقف السجع ؛ فالسجعة هي الفاصلة وهي النقطة . ورغم محافظة ابن عربي على السجع طوال كتابه هذا ، فلم نرى نثره يسقط أو يتعثر ، بل العكس، لقد أعطى أكثر من دليل على بلاغة أسلوبه براعته اللغوية والثقافية والفكرية .

■ ضبطت كل حركات حروف النص حتى تسهل قراءته ويزول كل لَبْس .

■ ولا يخفى ما بين الاملاء الحديث والقديم من اختلاف في الكتابة ،

لذلك تجاوزت عن اثبات الاملاء القديم في النص وعن مقارنة النسخ فيما يتعلق بالاملاء ، واكتفيت بأن أقدم النص المنشور بالاملاء الحديث وذلك حتى لا أحمّل المتن والفهارس أرقاماً يمكن الاستغناء عنها .

■ أورد ابن عربي كتابه « الإسرا » على صيغة الرواية ، ولم يقسّمه الى أبواب وفصول أسوة بغيره من الكتب ، بل جعله من أوله إلى آخره متواليةً من الأبواب ؛ وقد ارتأيت أن أقسمه بحسب مضمونه الى مقدمة وأقسام خمسة . فصلتها عند تحليلي الكتاب فيما تقدم فلتراجع .

■ ان كتاب « الاسرا » هو صدى للآيات القرآنية ، فلا تكاد تخلو عبارة فيه من استشهاد أو إشارة أو تضمين آية قرآنية . لذلك رأيت أن أورد في الحاشية أرقام الآيات القرآنية الواردة في المتن ، وذلك محافظة مني على موسيقى النص .

■ اعتمدت تخريج كل الأحاديث الشريفة الواردة في النص وجمعها في فهرس موحد بحسب ترتيبها الأبجدي . وقد وضعت هذا الفهرس في مكانه من قسم الفهارس الملحق بالكتاب . وكنت أشير عند ورود أي حديث في المتن إلى رقمه المخصص له في فهرس الأحاديث .

■ تتسارع المعاني في كتاب « الاسرا » حتى لا نكاد نلحق بها ، ففي كل حرف ضمّن ابن عربي معنى أو إشارة إلى آية ؛ فلا مكان للحشو والتطويل والشرح والتفسير في هذا الكتاب ؛ لذلك يجده البعض غامضاً[٣٩] ؛ ولكننا نراه سِفراً حمّل جواهر النصوص ، وامام طوفان عبارات الآخرين فهو لم يحمل على سفينته إلا من كل زوجين اثنين . . أي أمهات المعاني دون توليداتها . . لذلك أرى أنّ نشر هذا النص دون شروحات ومداخلات وتوضيح للاشارات ، هو عمل تنقصه الامانة العلمية ، إذ لا فائدة من نص يظل في متناول مفهوم النخبة .

ومن هذا المنطلق ، بذلت جهداً كبيراً في شرح المفردات ، وتوضيح الاشارات ، دون أن أقيم من الشروحات سداً يحجب النص عن عوالم المعاني المطلقة ؛ إذ أن نسبة لغة ابن عربي إلى أفكاره هي نسبة الأجساد إلى أرواحها ،

---

(٣٩) « المعراج والرمز الصوفي » ، نذير العظمة ، دار الباحث، بيروت ١٩٨٢ .

فهو لم يستعر لغة عامة ليعبّر بها عن فكره الخاص ، بل أنشأ لغته انشاءً بنفخ روح المعاني فيها ، فقامت تطلّ على تعددية المعاني ، وقابلة للترقي والتصاعد . ومن هنا تركت الكلمات نوافذَ مفتوحةً على عوالم المطلق يقف عندها القارىء ، يشاهد أو ينطلق ، كُلٌ بحسب تكوينه واستعداده وإرادته .

VII

وختاماً ، نقف أمام محيي الدين بن عربي . . يحاول البعض الدفاع عنه تجاه السلفيين وخاصة بعد مهاجمة ابن تيمية له ، ويحاول البعض الآخر أن يسرقه بعيداً عن رصانة جذوره الاسلامية ، ويصوره هائماً في فلوات الوجود ، متحداً بالانسان في كل مكان ، ويُنطقه بوحدةٍ وجودٍ نجد صَدَاها في تعاليم فلسفة الهنود الدينية .

ولكن ما من أحد من مثقفينا إلا وارتبط به بشكل من الأشكال ، نحن أبناء أمة وُجِدَ في تاريخها الفكري شخصيةٌ كبيرةٌ كابن عربي . . ان قراءة كتبه هي رحلة ممتعة في عالم المعرفة ، وقبل أن نقبله أو نرفضه تعالوا نرحل ، نسافر مع حروفه التي هي مراكب وسفن إلى عوالم اشراق المعرفة . . ولن نستطيع في النهاية إلا أن نُكْبِر هذا العالم الاسلامي الكبير ، فالفقيه يستمتع بخفايا فقهية ، والكلاميّ يجد عنده ودقائق عقائدية ، والصوفيّ لا يشبع من فتوحاته ومشاهداته . . والإنسان أي انسان دخل عالم ابن عربي لم يعد ليستمتع بقراءة من عداه ، لأنه جمع في نصوصه كل أركان تكوين المفكر الكبير : الاسلوب ، العلم ، الجدة ، الجرأة ، واقتحم عوالم أُوصِدَت أبوابُها إلى زمنه . . نعم لقد ظهر أحياناً بصورة المعجَب بنفسه ، ولكن ألم يترك بين أيدينا من المؤلفات ما يبرر له هذه المشاعر ؟!

الدكتورة سعاد الحكيم

بيروت في ٢٧ رجب ١٤٠٨ هـ

١٦ آذار ١٩٨٨ م

الإسرا إلى المقام الأسرى
أو كتاب المعراج

مُقَدِّمَةُ المؤلِّف

يبين ابن عربي في مقدمته ، أن معراجه هذا هو معراجٌ روحيّ معنوي ، يخترق فيه أسراراً ومعاني قرآنية ويعطي علوماً ويبين خفايا فقط ؛ وهذا المعراج يختلف عن المعراج النبوي الشريف تمام الاختلاف ، الذي هو معراج حسي تمّ بالجسم واخترق فيه النبي ﷺ مسافات وسموات . وخُصص فيه بشريعة إلهية نسخت الشرائع التي قبلها .

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ الشيخُ الإمامُ العالِمُ الكاملُ المحققُ المتبحِّرُ محيي الدين ، شرفُ الإسلام ، لسانُ الحقائقِ ، علّامةُ العالَم . قدوةُ الأكابرِ ، مُحَلُّ الأوامرِ ، أعجوبةُ الدهرِ ، وفريدةُ العصرِ ، أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عليٍّ بنُ محمدٍ بنُ العربيِ الطائيُّ الحاتميُّ الأندلسيُّ ، ختمَ اللهُ له بالحسنى(١) :

الحمدُ لله الذي سَلَخَ(١) نهارَهُ من ليلِهِ المُظْلِم ، وأَطْلَعَ فيهما شَمسَهُ المنيرةَ (2) وبدرَهُ المُعْتِم ، ونَصَبَهما(٢) دليلَيْنِ(3) على الموضِحِ والمبهمِ ، حمداً أزليّاً(4) بلسانِ القِدَم ، يُربي(5) على إدراكِ نهايةِ أقصى غايةِ جلالِ جمالِ(6) كمالِ (7) صريفِ القلَم(٣) ، في ألواحِ صدُورِ الكَلِم(٤) ، المرقومَةِ بمدادِ « نونٍ »(٥) (8) الجُودِ والكَرَم ، المنزَّهِ(9) من وقتِ فتقِ رَتْقِ (10) سمآتها(٦) بجميعِ الادراكاتِ

(١) سلخ : استلّ ، و« انسلاخ الليل من النهار » معنى قرآني ورد في قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس/٣٧] . (٢) أي الليل والنهار . (٣) صريف القلم : صوت القلم وصريره . (٤) الكلم : ج كلمة . وتعني «الكلمة» بشكل عام عند ابن عربي : الموجود ؛ لأنه المظهر الخارجي لكلمة التكوين « كن » ، وهي تعني عنده بشكل خاص الحقيقة أو الهوية الصفاتية لكل نبي من الأنبياء . ويقصد هنا بالكلم : الأنبياء . را : « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « كلمة » . (٥) « نون » مفرد قرآني ورد في قوله تعالى : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم/١] ، وهي عند ابن عربي تشير الى الدواة التي يحوي مدادها ـ بصفة الاجمال ـ صور العالم أي الحروف . را : « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « نون » . (٦) الفتق : الشق ؛ والرتق : ضد

عن العَـدم(11) ، ﴿ الذي أَسْـرَى بعَبْـدِهِ لَيْـلاً مِنَ آلمَسْجِـدِ الحَـرَامِ إلى آلمَسْجِـدِ الأَقْصَى ﴾(٧) والموقفِ الأقدَم ؛

والشكـرُ لـه عـلى مقتضَى مـا مضى من حَمْـدِه وتقـدُّم ، شكـراً بـالألفِ لا بالباءِ(٨) (12) فإنَّـهُ(٩) (9) يتَصرَّم ؛

والصَّـلاةُ عـلى أولِ مُبْـدَعٍ كَـانَ(١٠) ولاَ مـوجـودَ ظَهـرَ هنـالِـكَ(13) ولا نَجم(١١) ، فَسَمَّاهُ(14) [تعالى] مِثْلاً ، وقد أوجَدَهُ فرداً لا يَتَقَسَّم(15) ، في قوله : ﴿ لَيْسَ كمِثْلِهِ شيءٌ ﴾(١٢) ، وهو(16) العَالِمُ الفَـرْدُ العَلَم ؛ وأقامَهُ ناظِـراً في مرآةِ الذّاتِ فما اتّـصـلَ بها ولا انفَصَم(١٣) ، فلمّا بَـدَتْ(١٤) له صـورةُ المِثْلِ آمنَ بهـا وسَلّـم ، ومَلّـكَهُ مَقاليدَ مملكتِهِ فأستَسْلَم(17) ، فإذا الخطابُ : أنتَ(١٥) الموجـودُ الأكْـرَم ، والحَرَمُ(١٦) الأعـظَم ، والرُكنُ(١٧) والمُلْتَـزَم(١٨) ، والمقامُ(١٩) والحَجَـرُ المُستَلَم(٢٠) ، والسِرُّ الذي في زَمْزَم ، هُـوَ لِمَا شُـرِبَ له فـأَفْهم(٢١) ، والمشَارُ(٢٢) اليه بواسِطَةِ التركيبِ ، « المؤمنُ مرآةُ أخيهِ »(٢٣) فلينظُرْ ما بَـدَا (18) له فيهَـا(٢٤)

الفتق وهو إلحام الفتق واصلاحه . والمفردان قرآنيان في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [الأنبياء / ٣٠] . (٧) سورة الإسراء ؛ آية ١ . (٨) الألف : دليل ذات الحق في مقابل « الباء » دليل الصفة ؛ وشكراً بـالألف لا بالبـاء : أي شكراً قـائماً بـالله لا بصفة من الصفات . را : « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادتي « الألف » و« الباء » . (٩) فإنه : أي الشكر بالباء . (١٠) مبدَع : موجود ، وأول مبدع هو محمد ﷺ ، وفي ذلك إشارة الى الحديث الشريف : أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر . را : فهرس الأحاديث ، حديث رقم ٢ . (١١) نجم : طلع وظهر . (١٢) سـورة الشـورى ، آية ١١ . (١٣) انفصم : انقـطع . (١٤) أي لأول مبدَع . (١٥) أنت : المخاطَب هو محمد ﷺ . (١٦) الحرم : ما لا يحلّ انتهاكه . وهنا يشير ابن عربي إلى حرمة النبي ﷺ الذي هو أعظم حَرَم في الاسلام . (١٧) الركن : اشارة الى الركن اليماني . (١٨) الملتزم : موضع بين الركن وباب الكعبة ، وهو موضع وقوف الحجاج والمعتمرين والمجاورين للدعاء ، والدعاء فيه مستجاب بفضل الله ورحمته . عن ابن عباس قال : سمعت النبي ﷺ يقول « الملتزم موضع يُستجاب فيه الدعاء ، وما دعا عبد الله تعالى فيه دعوة إلاّ استجابها» . را . « مستفاد الرحلة والاغتراب » ، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ، ص ٢٧٦ . (١٩) والمقام : إشارة الى مقام ابراهيم . (٢٠) الحجر : اشارة الى الحجر الأسود . المستلم : المُقَبَّل ، استلمت : قبّلت . (٢١) في ذلك إشارة ألى الحديث الشريف : ماء زمزم لما شرب له . راجع : فهرس الأحاديث ، حديث رقم ١٠ . (٢٢) المشار : المخاطَب هو محمد ﷺ . (٢٣) « المؤمن مرآة أخيه » حديث شريف . أنظر : فهرس الأحاديث ، حديث رقم ١٢ . (٢٤)

وليَتَكتَّم ، وعلى آلهِ وصحبهِ الطاهِرينَ وسَلَّم .

أما بَعْد . . .

فـإنِّي قَصَدْتُ ، معـاشِرَ الصوفيّـة ، أهـلَ المَعَارجِ العقليَّـة ، والمقـامـاتِ الرُّوحانيّة ، والأسرارِ الإلّـهيَّـة ، والمَراتبِ العَليَّـةِ القُـدُسِيَّة ، في هـذا الكتاب ، المُنمَّـقِ الأبواب ، المترجَمِ بكتابِ : « الإسرا[٢٥] إلى المَقـام[19] الأسْرَى[٢٦]» ، اختصَارَ[20] تَرتيبِ الرِّحلةِ من العَالمِ الكوني[21] ، إلى الموقَفِ الإلّـي[٢٧] [22]

وَبَيَّـنْتُ فيه[٢٨] كيفَ ينكَشِفُ اللُّبَـاب[٢٩] [23] ، بتجـريدِ الأثـواب[24] ، لأُولي البَصائرِ والألبَـاب[٣٠] ، وإظهارَ[٣١] الأمـرِ العُجاب ، بـالإسراءِ إلى رَفْـعِ الحِجـاب ؛ وأسـماءَ بعضِ المَقـامَـاتِ إلى مَقـامِ « مـا[25] لا يُقَـال » ، ولا يُمْكِنُ ظُهُورُه بالعِلمِ[26] ولا بالحَال .

وهـذا[٣٢] معـراجُ[27] أرواحِ الـوَارثـينَ سُنَنَ[28] النبيّـينَ والمُـرسَلين[٣٣] ؛ [وهـــو] معـراجُ أرواح ، لا[29] أشبَـاح[٣٤] ؛ وإسـراءُ أسـرار ، لا أسـوار ؛ ورؤيةُ[30] جَنان[٣٥] ، لا عِيان ؛ وسلوكُ معرفـةِ ذوقٍ وتحقيق ، لا سلوكُ مِسافـةٍ وطريق ؛ إلى سماواتِ مَعْنى ، لا مَغْنَى[٣٦] .

فيها : في المرآة . (٢٥) الاسرا : الاسراء ، السير ليلاً . (٢٦) المقام الاسرى : المقام الأشرف . (٢٧) الألي : إلّ وإيل من أسماء الله عزّ وجلّ وهو لفظ من العربية القديمة . وعند ابن عربي هو مخصوص بروحانيات الملائكة ومنه اشتق جبرائيل وميكائيل في مقابل الالهي المخصوص بالبشر . را : مخطوط النجاة ، ق ١٤ ب . وبذلك يكون معنى عبارة «إلى الموقف الالي» : الى موقف روحانيات الملائكة .

(٢٨) فيه : في هذا الكتاب (٢٩) اللباب : لب كل شيء أو لبابه : خالصه ، خياره ، حقيقته . (٣٠) الألباب : جمع لب ، وهو العقل . (٣١) واظهارَ : بفتح الراء عطفاً على موضع كيف . (٣٢) وهذا : أي وهذا المعراج المروي في هذا الكتاب . (٣٣) الوارثين : الوارث هو التابع للنبي المتّبع له في أقواله وأعماله وأحواله، الا ما خُصّ به النبي ﷺ مما لا يجوز مشاركته به . وهذا الانسان التابع المتبع هو « العالم » المشار اليه في الحديث الشريف : « العلماء ورثة الأنبياء » ، والورثة يتبعون المورِّث فمنهم الوارث العيسوي والوارث الموسوي والوارث المحمدي . ويثبت ابن عربي هنا للوارث المحمدي معراجاً روحانياً واسراء معنوياً ينتمي إلى عالم الخيال . (٣٤) اشباح : أشخاص وأجسام . (٣٥) جنان : قلب وبصيرة . (٣٦) مغنى : منزل .

وَوَصفتُ الأمرَ[٣٧] بمنثورٍ ومَنْظوم ، وأودعتُه[٣٨] بينَ مَرموزٍ ومفهوم ؛ مُسَجَّعِ الألفاظ ، ليَسْهُلَ على الحُفَّاظ ؛ وَبَيَّنْتُ الطريق ، وأوْضَحْتُ التحقيق ، ولَوَّحْتُ بسرِّ الصِدِّيق ؛ ورتَّبْتُ المناجاة ، بإحصاءِ بعضِ اللغات ؛ وهذا حينَ أبتدِي ، وعليه أتوكلُ[31] وبه أهتدي .

***

(٣٧) الأمر : أي هذا المعراج الروحاني . (٣٨) وأودعته : أي أودعت المعراج في هذا الكتاب .

القِسْمُ الأَوَّل

١ ـ بابُ سَفَرِ القَلبْ
٢ ـ بابُ عَينِ اليَقْين
٣ ـ بابُ صِفَةِ الرّوحِ الكليّ
٤ ـ بابُ الحقيقة
٥ ـ بابُ العَقلِ وَالأهبَةِ للإسْراء
٦ ـ بابُ النّفسِ المُطمئِنّةِ وَالبَحْرِ المَسجُور

يتلخص هذا القسم بأنه مكاشفات وإرهاصات روحية تسبق المعراج ، يتم فيه التحضير العقائدي والبدني العملي للسالك ، ويتم فيه كذلك لقاء السالك بالروح الكلي وبرسول التوفيق ، فالقسم كله إعداد وتحضير وتعليم .

بابُ سَفَرِ القَلْبْ

قَالَ السَّالِكُ :

خرجتُ من بلادِ الأندلس ، أُريدُ بيتَ القُدُس[1] ، وقد اتخذتُ الاستسلامَ[2] جَوادا ، والمُجاهدةَ مِهادا[١] ، والتوكلَ زادا ؛ وسِرتُ على سَواءِ الطريق ، أبحثُ عن أهلِ الوجودِ والتَّحقيق ، رجاءَ أن أُبَرِّزَ[٢] [3] في صدرِ ذلكَ الفريق .

قَالَ السَّالِكُ :

فلقيتُ بالجدولِ المَعين[٣] [4] ، وَيَنبوعِ أَرين[٤] ، فتىً روحانيَّ الذّات ، رَبّانيَّ الصِّفات ، إلّيَّ[٥] الإلتِفات[5] ؛

فقلت [له] : ما وراءَكَ يا عِصام[٦] [6] ؟ قال : وجودٌ ليسَ لهُ انصِرام[٧] ؛

---

(١) مهاداً : فراشاً . (٢) أبرز : أظهر بعد خفاء . (٣) المعين : كثير العيون . (٤) أرين : محل الاعتدال في الأشياء . وقوله « ينبوع أرين » : أي أن العلم الذي يظهر في هذه المرتبة هو معتدل لا انحراف فيه . را : « النجاة » ، ق ١٤ ب . (٥) اليّ : ملائكي ، ينتسب الى روحانية الملائكة . تقدم شرح « الي » ، هامش رقم ٢٧ ، مقدمة الاسرا . (٦) ما وراءك يا عصام : عبارة كان يقصد بها في الأصل عصام بن شهبر الجرمي حاجب النعمان بن المنذر ، ثم شاعت للاستفهام عن مجهول . (٧) انصرام : انقطاع وانقضاء .

فقلت[7] : من أين وَضَحَ الراكب ؟ قال : مِن رأسِ عَينْ[8] الحاجِب[٨] ؛

فقلتُ له[9] : ما الذي دعاكَ إلى الخُروج ؟ قال : الذي دعاكَ الى طَلَبِ الوُلُوج[٩] ؛

قلت له : إني[10] طالبٌ فقيد[١٠] [11] ، قال : وأنا[12] داعٍ الى الوجود ؛

قلتُ [13] له : فأينَ تُريد ؟ قال : حيث لا أُريد ، لكنيّ أُرسِلتُ إلى[14] المَشْرِقَيْنْ ، الى مَطْلَعِ القَمَرَيْن ، إلى موضعِ القَدَمَيْنْ ، آمِراً[15] مَنْ لَقِيتُ بخَلْعِ النَّعلينْ[١١] ؛

قلتُ له : هذه أرواحُ المعاني ، وأنا [حتى الآن] ما أبصرتُ إلا الأواني ، فَعَسَى [أن تعرّفني] حقيقةَ القرآنِ والسبعِ المثاني[١٢] ؛ قال[١٣] [16] : أنتَ غَمَامَةٌ على شمسِك ، فاعرِفْ [أولاً] حقيقةَ نفسِك . فإنَّه لا يَفْهَمُ كلامي ، إلا مَنْ رقيَ في[17] مَقَامي ، ولا يرقاهُ[18] سوائي ، فكيفَ تريدُ أن تعرِفَ[19] حقيقةَ أسمائي ؟! لكنْ يُعْرَجُ بكَ الى سَمائي ؛ ثم أنشدَني[١٤] وحيّرني :

أنا القرآنُ والسَّبْعُ المَثاني ... ورُوحُ الرُّوحِ لا رُوحُ الأواني
فؤادِي عندَ مَعْلومي مُقيمٌ ... يُناجيهِ[20] ، وعندكُمُ لِساني
فلا تَنْظُرْ بطَرْفِكَ نَحْوَ جِسْمي ... وَعَدِّ عنِ[21] التَنَعُّمِ بالمَغاني[22]
وَغُصْ في بَحْرِ ذَاتِ الذَّاتِ تُبْصِرْ ... عَجَائِبَ ما تَبَدَّتْ للعِيَانِ
وأسراراً[23] تراءَتْ مُبْهَمَاتٍ ... مُسَتَّرَةً بأرواحِ المَعَاني

---

(٨) الحاجب : هو « عصام » السابق الذكر . (٩) الولوج : الدخول .

(١٠) فقيد : مفقود (صفة مشبهة) . (١١) خلع النعلين : اشارة الى ترك الفعل والانفعال . (١٢) السبع المثاني : فاتحة القرآن . (١٣) قال : اي الفتى الروحاني للسالك . (١٤) أنشدني : أي الفتى الروحاني .

فَمَنْ فَهِمَ الاشارةَ فَلْيَصُنْها وإلاّ سَوْفَ يُقْتَلُ بالسِّنانِ[١٥]
كَحَلّاجِ[١٦] المَحَبَّةِ إذْ تَبَدَّتْ لَهُ شَمْسُ الحقيقةِ بالتَّداني
فقالَ : أنا هُوَ الحقُّ[١٧] الذي لا يُغَيِّرُ ذاتَهُ مَرُّ الزمانِ

فأخبِرْني[١٨] أيُّها الصِّديق ، أين تريدُ أُرشِدْكَ على الطريق ؟ ومِنْ أينَ أقبَلْت ؟ وإلى أين أمَّلْت ؟ قلتُ : خرجتُ فارّاً من ذَلول[١٩] ، أُريدُ مدينةَ الرَّسول[٢٠] ، في طلبِ المَقامِ الأزْهر ، والكبريتِ الأحمر ؛ فقال لي : يا طالباً[24] مِثْلي[٢١] ، أما سمعتَ قولي :

يا طالباً لطريقِ السِرِّ يَقصِدُهُ[25]
إرجِعْ وراءَكَ فيكَ السِرُّ والسَّنَنُ[٢٢] [26]

بينَك وبَيْنَ مطلوبِكَ أيّها السِرُّ اللطيف[٢٣] ، ثلاثةُ[27] حُجُب[٢٤] من لطيفٍ وكثيف : الحجابُ[28] الواحدُ[29] مُكَلَّلٌ بالياقوتِ الأحمر ، وهو الأولُ عندَ أهلِ التحقيق ، والآخرُ مُكَلَّلٌ بالياقوتِ الأصفر ، وهو الثالثُ[30] الذي اعتمدَ عليه أهلُ التفريق ، والآخرُ[31] مُكَلَّلٌ بالياقوتِ الأكهَبِ[٢٥] ، وهو الثاني[32] الذي عليهِ اعتمادُ[33] أهلِ[34] البرازخِ[٢٦] [35] في الطريق ؛ فالأحمرُ لِلذّات ،

---

(١٥) السنان : نصل الرمح (١٦) الحلاج (الحسين بن منصور) ، ولد حوالي عام ٢٤٤ هـ/ ٨٥٧م في طور في فارس ، صوفيّ طغى عليه حالُ العشقِ الإلهي فحرّك كلَّ سواكنه باتجاه الحق ، ففارق بذلك هدوء أهل السلوك ، ومات مقتولاً بسبب تضافر جملة عداوات شخصية وسياسية عام ٣٠٩ هـ/ ٩٢٢ م . (١٧) أنا الحق : عبارة مشهورة للحلاج وردت في كتابه : « الطواسين » . (١٨) الفتى الروحاني يكمل خطابه للسالك . (١٩) ذلول : الذلول هو الهين الرفيق ، ولعل ابن عربي هنا يهرب من السهل الهيّن طلباً للمقامات المستعصية . (٢٠) مدينة الرسول : إشارة الى المقام المحمدي . والمقام المحمدي لا يُقصد منه مقام محمد ﷺ ، لأنه خاص به ، بل هو مقام المتّبع لمحمد ﷺ . (٢١) مثلي : أي يا طالباً مثل طلبي ، وفي ذلك اشارة الى أن كل المخلوقات تطلب الاتّباع المحمدي ، وبالتالي المقام المحمدي . (٢٢) السنن : القصد ، الطريقة . (٢٣) السر اللطيف : الفتى الروحاني هنا يتوجه بالخطاب الى سر روحانية السالك ، وفي ذلك تأكيد على أن العروج هنا هو روحاني وليس بدنياً . (٢٤) ثلاثة حجب : هذه الحجب الثلاث نرجح أن القارىء يجد تفسيرها إذا تأمل موقف الخضر وأقواله في الأحداث الثلاث التي جرت بينه وبين موسى : خرق السفينة ، وقتل الطفل ، وبناء الجدار .
(٢٥) الأكهب : المغبّر المشرب سواداً . (٢٦) البرازخ : البرزخ عند ابن عربي هو الفاصل بين شيئين ،

والأكهبُ للصفات ، والأصفرُ للأفعال ، وهو حِجابُ الانفصال .

ثم قال لي : مَنْ كانَ رفيقَكَ في السّفَر ؟ قلتُ : الصحيحَ النَّظر ، الطيِّبَ الخَبَر ؛ قال : هو الرفيقُ الأعلى ، فَأَوْقَفَكَ[36] (٢٧) في المَوْقفِ[37] الأجلى ؟ قلت : لَسْتُ أعلمُ هذه الأصول ، لكنَّني[38] آبتغَيْتُ الوُصول ، فَجَعَلْتُ هِمَّتي(٢٨) إمامي[39] ، والطُّورَ(٢٩) أمامي[40] ، فَسَمِعْتُ : لا يَراني[41] إلا مَنْ سَمِعَ كَلَامي(٣٠) [42] ؛ فَخَررتُ صَعِقا ، وَتَدَكْدَكَ جسمي فَرِقا ، وبقيتُ طريحاً بالوادي ، وذَهَبتِ النَّعلانِ وَبَقِيَ زَادي ؛ فَلَمَّا لَمْ أرَ كَوْنا ، آنستُ(٣١) عَيْنا .

ـ ولكنه في الواقع هو جامع لهما ؛ فأهل البرازخ هم في منزلة بين المنزلتين ، يتحلون بصفات المنزلتين على تناقضهما . را : « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « برزخ » . (٢٧) فأوقفك : فهل أوقفك . (٢٨) همتي : الهمة أداة تأثير وفعل في الإنسان ، وهي عبارة عن قوة فعّالة تتعلق إرادياً بأمرٍ من الأمور فيتحقق لها ما تتعلق به . را ، « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « همة » . (٢٩) الطور : جبل ، وهنا إشارة الى « جبل الطور » ، الذي تجلى له الحق عندما طلب موسى الرؤية . (٣٠) في ذلك إشارة إلى أن موقف الخطاب والمخاطبة يسبق موقف الشهود والمشاهدة . (٣١) آنست : أبصرت .

II

بابُ عَيـن اليَقـين

قَالَ السَّالِكُ :

فناذتْني تلكَ العَينْ[٣٢] : أيُّهَا الفَتَى إلى أين ؟ فقلت[43] : إلى الأمير ؛ قالت : عليكَ بخدمةِ الكاتبِ والوزير ؛ هما يُدْخِلانِكَ على مُرادِك ، وتَرى[44] حقيقةَ اعتقادِك ؛

قلتُ لها : وأينَ محَلُّ الكاتبِ والوزير ؟ قالت : عينُ نزولِكَ عن السرير[٣٣] ، وتَجْريدِكَ عن الآيْنِيَّة[٣٤] [45] ، ونَزْعِكَ رِداءَ الأمنيَّة ، وخلعِكَ الأمانةَ[46] الإلِّيَّة[٣٥] ، ووقوفكَ في الفَرق[٣٦] والبَيْنُونيَّة[47] ، فإنَّكَ لا تَرى الواحدَ إلا بالواحِد ، وهنالك[48] يتّحدُ الغائبُ والشاهِد ؛ غَيْبَتُهُ حجابُك عنْه[49] ، والوزيرُ يُمدُّكَ به منه . هو خليفتُهُ في أرضِهِ وسمائه ، عالِمٌ بأسرارِ صفاتِه وأسمائه ، أسْجَدَ[50] له الملائكةَ أجمعين ، ونَزَّهَهُ عن سجودِ اللَّعين[٣٧] ؛ فَعَدِمَ

---

(٣٢) العين : هي العين التي أبصرها السالك في نهاية الباب السابق ، باب سفر القلب ، وهنا يظهر معناها فهي : عين اليقين تخاطب السالك . (٣٣) السرير : العرش ، وهنا اشارة الى ترك الرئاسة . (٣٤) الأينية : من الأين ، وهو المكان . والاين برأينا هنا هو اشارة الى عنصر التراب الذي يوازي ركن البدن في الإنسان . فكأن العين هنا تطلب من السالك أن يتجرد من ثقل البدن الذي يشده إلى الأرض ، أي من سفاسف متطلبات البشرية . (٣٥) الإلِّيَّة : نسبة إلى روحانية الملائكة ؛ تقدم شرحها ، حاشية ٢٧ ، مقدمة الاسرا . (٣٦) الفرق : ضد الفرق ، حيث تظهر عبودية السالك أمام ربوبية الحق تعالى . (٣٧) اللعين : ابليس ، وهنا اشارة الى سجود الملائكة لآدم ـ الانسان الكامل ، واستكبار

مَنْ أَبَى وَحَسَد ، وبقيَ الخليفةُ الأحد ؛ فَهُوَ[51] المَلِكُ والخليفة ، ومجتمعُ الصفاتِ الشريفة[52] ؛ فإنْ وصلتَ إليه ، ونزلتَ عليه ، أكرمَ مَثْواك ، وحَفِظَكَ وتَوَلَّاك ، وأَدْخَلَكَ على مَوْلَاك .

ابليس . قال تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر / ٣٠ ، ٣١] . ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص/ ٧٣ ، ٧٤] .

III

بابُ صِفَةِ الرُّوحِ الكُلِّي

قَالَ السَّالِكُ :

قلتُ لها(٣٨) [53] : إنعَتيه(٣٩) لي لأعرفَه إذا رأيتُه ، وأخِرَّ له ساجداً(٤٠) إذا أتَيْتُه . قالت : ليس ببسيطٍ[54] ولا مُرَكَّب[55] ، ولا يَقْصُدُ طريقاً ولا يَتَنَكَّب(٤١) ، مُنَزَّهٌ عن التَحَيُّز[56] والانقِسام ، مقدَّسٌ[57] عن الحُلولِ في الأجسام ، حامِلُ الأمانةِ الالَّيَة ، ومجتمَعُ الصفاتِ العَلِيَّة ؛ موادُّه الى الأجسامِ الموضوعةِ بين يَدَيْه ، كموادِ مستخلِفِهِ اليه ؛ ليس بداخلٍ بالذات ، ولا بخارجٍ بالصفات . هو(٤٢) وَصْفٌ معروف ، والصفةُ لا تُفارِقُ[58] المَوْصوف . مُحْدَثٌ صَدَرَ من قديمٍ غنيّ ، وَهَبَهُ كُلَّ سرٍ خفيّ ، ومعنى جليلٍ حَفيّ(٤٣) ، ليسَ لَهُ فَيْء ، ولا كمثلِهِ شيء . هو مرآةٌ مُنَوَّرة ، تَرَى حقيقتَك بها مُصَوَّرة ؛ فإذا رأيتَ صورتَك قد تَجَلَّتْ لك فاعْلَمْها ، فتلك بُغْيَتُك قد وصلتَ اليها[59] فالزَمْها .

فلم أزَلْ(٤٤) أصحبُ الرِّفاق ، وأجوبُ الآفاق ، وأُعمِلُ الرِّكاب ، وأقطعُ

---

(٣٨) قلت لها : قال السالك لعين اليقين التي عرّفته بالخليفة ـ الروح الكلي ، في الباب السابق . (٣٩) انعتيه : صِفيه ، السالك هنا يطلب من عين اليقين أن تصف له الروح الكلي بعد أن عرّفته بماهيته . (٤٠) ساجداً : مستسلماً ، خاضعاً . (٤١) لا يتنكب : لا يميل ، لا يَعْدِل . (٤٢) هو : أي الروح الكلي . (٤٣) حفي : كريم . (٤٤) فلم أزل : السالك يخاطب الفتى الروحاني مكملاً له قصته .

اليَـاب[٤٥] [60] ، وأمتطي اليَعْمَـلات[٤٦] ، وَتَسْرِي بِبِسـاطي الذاريـات[٤٧] ، وأركبُ البِحـار ، وأخـرقُ[61] الحُجُبَ والاستـار ، في طلبِ هـذه[62] الصـورةِ الشريفة ، المَدْعُوّةِ بالخليفة ، فما تجلّت لي صورتي مـذ[63] فارقتُ العَـينْ ، حتى رأيتُكَ[٤٨] فرأيتُ نفسي دون مَينْ[٤٩] ، فخبِّـرْني مَنْ أنت ، مِن حيثُ أنت ؟

---

(٤٥) اليباب : أرض يباب أي خراب . (٤٦) اليعملات : اليعملة . ابل نجيبة معتملة ، أي مطبوعة على العمل . (٤٧) الذاريات : الرياح . (٤٨) رأيتـك : السالـك يخاطب الفتى الروحاني .
(٤٩) مين : كذب .

IV

بابُ الحَقيقَـــة

قَالَ السَّالِكُ :

فأنشَد[٥٠] وقد أُرشَد[64] :

يـا سـائـلي من أنـا عِلْماً وتصـــويـرا ... أنا الكتابُ الـذي سَمّاهُ مَسْـطُورا[٥١]
رَقْمٌ[٥٢] تَضَمَّنَـهُ رَقٌّ[٥٣] فَنُبْصِـرُه[65] ... في صفحةِ الطُّور مَطْوياً ومنشـورا[٥٤]
بَنَى الإلَهُ لهُ في السَّـقـفِ تَـكْـرُمَـةً ... بيتـاً رفيعـاً بِسِرِّ السِّرِّ مَعْمُـورا[٥٥]
أجـرى له اللهُ صـوناً[66] من لـطائِفِـهِ ... بَحْـراً يطوفُ ببيتِ اللهِ مَسْجُورا[٥٦]
فـالـرَّقْمُ عِلْمٌ بـأقـلامِ الارادةِ في ... رَقٍّ تَـضَمَّـنَ معنَى النـارِ والنُّـورا
والنفسُ بيتٌ وسِرُّ الصـدقِ ساكِنُـه ... بـه يكـونُ كَمَـالُ الجُسودِ مشهـورا
أنا الرِّداءُ[٥٧] ، أنا السِرُّ الذي ظهرَتْ ... بي ظُلْمَـةُ الكـونِ إذْ صَيَّـرْتُها نُـورا
أُنْظُرْ وجوديَ من ذاتِ[67] الالَـهِ تَجِدْ ... حَقّـاً يقـينـاً ، ومِـنّي بـاطـلاً زُورا

قَالَ السَّالِكُ :

ثم قال[٥٨] لي[68] : أنا الخليفـةُ أيّـها الطالب ، وأنا الوزيرُ والكـاتب :

---

(٥٠) فانشد : أي الفتى الروحاني . (٥١) (٥٤) (٥٥) (٥٦) وردت هذه التسميات في القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور / ١ ـ ٦] . (٥٢) رقم : كتابة ، حرف . (٥٣) رق : جلد رقيق يكتب عليه . (٥٧) الرداء : الظهور بصفات الحق . را. اصطلاحات ابن عربي ، مادة « الرداء » . (٥٨) قال : اي الفتى ـ

خليفةُ الذاتِ في تدبيرِ الأفعالِ من كرسيّ الصفات ، أنا المِثْلُ وأنتَ المثال ، وأنا[69] الثوبُ الذي مَال ؛ [أنا] كاتبٌ من حيثُ أن[70] اكتبَ في صحائفِ قراطيسِ العقول ، سرَّ كلِ منقولٍ ومعقول ، [وأنا] وزيرٌ من حيثُ أن أحمِلَ نقلَ[71] الأجسام ، للعَرْضِ على العَليِّ[72] العَلّام . فذاتي واحدة ، وصفاتي متعددة . فاسجُدْ لي[٥٩] [73] إنْ أردْتَ الأسما ، واعلمْ أنَّ الاسمَ يَدُلُّ على المُسَمّى ؛ والكلُّ فيك ، فاقنعْ بما يَكْفِيك ، وأمْسِكْ عمّا لا يَعْنيك[74] ؛ ثُمَّ قامَ[٦٠] [75] عَجِلا ، وأنشدَ مرتَجِلا :

هيهاتِ ما الواردُ والصادرُ[٦١] [76] إلا لأمرٍ ساقَهُ[77] القادرُ
يا ناظرَ الحكمةِ[78] من خارجٍ إنسانُكَ الحكمةُ[79] يا ناظرُ
إنَّ الهَيولى[٦٢] سوسُها[٦٣] واحدٌ صَرَّفَها الفلكُ [80] الدائرُ
فناطِقٌ من ذاتِه باطِنٌ وناطِقٌ مِنْ وَصْفِهِ ظَاهِرُ
قَبولُها[٦٤] للصُّورِ [81] مِنْ ذاتِها والعَينُ منها قبلَهُ غابِرُ[٦٥] [82]
وجودُها وقفٌ على صُورِها وجودُ معنى شَاءَهُ[83] القادر
تَصرُّفُ[84] الأنجُمِ من[85] عالمِ الـ (م) أفلاك ذا آتٍ وذا سائرُ
وشمسُه في شرقِه ترتَقي وبدرُه في غربِه غائِرُ
صَرَّفَ في المركزِ أحكامَهُ فعاقِلٌ أو أهوَجٌ حائِرُ
والبحرُ قد فاضَ على شَطِّهِ أَمَدَّهُ القمرُ[86] الزاهِرُ
والشمسُ في الأكوانِ فَعّالَةٌ يُثْني عليها [87] الغُصْنُ الناضِرُ[88]
والجَوُّ إنْ قَامَ بِهِ صَيْلَمٌ[٦٦] جَادَ عليهِ سُحْبُهُ الهامِرُ
فإنْ يَكُن رَبْوٌ[89] فَمِنْ ذاتِهِ قَدْ ارتَوَى الأوَّلُ والآخِرُ

الروحاني . (٥٩) فاسجد لي : فاخضع لي .

(٦٠) قام : أي الفتى الروحاني . (٦١) الوارد والصادر : الوارد الذي يرد الماء ، والصادر هو الراجع بعد وروده . (٦٢) الهيولى : لفظ يوناني يستخدمه الصوفية بمعنى الأصل والمادة . راجع ، اصطلاحات الجرجاني ، مادة « هيولى » . (٦٣) سوسها : اصلها ، طبيعتها . (٦٤) قبولها : الضمير يعود الى الهيولى . (٦٥) غابر : غير موجود . (٦٦) صليم : الصليم هو الأمر الشديد ، وهنا هو الصحو الذي يكون معه القحط .

فالغَيْرُ[٦٧] في الأوصاف ، والكونُ في الـ (م) ذات وفينا ، خجل ظاهر[90]

مِنْ لَبْسٍ[٦٨] ايجادِ جُسومٍ بَدَتْ فيها يراهُ البَصَرُ القاصِرُ
والعقلُ مِنْ أيسَ[٦٩] إلى أيسَ[٩١] ، من علمٍ لعَينٍ[92] حاكِمٌ قاهِرُ
إنْ زُلْزِلَتْ أرضي وإنْ كُوِّرَتْ شمسي ، مَنْ الناظِمُ والناثرُ ؟!
فانظرْ إلى الحِكمةِ مجْهولةً غطّى عَلَيْها شَفْعُنا السَّاتِرُ
وأظهِرِ الحكمةَ منشورةً للعالمِ الثابتِ والدائِر[93]
صلى عليهِ اللهُ من واحدٍ نورٌ على أرواحِنا باهرُ
ما اتسقَ[94] البدرُ وشمسُ الضُّحى وانتظمَ الأَوَّلُ والآخرُ

قَالَ السَّالِكُ :

فلما اكملَ[٧٠] إنشادَه ، وضربَ بعصا إعجازِه أعوادَه[٧١] ، خَرَرْتُ بينَ يَدَيْه ساجداً ، واعتكفتُ في حضرتِه عابِداً[٧٢] ، وقلت : أنتَ البُغْيَةُ والمُنى ، والسرُّ المُتَمَنّى .

---

(٦٧) فالغير : التغيير والتبديل . (٦٨) لبس : شبهة ، التبس الأمر بمعنى اختلط .
(٦٩) ايس : وجود . (٧٠) اكمل : أي الفتى الروحاني . (٧١) أعواده : ج عود وهو آلة عزف .
(٧٢) عابداً : أي متعبّداً لله .

٧

بابُ العَقْلِ وَالأُهْبَةِ للإِسْراء

قَالَ السَّالِكُ :

ثم احتجبَتْ[95] عنّي ذاتُه[٧٣] ، وبقيَتْ معي صفاتُه .

فَبَيْنَا أنا نائم[٧٤] ، وسِرُّ وجودي[٧٥] متهجِّدٌ قائم ، جاءَني رسولُ التوفيق ، ليهديَني سواءَ الطريق ، ومعه بُراقُ[٧٦] الاخلاص ، عليه لُبَدُ الفوزِ ولِجامُ الخَلاص[96] ، فكشفَ[٧٧] عن سقفِ مَحَلّي ، وأخذَ في نَقْضي وَحَلّي[97] ، وشَقَّ صدري بسكّين السَّكينة ، وقيلَ لي : تأهَّب لارتقاءِ الرُّتبةِ المَكِينَة ؛

وأُخْرِجَ قلبي في منديل ، لآمنَ[98] من التبديل ، وأُلقيَ[٧٨] في طشتِ[99] الرضا بموارِدِ[100] القَضا ، ورُميَ منه حَظُّ الشيطان[٧٩] ، وغُسِلَ بماء ﴿ إن عبادي ليسَ لكَ عليهم سُلْطَان ﴾[٨٠] .

---

(٧٣) ذاته : أي ذات الفتى الروحاني ، ذات الروح الكلي . (٧٤) أنا نائم : هذه العبارة تؤكد أن معراج ابن عربي ليس إلا رؤية منامية . (٧٥) سر وجودي : سر الوجود الانساني هو الروح ، يقصد الصوفية بالسر أخفى ما في الروح ما يمكن أن نقول عنه « روح الروح » . (٧٦) براق : دابة وقد استعار ابن عربي هنا صوراً من المعراج النبوي . (٧٧) فكشف : أي رسول التوفيق . (٧٨) والقي : أي قلبي . (٧٩) حظ الشيطان : نرى أن خروج حظ الشيطان هنا من قلب السالك يتضمن اشارة الى مفارقته لعنصر النار ، لأن الشيطان خلق من مارج من نار (٨٠) سورة الحجر ، آية ٤٢ .

ثم حُشِيَ[٨١] بِحِكَمِ التوحيد ، وإيمانِ التفريد[٨٢] [101] ، وجُعِلَ له خدمُ التسديد ، وأعوانُ التأييد ،

ثم خُتِمَ عليه بخاتَمِ الاصابة ، وأُلْحِقَ بخيرِ عِصابة ،

ثم خِيطَ صدري بِمِنْصَحَةِ[٨٣] الأُنس ، ونِصاحِ[٨٤] [102] التقديسِ عن دَنَسِ[103] النَّفْس ،

ثم زَمَّلَني[٨٥] بثوبِ المَحَبَّة ، وامتَطيتُ بُراقَ القُرْبة ، وأُسْرِيَ بِي مِن حَرَمِ الأكوان ، إلى قُدْسِ الجَنان ، فَرَبَطْتُ البُراقَ بحَلْقَةِ[104] بابه[٨٦] ، ونزلتُ عن مَتْنِهِ[٨٧] وركعتُ في محرابه[٨٨] .

ثم زَجَّ بي من صَفَاةِ[٨٩][105] الصَفا في الهوا ، فسقطَ عن منكبي رِدَاءُ الهوى[٩٠] ؛

وأُتيتُ[106] بالخمرِ واللَّبَن ، فشربتُ ميراثَ[107] تَمامِ اللَّبِن[٩١] ، وتركتُ الخمر ، حَذَراً أنْ أكشفَ السرَّ بالسُكْر ، فيضلَّ مَنْ يقفو أَثَري ويَعْمى[108] ، ولو أوتيتُ[109] بالماءِ بَدَلَها لشربتُ الما ، فإنَّ[110] خُلاصةَ ميراثِ التمكين ، في قولِهِ تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٩٢] ؛ وأما لو كان المشروبُ عَسَلا ، ما آتخذَ أحدُ الشريعةَ قِبَلا ، لسرٍ خَفِيَ في النَّحل ، فيه هلاكُ القلوبِ بالمَحْل .

---

(٨١) حشي : أي قلب السالك .

(٨٢) التفريد : مرحلة يصلها السالك بعد التجريد ، فإذا جرد السالك عن قلبه وسره الكون والسوى ، أفردَ الواحد ، فالمُفْرِد : هو الذي يُفرد ذاته للحق فلا ينظر الى خلق . (٨٣) المنصحة : الابرة . (٨٤) النصاح : السلك الذي يُخاط به . (٨٥) زملني : أي رسول التوفيق . (٨٦) بابه : اشارة الى باب المسجد الأقصى . (٨٧) متنه : متن البراق . (٨٨) محرابه : محراب المسجد الأقصى . (٨٩) زج : أي رسول التوفيق ؛ صفاة : صخرة . (٩٠) الهوى : الأهواء والشهوات ، ونرى هنا اشارة الى مفارقة السالك لركن الهواء . (٩١) اللبن : ج لبنة وهي الحجر في الجدار . وتمام اللبن هو النبي ﷺ . را. فهرس الأحاديث ، حديث رقم ٤ . (٩٢) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧ .

قَالَ السَّالِكُ :

ثم أشرفْتُ[111] من الهواءِ على الوادي المُقَـدَّس ، فقال لي الـرسول[٩٣] : اخْلَعْ نَعْلَيْك ولا تيْأس ، فَخَلَعْت ، ثُمَّ ارتجلَت[112] ، فأَسْمَعْت[113] :

خَلَعْتُ نَعْلَيَّ بِوادي العُلا   وجئتُ بالباءِ لِميعادِ
وغِبْتُ بالذال[114] عن الصَّادِ[٩٤] [115]   فلَسْتُ ريانَ[٩٥] ولا صَادِي[٩٦]
ولستُ بالضَّاحك وَصْفاً ولا   أبكي على رَحْلِي ولا زَادِي
وامتحقَتْ إنِّيتي إذْ بَدَتْ   إنِّيَّةُ الوتْرِ مِنَ الوادِي
وَصِرْتُ بَعْدَ الشَّفْعِ وَتْراً بِهِ   وانْعَدَمَ السائقُ والهادِي
وصارَتِ الفُرْقَةُ مجموعةً   واجتمعَ الهادي مع الحادي[٩٧]
وأُبْتُ[116] مَوْلىً[٩٨] في ثياب[117] العُلا   وصارتِ الأحيانُ أعيادي
وَقُمْتُ[118] بالعِلْمِ لَهُمْ مُفْصِحاً   أُخَاطِبُ الحاضِرَ والبادِي[٩٩]

---

(٩٣) الرسول : أي رسول التوفيق . (٩٤) بالذال عن الصاد : أي بالذات عن الصفة . انظر ، النجاة ، ق ٢٧ أ . (٩٥) ريان : الريان فعلان من الري . (٩٦) صادي : عطشان . (٩٧) الحادي : سائق الابل . (٩٨) وابت مولى : رجعت عبداً . (٩٩) الحاضر : من سكان الحضر ؛ والبادي : من أهل البادية .

VI

بابُ النَّفسِ المُطمَئِنَّةِ والبَحـرِ [119] المَسْجُور

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ ارتقيتُ معَ الرسـول(١٠٠) ، على أوضحِ سبيل ، فـأشرفتُ[120] عـلى البحرِ المسجور ، فَتَيَسَّرَ كُلُّ عسير ؛

ورأيتُ في لُجَّةِ ذلـك البحرِ المُحيط ، سفينـةَ العالَمِ البسيط ، فنـظرتُ في تحصيلهـا ، فقيـل لي : حتى تقفَ عـلى جملتِهـا وتفصيلهـا ؛ هـذه سفينـةُ العارفين(١٠١) ، وعليها معراجُ الوارثين[121] .

فرأيتُ سفينةً ذاتُها روحانيَّة ، وعُدَدُهـا سماوِيَّـة ، أَرْجُلُها[122] القـدمان ، سُكَّـانُها(١٠٢) سكـونُ[123] الجَنـان(١٠٣) ، قِـراهـا(١٠٤) [124] الـلطائـف ، صَـواريها(١٠٥) [125] المَـواقِف ، يَقَنُهـا(١٠٦) [126] اليقـين ، مـراسيهـا [127] القُـوَّةُ

---

(١٠٠) الرسول : أي رسول التوفيق . (١٠١) استعار ابن عربي صورة السفينة لبيان نظريته في المعرفة الصوفية ، وقد مكّنته السفينة نظراً لكثرة اقسامها من إظهار مكانة كل مسلك أو معتقد في البناء المعرفي . وهذه السفينة تتركب من كلية النشاط السلوكي للسالك ؛ قسم عقائدي يفصّل العقيدة الصوفية ، وقسم تعبّدي كالإذكار والأحوال . . . فعقيدة السالك وسلوكه هما سفينته للمعراج . وصورة السفينة هي من الرموز المبتغاة في الكتابات الصوفية لما تتضمن من إيحاءات خلاص ونجاة وعبور . (١٠٢) سكّانها : سكّان السفينة هو ذنبها تسكّن به حتى تمتنع من الحركة والاضطراب ؛ وعلى التخصيص السكان هو موجّه الحركة في السفينة . (١٠٣) سكون الجَنان : سكون القلب . (١٠٤) قِراها : غذاؤها ؛ القِرى : الغذاء ، الطعام . (١٠٥) صواريها : ج صارية ، وهو عامود ينصب في وسط

والتمكين ، شِراعُها الشريعة ، صابُورها[١٠٧] الطبيعة ، حبالُها[128] الأسباب ، طَوَارِمُها[١٠٨] مخازنُ[129] اللُّباب[130] ، رَائِسُها[١٠٩] [131] النَّقل ، مُقَدِّمُها[١١٠] [132] العقل ، بَحْرِيُّوها الأنفال ، إنْكِليَّتُها[١١١] [133] السلامةُ من النَّكال[134] ، تجارُها[135] الموارد ، وَسْقُها[١١٢] [136] الأسرارُ والفوائد ، مُقَدِّمُها[١١٣] العنايةُ في الأزل ، مؤَخّرُها تقديسُ[137] الهِمَّةِ في الأبدِ عن طوارِقِ العِلَل ، بخرُها[138] الأفكار ، ريحُها الأذكار ، موجُها الأحوال ، دُعاؤُها الأعمال . السفينةُ بظهورِ الألِفِ من « بِاْسم اللهِ مَجْرَاها »[139] [١١٤] ، وإلى « إقرأ باسم رَبِّك »[١١٥] مُنْتهاها ؛ فهي تجري في بحرِ المُجاهدَة[140] ، الى أن ألقَتْها أرواحُ العناية[141] بساحلِ المُشاهَدة . فلمّا عَدَتْ بحرَ الاغترار ، وَسَلِمَتْ من لُجَجِ ثَبَجِ[١١٦] الاغيار ، مَدَّ الرائسُ رقيقَته ، ورَفَعَ بمنظومٍ عَجيبٍ عَقيرَتَه[١١٧] :

لَمَّا بَدَا السِرُّ في فؤادي ... فَنِيَ[142] وُجُودِي وَغَابَ نَجْمِي
وَجَالَ[143] قَلْبِي بِسِرِّ رَبِّي ... وَغِبْتُ عَنْ رَسْمِ حِسٍّ[144] جِسْمِي
وَجِئْتُ مِنْهُ بِهِ إلَيْهِ ... في مَرْكَبٍ من سَنِيِّ عَزْمِي
نَشَرْتُ فيهِ قِلاعَ فِكْرِي ... في لُجَّةٍ من خَفِيِّ عِلْمِي
هَبَّتْ عليهِ رياحُ شَوْقِي ... فَمَرَّ في البحرِ مَرَّ سَهْمِ

السفينة قائماً ويكون عليه الشراع . (١٠٦) يقنها : قال ابن الاعرابي : الموقونة هي الجارية المصونة المخدرة، فالأرجح أن يقنها هو :خدرها . (١٠٧) صابورها : الصابورة والصابور ما يوضع في باطن المركب من الثقل ليثقل ولا يميل الى جانبيه . (١٠٨) طوارمها : الطارمة ، بيت من خشب كالقبة ، وهو دخيل أعجمي معرب . الأرجح أنه هنا هو الصندوق الخشبي حيث توضع العدة والحبال . (١٠٩) رائسها : ربانها . (١١٠) مقدمها : هو المقدم على الجميع دون رتبة الرائس . (١١١) انكليتها : انكلية Sentine ، بمعنى قَنْطاس ، وهو حوض ماء يكون في وسط السفينة لاقامة التوازن وللاستخدام . را. تكملة المعاجم العربية، دوزي، مادة « انكلية » . (١١٢) وسقها : حِمْلُها . (١١٣) مقدمها : المقدم هو الذي يقدم الأشياء ويضعها في موضعها . (١١٤) سورة هود ، آية ٤١ . (١١٥) سورة العلق ، آية ١ . (١١٦) ثبج : ثبج البحر ، معظمه . (١١٧) عقيرته : صوته .

فَـجُـزْتُ بَـحْـرَ الـدُّنُوِّ حَـتَّـى   أبـصـرتُ جهـراً مَـنْ لا أُسَمِّي
وقـلـتُ يـا مَـنْ رآهُ[145] قـلبي   آضرِبْ لي[146] في حُبِّكُمْ بِسَهْمِ[١١٨]
فـأنـتَ أنْسي ومِـهْـرَجَـاني[١١٩]   وغـايـتي فـي الهـوى وغُـنْـمِي

قَالَ السَّالِكُ :

ثم عَرَج بي[١٢٠] حين فارقتُ الماء[١٢١] [147] ، إلى أول سماء .

***

(١١٨) بسهم : بنصيب . (١١٩) مهرجاني : كلمة فارسية مركبة من « مهر » أي محبة ، ومن « جان » أي روح ، فيكون معناها : محبة الروح ؛ أو الاحتفال العظيم . (١٢٠) عرج بي : أي رسول التوفيق . (١٢١) الماء : نرى هنا اشارة الى مفارقة السالك لركن الماء من تكوينه ؛ فيكون بذلك قد فارق عناصر تكوينه الأربعة . إذ فارق عنصر التراب في « باب عين اليقين » ، وعنصري النار والهواء في « باب العقل والاهبة للإسراء » .

القسم الثاني

١ ـ سماءُ الوزارة ، وهي الأولى ، حيث سرُّ روحانيةِ آدم عليه السّلام

٢ ـ سماءُ الكتابة ، وهي الثانية ، حيث سرُّ روحانيةِ المسيح عليه السّلام

٣ ـ سماءُ الشهادة ، وهي الثالثة ، حيث سرُّ روحانيةِ يوسف عليه السّلام

٤ ـ سماءُ الامارة ، وهي الرابعة ، حيث سرُّ روحانيةِ ادريس عليه السّلام

٥ ـ سماءُ الشرطة ، وهي الخامسة ، حيث سرُّ روحانيةِ هارون عليه السّلام

٦ ـ سماءُ القضاة ، وهي السادسة ، حيث سرُّ روحانيةِ موسى عليه السّلام

٧ ـ سماءُ الغاية ، وهي السابعة ، حيث سرُّ روحانيةِ ابراهيم عليه السّلام

يروي ابن عربي في هذا القسم رحلته في السموات السبع ، وحواره مع سر روحانية ساكنيها من الأنبياء ؛ ويفصّل في كل سماء علماً ومعرفة خاصة بالنبي صاحب السماء وساكنها .

السَّمَاءُ الأولى

سَمَاء الوَزَارة ، حَيثُ سِرُّ رُوحَانيَّةِ آدمَ عَليهِ السَّلَامِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ السَّالِكُ :

استفتحَ[١] بي[2] سماءَ الأجسام ، فرأيتُ سِرَّ روحانيةِ آدمَ عليه السلام ، وعلى يمينِه أَسْوِدَةُ[٢] القِدَم ، وعلى يسارِهِ أَسْوِدَةُ العَدَم ؛ فعانَقَني حبيبا ، وسألته عن شأنِهِ فقالَ مُجيبا :

خرجتُ يا بُنَيَّ من بلادِ المغرب[3] ، أُريدُ مدينةَ يثرب[٣] ، فسرتُ أربعينَ لَيْلَه ، سيرَ مَنْ جَرَّ في المُجونِ ذَيْلَه ؛ فلمّا وَصَلْتُها ، وانقضت الأسبابُ التي أمّلتها ، قلتُ لبعضِ رُفَقَائي ، وأخصِّ أصدقائي : هَلْ في بلدِكُم مُطْرَقٌ[٤] [4] يُصْمَدُ[5] إليه ، أو مُدَرِّسٌ يُقْعَدُ بين يَدَيْه ؟

فقالَ لي[6] : هنا[7] مُدَرِّسٌ شديدُ البحثِ والنَّظر ، صحيحُ النَّقْلِ والخَبَر ، يُكْنَى أبا البَشَر[٥] ، يُدَرِّسُ بمسجدِ القَمَر ، في أمرِهِ عُجاب ، ليس بينَكَ وبينَهُ حِجاب .

فنهضتُ كمُنْشَطٍ[8] من عِقال[٦] ، أو شاردٍ خفيفةَ أعباءٍ[9] وأثقال ،

---

(١) أي رسول التوفيق وهو الذي حضَر السالك للمعراج ورافقه فيه . (٢) أسودة : ج. سواد ، وهو الشخص لأنه يُرى من بعيد أسود ، وأسودة اليمين هم « أهل اليمن » ، أهل الجنة. (٣) مدينة يثرب : إشارة الى المقام المحمدي . (٤) مطرق : عالم ، متكهّن . الطرق : الكهانة . (٥) أبو البشر : كنية آدم عليه السلام . (٦) كمنشط : كخارج . من عِقال : من رباط .

وَدَخَلْتُ عليه[٧] في دَرْسِه ، فاسْتَنْزَلْتُ[10] رُوحانيةَ نَفْسِه ، فرأيتُ شخصاً[11] وضيءَ البَهْجة ، فصيحَ اللَّهجة ، فقامَ اليَّ تعظيما ، وأَنْزَلَني تكريما ؛ فلمّا أكرَمَ نُزْلي ، قال[٨] [12] لأصحابه : هذا مِنْ أهلي ، فَرَمَوْا إليّ بأبصارِهم ، واتّخذوني من جُملةِ إخوانِهم وأنصارِهم ، فأدركَني لِذلِكَ خَجَل ، أَوْرَثَ القلبَ عظيمَ فَرَقٍ وَوَجَل .

ثم قال لي : من أين ؟ قلت له[13] : مِنْ مَجْمَعِ البحرينَ ، ومعدِنِ القَبْضَتَين ؛ قال[٩] [14] لي : فأنتَ [15] مِنّي ؟ قلتُ له : إيّاكَ[16] أعني ؛ قال : فَبِمَاذا تَعَدَّدْنَا ؟ قلتُ له[17] : بِنَفْسِ ما اتّحَدْنا[18] ؛

ثم قلتُ له[١٠] [19] : يا سَيِّدَنَا[20] ، عَسَى فائده ، أو حِكْمةٌ زائده ، أعَرِّسُ[١١] بمَغانيها[١٢] ، وأَتَخَلّقُ بمعانيها ؛ قال[١٣] [21] ، خُذْ إليكَ ، شَرَحَ اللهُ صَدْرَكَ ونَوَّرَ جَنانَك ، وَوَفَّرَ إنعامَكَ وإحسانَك : جَذَبَني الحقُّ مِنّي ، وأفناني عَنّي ، ثم وَهَبَني الكُلّ ، لِيُحَمِّلني الكَلّ [١٤] ؛ فَلَمّا أودَعَني حُكْمَه[١٥] ، وأوقَفَني على كُلِّ سِرٍّ وحِكمه[١٦] ، رَدَّني[١٧] إليّ ، وجعلَ ما كانَ[22] على مَتْني[23] بينَ يديّ ، واتّخذَني سجيرا[١٨] ، واصطَفاني سَميرا ، وصَيَّرَ لي عرشَهُ سريرا ، والمُلْك خادماً والمَلِكَ وزيرا[24] ؛ فأقمتُ على ذلك بُرْهةً في الأزمان[25] ، لا أعرفُ لنفسي مِثْلاً في الأعيان ؛ ثم قَسَمَني[١٩] شَطْرَيْن ، وصَيَّرَ[26] الأمرَ أَمْرَيْن ؛ ثم أَحياني وأراني ، ما حَجَبَني عنه وألْهاني ؛ فقلت : هذا أنا وليسَ غيري ، فَحَنَّ النِّصْفُ إلى النِّصف ، وصَحَّ الفَرْقُ بينَ الذّاتِ

---

(٧) عليه : على المدرّس ابي البشر . (٨) قال : اي ابو البشر . (٩) أي المدرس أبو البشر .
(١٠) قلت له : أي لأبي البشر ، المدرس . (١١) أعرس : أنزل . (١٢) بمغانيها : بمنازلها . (١٣) قال : أي آدم عليه السلام . (١٤) الكَلّ : الضعيف . (١٥) أودعني حكمه : هنا بمعنى : جعلني خليفته ، وخلافة آدم واضحة في قوله تعالى . ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة / ٣٠] . (١٦) وأوقفني على كل سر وحكمة : أطلعني على الأسرار كلها، وهنا يقصد منها تعليم الحق لآدم الأسماء كلها . قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة / ٣١] . (١٧) الفاعل هو الحق تعالى . (١٨) سجيرا : خليلاً ، صفياً . (١٩) الفاعل هو الحق تعالى . (٢٠) القائل هو آدم عليه

والوَصْف ؛ فقلت[٢٠] : إلٰهي هذا الفيُّ لأي ، قال [تعالى] : إذا رَقَمْتَ بالقَلَمِ في اللوْح ، وأُفيضَ على مكتوبِك[٢١] من نُور يوح[٢٢] ، ووقعَ[27] الامتزاج ، ولاحتْ لعينِك الأمشاج[٢٣] ، عملتَ لأيْ[28] ، أوجدتُ لكَ[29] هذا الفيّ .

فَلَمّا كَتَبْتُ[٢٤] بالقَلَم ، في لَوْحِ القَدَم ، لاحَ لي سِرُّ القِدَم ، في وَجْهِ العَدَم ؛ فأنا [30] الآنَ أُدرِّسُ ما عَلِمْتُه ، وأَبُثُّ لهؤلاءِ ما عُلِّمْتُه ؛ ثم أنشدَ[31] :

يا قَمَرَ الأسرارِ يا مُلْبِسي ... غِلالةً من أخضرِ السُّنْدُسِ
أصبحتَ معشوقَ ثَرىً[32] يابسٍ ... لولا لهيبُ النارِ لَمْ يَيْبَسِ[33]
حُبِسْتَ فيه زَمَناً عاجِلاً ... لذاكَ تُدْعى صاحِبَ المحبِسِ
رأستَ فيه بعُلومٍ بَدَتْ ... فيكَ ، لولا ذاكَ لم تَرأسِ
فأنتَ[٢٥] تَسري في ثمانٍ وفي ... عشرينَ خناساً على[34] الكُنَّسِ[٢٦]
على جَوادٍ سابحٍ صِيغَ مِنْ ... نُحاسِ قاضٍ ، صَنْعَةَ المُفْلِسِ

قَالَ السَّالِكُ :

ففرحتُ بما أَوْدَعَني[٢٧] ، وسُرِرْتُ بما مَنَحَني ؛ ثم قال[35] : ارْتَقِ واستَبِق ، يبدو لكَ في السماءِ الثانية ، ما أُخفيَ لكَ من قُرَّةِ أعينٍ[36] في هذه الآنية .

السلام مخاطباً الحق تعالى . (٢١) على مكتوبك : أي على ما رقمته في اللوح . (٢٢) يوح : الشمس .
(٢٣) الامشاج : الاخلاط . (٢٤) آدم عليه السلام يروي للسالك .
(٢٥) المخاطَب هو قمر الأسرار . (٢٦) خناسا على الكنس : الكواكب الجارية . قال تعالى ﴿ فَلَا أُقسِمُ بِالخُنَّسِ . الجَوَارِ الكُنَّسِ ﴾ [التكوير / ١٥] . (٢٧) الفاعل هو آدم .

السَّماءُ الثّانيَـة

سَماءُ الكِتابَة ، حَيثُ سِرُّ روحَانيّة المَسيح عَليهِ السَّلام

بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

قَالَ السَّالِكُ :

فـاستفتحَ الـرسولُ(٢٨) الـوَضّاح ، سماءَ الأرواح ، فنُفِخَ في الصـورةِ[38] الرُّوح ، بِمُشَاهدةِ المسيح ؛

فلمّا اتصلَتْ حياتي بوجـودِه(٢٩) ، وَتَنَعَّمَتْ ذاتي[39] بشُهودِه ، وَعَمَّ النُّور جهاتِه وزواياه ، وَغَمَرَتْـهُ[40] هِباتُـه وسخاياه[41] ، وطُوِيَ بسـاطُ الظلام ، من بيوتِ الأجسام ، قال(٣٠) لي : مَرْحباً وأهلاً ، وَسَعَةً وسهلاً ، يا أيها[42] السالك حَقِّقْ ذاتي ، وانظُـرْ في صِفاتي ؛ أنا[43] الصادِرُ من خزائنِ الجُود(٣١) ، والمُفيضُ على أوّلِ مَوْجود(٣٢) ، لولايَ ما عُلِّـمَ(٣٣) الأسما ، ولا سَمَا قَدْراً على مَنْ سَمَا ، بي[44] نَـطَق(٣٤) ، ومِنْ أجلي خُلِق ، بي فُتِقَ(٣٥) أرضُـه وسماؤه[45] ، وَعَـلَيَّ قامَ عِمادُه [46] وبِناؤه .

---

(٢٨) الرسول : أي رسول التوفيق . (٢٩) بوجوده : بوجود المسيح عليه السلام . (٣٠) قال : القائل هو روحانية المسيح عليه السلام . (٣١) في قول المسيح عليه السلام أنه صادر من خزائن الجود، إشارة إلى خلقه المخصوص دون أب . قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ومِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ . . . قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَـدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ . قَالَ : كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ . إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران ٤٥ ـ ٤٧] . (٣٢) أول موجود هو آدم عليه السلام ، والجدير بالذكر أن ابن عربي أشار الى النبي محمد ﷺ بعبارة « أول مبدَع » . ر!. مقدمة الاسرا . (٣٣) عُلِّم : أي علم آدم عليه السلام . (٣٤) بي نطق : أي بي أنا روح الأرواح نطق آدم عليه السلام . (٣٥) الأولى : فُتِقَت والمراد هنا أنه بروح =

ثم رَدَّ(٣٦) وجهَهُ إلى فتى رائعِ الجمالِ ساطعِ البَهاء ، ممشوقِ القامةِ كالصَّعْدةِ(٣٧) السمراء ، وقال له[47] : قُمْ يا كاتبَ الالهام ، خُذِ الدواةَ والأقلام ، واكتُبْ في ديوانِ الأجسام ، عن أمرِ الإمام ، ما يسألُكَ[48] هذا الغُلام(٣٨) .

فخرج إليَّ كاتِبُه(٣٩) [49] ، ووزيرُهُ وحاجِبُه ، فعندما أبصرتُه مُقْبِلا ، قمتُ إليه مُرْتَجلا :

يا أيُّها[50] الكاتبُ اللبيبُ	أمرُكَ عندَ الورَى عَجيبُ
قَرَّبكَ السَّيِّدُ المُعَلّى[51]	فَيَمَّمَتْ نحوكَ القُلوبُ
لَمّا تغيَّبْتَ عن جفوني	تاهَتْ (٤٠) على الظاهرِ الغُيُوبُ
لولاكَ يا كاتبَ المعاني	ما كان لي في العُلا نَصيبُ
فاكتُبْ[52] ظهيرَ الأمانِ حتى	يُؤَمِّنَ[53] الخائفُ المُريبُ

قَالَ السَّالِكُ :

فقال(٤١) : نَعَمْ ونُعمَى عين ، دونَ ريبٍ ولا مَيْنْ .

قَالَ السَّالِكُ :

ثم كَتَبَ(٤٢) ، وأوجزَ وما أسهَب ، ووافقَ الطَّلَب[54] :

بسم الله الرحمن الرحيم(٤٣)
وَصَلّى الله على سَيِّدِنا محمدٍ[55] الكريم[56] ،

= الأرواح فتقت أرض آدم وسماؤه . (٣٦) رد : أي رد المسيح عليه السلام . (٣٧) كالصعدة : الصعدة القناة ، وهنا يراد : القد المشوق المستقيم . (٣٨) هذا الغلام : أي السالك . (٣٩) كاتبه : أي كاتب المسيح عليه السلام وهو الفتى الرائع الجمال الساطع البهاء . (٤٠) تاهت : زهت، من التيه أي الزهوّ .

(٤١) فقال : أي كاتب المسيح عليه السلام . (٤٢) كتب : أي كاتب المسيح عليه السلام . (٤٣) لقد أمر عيسى عليه السلام كاتبه بأن يكتب ظهير ولاية السالك ، وظهير الولاية هو بلغتنا ـ إن أمكن القول ـ عبارة عن : «مرسوم تولية»، أي «مرسوم تعيين في ولاية»ونجد في نظرية الولايةعند ابن عربي أن عيسى عليه السلام هو ختم الولاية المحمدية وعليه مدارُ الولاية . لذلك فكل «ولي محمدي»، من عيسى ـ عليه

هذا ظهيـرُ ولايةٍ وأمان ، أمَرَ به رُوحُ الأرواحِ[57] خليفةُ الرَّحمان .

لَمَّا تحقق لـدَيْه[٤٤] ، وثَبَتَ لـه عندمـا أوْحى[58] به إليـه ، أنَّـهُ إليهِ[٤٥] آنتهتْ الـدورةُ الآدميَّة ، وضُرِبَ لـه بسهمٍ في الدورةِ المحمـديَّـة ؛ وأنَّ سهمَهُ يصيبُ قرطاسَها[٤٦] ، وعدلَهُ يُقيمُ قِسطاسَهـا[٤٧] ؛ فعندمـا عَلِمَ أن سَهمَه لهـا مُصِيب ، ولهُ منها أوفرُ حظٍ وأكملُ[59] نَصيب، كتبَ هذا الظَهيرَ الجسيم ، إلى هذا الوليِّ الكريم .

عَهْدُ اللهِ عليه[٤٨] ، وأمانتُه لَدَيْه ، بالنظرِ السَّدِيدِ[60] فيما قَلَّـدَه ، والوفـاءِ بما عليه عَهِدَه[61] ، وقد حَمَّلَهُ الخليفةُ[٤٩] أمانتَه ، عندمـا غَلَبَ على[62] ظَنِّـهِ[٥٠] وفاؤه[٥١] [63] ودياَنتُه ، وعفافُهُ وصيانتُه ، ونفوذُهُ في الأحْكام ، وانتهاضُـه[64] في مُشكلاتِ الأوهام ، ووقوفُه عندَ حدودِ الإمام ؛

فإنْ صَبَّـر[٥٢] ظَنَّ الامامِ عِلْما ، وساسَ رَعِيَّتَهُ حرباً وسِلْما ، وعَـدَلَ في قضاياهُ وأحكامِه ، وتَوَرَّعَ[65] في وُلاتِه[66] وحُكَّامِه ، أبقَيْناهُ والياً وأيْدْنـاه ؛ وإنْ عَدَلَ[٥٣] عن هذا الشرطِ[٥٤] عَزَلْنَـاهُ وآستَبْدَلْنـاه ؛ وظَنُّنا بـه[٥٥] [67] الوقـوفَ عندَ ذلك ، والمشيَ برعِيَّتِهِ على أسهلِ المسالِك .

وأنتم معشرَ الكـافـةِ عمـومـاً وخصـوصـا ، لا تجـدون من دونِ اللهِ[68] مَحِيصا[٥٦] ؛ وها نحنُ قَلَّدنا أمورَكم[٥٦] هِزَبْراً[٥٨] سَمَيْدَعا[٥٩] [69] ، وعـزيزاً

= السلام - يستلم « مرسوم توليته » . ومما دفعنا الى تشبيه هذا الظهير بمرسوم التولية انه بعد البسملة والصلاة على النبي تأتي « الحيثيات » في المقدمة أو المطلع ، هذه الحيثيات التي تجيز لمانح الظهير ان يولّي السالك ؛ وبعد الحيثيات يأتي مضمون التولية ؛ ثم حدود صلاحيات « الولي » ومسؤولياته . وسيرد هنا بعد البسلمة نص ظهير الولاية الذي كتبه كاتب عيسى عليه السلام للسالك . (٤٤) لديه : لدى روح الأرواح أي عيسى عليه السلام . (٤٥) اليه : إلى عيسى عليه السلام . (٤٦) القرطاس : هنا الغرض . (٤٧) قسطاسها : ميزانها . (٤٨) عليه : على السالك . (٤٩) الخليفة : أي خليفة الرحمن وهو عيسى عليه السلام . (٥٠) ظنه : ظن الخليفة أي عيسى عليه السلام . (٥١) وفاؤه : أي وفاء السالك . (٥٢) صبر : صبّر السالك . (٥٣) عدل : أي عدل السالك ومَالَ . (٥٤) الشرط : شرط الولاية ، وهو ما ذكره آنفاً من سياسة الرعية والعدل في القضايا والتورع في الولاة . (٥٥) به : بالسالك . (٥٦) محيصاً : قابلاً للاعذار .

مُمَنَّعـا[70] ، وَقَصَـدْنَـا[71] أن نَتْحِفَكم[72] بِأَسَدِّ سَهْم ، ونُؤَيِّـدَكُم[73] بأجْـرإ شَهْم[74] ، فـما قَـالَ[٦٠] فنحنُ قُلْنَـاه ، ومـا فَعَـل فنحنُ فعلناه ، فبِلِسـانِنـا يَتَكَلَّم[75] ، وعن ضمائِرِنا يُترجَم .

وَوَادَعَنَـا[٦١] [76] عـلى أن يُحيِيَ مـواتَكم ، ويُؤَلِّـفَ شَتَـاتَكم ، ويؤَمِّـنَ بيـاتَكم[77] ، ويُنمِيَ نباتَكم ، ويُعَلِّـمَكم مـا لم تكـونـوا تَعْلَمـون ، ويُعَـرِّفَـكُم أنّـكم إلينا تُرْجَعون .

وإن طالتِ المُدّة ، وتَضَاعفتِ[78] العِدّة[٦٢] ، فقـولوا : سَمِعْنـا وأطَعْنا ، ولا تقولوا كما[79] قَالَ مَنْ قَبْلَكُم : « سَمِعنا وَعَصَيْنا »[٦٣] ، فَفَرَّقْناهم[80] أيـادي سَبَا ، وَقَتَلْنَاهُم بـالأهضام[٦٤] [81] والـرُّبَى ، وَتَبَّرْنـاهُم تَتْبِيرا ، وحقَّـت عليهم كلمةُ العذابِ فَدمَّرْتهم[82] تـدْميرا ، حتى مـا تركَتْ بـالديـارِ من إرَم[٦٥] ، وَعَمَّ بلاؤُها[٦٦] [83] تُبَّعاً وإرَم[٦٧] ؛

فـلا تَتَعَرَّضـوا[٦٨] بالمخـالفةِ لِسَطْوَتِنا ، ولا تَسْتَبْـطِئوا[84] عنـدَ اعتدائِكم رسولَ نَقْمتنا ، فكأن قد حَلّـت[85] بكم المَثُلات[٦٩] ، وما تَـوَعَّدْنـاكُم به عنـدَ مخالَفَتِكم آت[86] ؛

وهـا نحنُ مُنْتَظِرون لِخِـطَابِه[٧٠] بما يكـونُ مِنْكم ، وَيَنْقُلُه إلينـا عنكم ، وكـانَ ما كَـانَ فهو[87] مصـروفٌ اليكم ، وإنَّما هيَ أعمالكم تُـرَدُّ عليكم ، إنْ خيراً فَخَيْرا ، وإنْ شَرّاً فَشَرا ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْـراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَـلْ

---

(٥٧) أموركم : الخطاب لمعشر الكافة . (٥٨) هزبرا : أسـداً ، شديـداً ، صلباً . (٥٩) سميـدعا : سيداً كريماً . (٦٠) قال : أي السالك الذي ولّيناه أموركم . (٦١) ووادعنا : وعاهدنا ، أي السالك الذي ولّيناه أموركم . (٦٢) العدة : ج عدد وهو الجماعة . (٦٣) سـورة النساء ، آية ٤٦ . (٦٤) بالاهضام : الهضم بطن الوادي . (٦٥) ارم : أحد . (٦٦) بلاؤها : أي بلاء كلمة العذاب . (٦٧) تبعـاً : الظلال ، أو قوم تبع ؛ ارم : الحجارة ، أو اسم قبيلة . (٦٨) الخـطاب لمعشر الكـافة . (٦٩) المثلات : ج مثلة ، العقوبة والتنكيل . (٧٠) لخطابه : أي لخطاب السالك الذي ولّيناه . (٧١) سورة الزلزلة ، آية ٧ ـ ٨ .

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾(٧١) ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(٧٢) ، واللهُ ﴿ غَنِيٌّ عنِ العَالَمِينَ﴾(٧٣) ،﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[88] ﴾(٧٤) .

وَصَلّى اللهُ على محمدٍ[89] خاتمِ النَبِيِّين[90] ، والحمدُ للهِ رَبِّ العالمين ، والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ تعالى وبركاته(٧٥) .

قَالَ السَّالِكُ :

فأخذتُ ظهيرَ الأمان ، وصِرْتُ بَيْنَهُ وبينَ مُلْكِهِ[91] تُرْجُمان ؛ فَلَمّا رأى عَدْلي[92] فيما بهِ قَضَيْت ، وإصابَتي في كُلِّ ما حَكَمْتُ[93] وأَمْضَيْت ، قال : نِعْمَ ما بِهِ جئتَ وأنا أُجازِيك ، إذْ لا نَظيرَ يُماثِلُكَ ولا عَديلَ يُوازِيك[94] ، وإنّ[95] فوقَ هذا المقامِ(٧٦) مَقاماً عظيما ، وَمَشْهداً كريما ، وَمَنْزِلَ فَرَح ، لا تَرَح ، هو مَقَامُ الجَمال[96] ، وَمُسْتَقَرُّ الإجمال[97] .

قَالَ السَّالِكُ :

فارتفعَتِ الهِمَّةُ لِطَلَبِه(٧٧) ، وبادَرَتْ لاختراقِ[98] حُجُبِه .

---

(٧٢) سورة المدثر ، آية ٣٨ . (٧٣) سورة آل عمران ، آية ٩٧ .

(٧٤) سورة ابراهيم ، آية ١١ ؛ سورة المجادلة ، آية ١٠ ؛ سورة التغابن ، آية ١٣ . (٧٥) هنا انتهى نص ظهير الولاية ، الذي كتبه كاتب عيسى عليه السلام وبموجبه تعيّنت ولاية السالك . (٧٦) هذا المقام : أي مقام الولاية . (٧٧) لطلبه : أي لطلب هذا المقام العظيم والمشهد الكريم ، الذي هو فوق مقام الولاية .

السَّماءُ الثالثة

سماءُ الشهادة ، حيثُ سِرُّ روحانيّة يوسُفَ عليه السَّلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ السَّالِكُ :

فاستفتح(٧٨) لي سماءَ الجَمَال ، ومعدِنَ الجلال ، ففُتِحَتْ وَسَلَّم(٧٩) ، وَمَلَّكَ (99) لي زِمَامَ أمنِها(100) وَسَلَّم(٨٠) ؛ فقصدتُ ساكنَ قصرِها ، ورئيسَ مصرِها ، فرأيتُ بفنائه كافةَ أصحابِها(٨١) (101) ، فعدَلْتُ إلى خادمِ بابِها ، وسألتُه(102) ما الخَبَر ، وما هذا الجَمْعُ المُنْتَشِر ؟ فقال : نِكاحٌ عُقِد ، وعُرسٌ شُهِد .

قَالَ السَّالِكُ :

فشاورتُ عليه(٨٢) فَأَذِن ، ودخلتُ عليه(٨٣) غيرَ جَزِعٍ ولا وَهِن ، وبادرتُ بالسلامِ فَرَدّ ، وَقَصَّ عنّي جناحَ الخَجَلِ وَقَدّ(٨٤) ، ودخلَتْ(103) عِرْسُهُ خِدرَها ، وأسدلَتْ دونَها(104) سِتْرَها(105) ؛

فَقمتُ على ساقِ الثنا ، وبدأتُ بِذِكْرِ مَنْ لَهُ الأسماءُ(106) الحُسنى(٨٥) ، وَثَنَّيْتُ بالصَّلاةِ على مَنْ كان قابَ قَوسَيْنِ أَوْ أدنى(٨٦) ، وَثَلَّثْتُ بالثَّناءِ الأعطرِ

---

(٧٨) فاستفتح : أي رسول التوفيق ، وهو الذي حضّر السالك للمعراج ورافقه فيه . (٧٩) وسلم : ألقى السلام . (٨٠) وسلم : وأعطى ، من التسليم . (٨١) أصحابها : أي أصحاب سماء الجمال . (٨٢) عليه : أي على خادم بابها . (٨٣) عليه : أي على ساكن القصر . (٨٤) وقدّ : وقطع مستأصلاً . (٨٥) من له الأسماء الحسنى : الله تعالى . (٨٦) من كان قاب قوسين أو أدنى : هو محمد =

الأحْفَلِ على صاحبِ ذلكَ المَحَلِّ الأسنى(٨٧)[107] ؛ وقلتُ :

مرحباً بهذا الابتناءِ(٨٨) السعيد ، والانتظامِ الجميلِ الحميد ، الذي عَمَّ سرورُه[108] القلوبَ وغَمَرَها ، وأهْلَ المَهامِهَ(٨٩) وعَمَرَها ، بِسَيِّدَةِ البنات ، ومنيرةِ الظُّلُمات ، التي سَحَرَتْ بابِل ، وَرَمَتْهم بِنَبابِل ؛ فَلَمْ أَرَ كَإملاكٍ بين أملاكٍ(٩٠) ، ولا كإرخاءِ ستورٍ[109] الأفلاك ، على عَرْشِ السِّماك(٩١) ، ولا كَشَرَفٍ نَبُهَ[110] على شَرَفٍ أثيلٍ(٩٢) ، ولا كَسَعْدٍ أَقَرَّتْ لَهُ السعودُ بالتَّفْضيل ، ولا كَنِسبَةٍ آذَنَت باطِّرادِ الأمل ، واقترابِ[111] الشمسِ في بيتِ الحَمَل ؛ هنيئاً بما أَقْرَنَ[112] مِنْ سعادات ، وانْضافَ[113] مِنْ قِطَعٍ(٩٣) حُسْنٍ متجاورات ، واتَّسَقَ مِنْ أقمارِ مَجْدٍ وَنَيِّرات ، فـ ﴿ الطيباتُ للطيبينَ والطَّيِّبونَ للطَّيِّبات ﴾(٩٤) ، إلَيْكُموها ساعَدَكم السَّعْدُ صَفْقَةً رابِحة ، وحالَةً مُبارَكَةً صالحة ، أهلاً للإغتِباط ، وَمَحَلًّا للإرتباط ، ودخولاً ﴿ بِسَلامٍ آمنين ﴾(٩٥) وَمُبَشِّراً بالرِّفاءِ والبَنين ؛ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، وصلى اللهُ على سيِّدِنا محمدٍ والنبيين[114] .

قَالَ السَّالِكُ :

فعندما فَرَغْتُ من الكلام ، وَخَتَمْتُ بالصلاةِ والسلام ، تَحَرَّكَ السِّتْرُ قليلا ، وانْبَعَثَ صوتٌ كما هَبَّ النسيمُ عليلا ، وقال :

وَمَنْ تَكُنِ الزَّهراءُ عِرساً[115] لـه فَقَدْ
تَتَوَّجَ بالجَوْزاءِ(٩٦) وانْتَعَلَ الشِّعرى(٩٧)
أيا[116] زهرةَ الروضِ المُمَسِّكِ عَرْفُهُ(٩٨)
وَهَلْ زهرةٌ أخرى تُضاهي سَنا الزَّهرا(٩٩)

= ﷺ ، قال تعالى ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ . (٨٧) صاحب ذلك المحل الأسنى : هو صاحب سماء الجمال ، أي يوسف عليه السلام . (٨٨) الابتناء : الزفاف ، الزواج . (٨٩) المهامه : مفردها مَهْمَه وهي البلاد البعيدة المقفرة . (٩٠) كاملاك بين أملاك : الإملاك : التزويج ؛ وأملاك : ج مَلَك . (٩١) السماك : كوكب نيِّر معروف . (٩٢) اثيل : أصيل . (٩٣) قطع : ج قطعة . (٩٤) سورة النور ، آية ٢٦ . (٩٥) سورة الحجر ، آية ٤٦ .

(٩٦) الجوزاء : برج في السماء . (٩٧) الشِّعْرَى : هو الكوكب الذي يطلع في الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر . (٩٨) عرفه : ريحه . (٩٩) الزهرا : الكوكب الأبيض .

قَالَ السَّالِكُ[117] :

فقلتُ لها : أمّا أنتِ فَعرفْتُك ، وَنَعتُّكِ آنِفاً وَوَصَفْتُك ، وأُريدُ مِنْكِ أنْ تُعَرِّفيني بمقامِ سَيِّدِكِ هذا[١٠٠] وَخَبَره ، وتُطْلِعيني على عُجَرِهِ وبُجَره[١٠١] . فقالت :

أيُّها العربُ[١٠٢] الغَريب ، والطَّريفُ الظريف[118] ، فَدَيْتُكَ بالتَّالِدِ[119] والطَّريف[١٠٣] ، على الخَبير سَقَطْت ، وعندَ ابنِ بَجْدَتِها[120] [١٠٤] حَطَطْت ؛ لكنَّكَ لما سألتَ عن غايةٍ لا تُدْرَك ، وصفةٍ لا يُحاطُ بها عِلماً ولا تُمْلَك ، تَعيَّنَ عليَّ[121] أنْ أُلَوِّحَ لكَ منها على مِقدارِ فهمِك ، وأُوقِفَكَ مِنْ شأنِهِ على ما قُدِّرَ أنْ يكونَ في عِلْمِك ؛ ثم أشارَتْ إليَّ من وراءِ سترِها ، ومصونِ خِدْرِها ، وقالت :

هذا[١٠٥] أمينُ الأُمَنا ، وجمالُ النُّبا[١٠٦] [122] ، وبَعْلُ[123] الزَّهرا ، أبصرَتْهُ اللَّواهيت[١٠٧] ، فَحَرَّقَت النَّواسيت[١٠٨] ، وَرامَتْ الخروجَ إليهِ عِشْقا ، وانقادَتْ له مِلْكاً وَرِقًّا[١٠٩] ، فَصَرَفَ[١١٠] وجهَهُ وأَعْرَض ، وقد أمرضَ وما مَرَّض[١١١] ، وإلى طلبِ الزيادةِ تَعَرَّض[١١٢] ، وسَحَرَ الأذهان ، وَعَطَّلَ الأديان ، وكان[124] سيفَ نَقْمَةٍ[125] على كُلِّ عدوٍ بعيدٍ أو دَان ، وسببَ نِعمةٍ على كلِّ مُحِبٌ قَرُبَ أوْ بَان ، سَجَدَتْ إليهِ زُهْرُ[126] الكواكِب ، وارتاعَتْ

---

(١٠٠) سيدك : زوجك ، والإشارة هنا الى يوسف عليه السلام . (١٠١) عجره وبجره : تعبير تقوله العرب عند طلب الاطلاع على كل شيء بما في ذلك مساوىء الشخص ومعايبه . (١٠٢) العريب : الرجل . (١٠٣) التالد : القديم ؛ الطريف والطارف : الجديد . (١٠٤) ابن بجدتها : عبارة تطلق على العالِم بالشيء المتقن له ؛ كذلك تُقال للدليل الهادي .

(١٠٥) المشار اليه هنا هو يوسف عليه السلام . (١٠٦) النبآ : النُّبَآء ، أي الأنبياء . (١٠٧) اللواهيت : ج لاهوت ، بمعنى الروح . (١٠٨) النواسيت : ج ناسوت ، بمعنى الجسم . (١٠٩) نجد أن ابن عربي هنا يشير الى موقف النسوة من يوسف عليه السلام قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف/٣١] . (١١٠) فصرف : أي يوسف عليه السلام . (١١١) وما مرّض : وما داوى . (١١٢) نجد أصل هذه المعاني في سورة يوسف حيث راودته امرأة العزيز عن نفسه فأعرض . قال تعالى مخبراً عن امرأة العزيز ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ . قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف ٣٢ ـ ٣٣] .

لِمَوَاضي[127] أَسِنَّتِهِ قلوبُ المَواكِب ،وأَعْطَتْهُ المملكةُ مقاليدَهـا ، وَهَبَتْه مطاريفَها وَمَتَاليدها[128] ، وَملَّكَتْهُ الخلافةُ أزِمَّتَها[١١٣] ، فَخَفَر[١١٤] [129] عَهْدَها وَذِمَّتَها ، ولم يَزَلْ يَسُوسُ مملكتَهُ بِحُسْنِ النَّظر ، ويُقيمُها بِسَديدِ نتائجِ الفِكَر ، حتى قامتْ الـدولةُ عـلى ساقِهـا ، وَعَمَّتْها خيـراتُـهُ عـلى بُعْـدِ أقـطارِهـا وآفـاقِهـا ، وَتَجَلّـى شمساً[130] باهرةً بين أَزُرتِها وأُطواقِهـا[١١٥] ، وحيدَ دَهْـرِه ، وفريـدَ عصرِه ، في بحبوحَةِ مُلكِه ، لا يُبْصِرُ شيئاً خارجاً عن مِلْكـه[131] ، فَرِدَاؤه جَـلاَ[١١٦][132] ، وَفَقْدُهُ عَمَى[١١٧][133] .

قَالَ السَّالِكُ :

فسمعتُ عَجَبـا ، وَوَدَّعْتُ[١١٨] أبتغي في السماءِ الـرابعـةِ نَسَبـا ، وأَطْلُبُ فيها[134] سَبَبَا .

---

(١١٣) نجد أصل هذه المعاني في سورة يوسف ، في قوله تعالى : ﴿ قَالَ اجعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ . وَكَـذَلِكَ مَكَّنَّـا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَـا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ [يوسف ٥٥ ـ ٥٦] . (١١٤) فخفر : فحفظ ، فمنع . (١١٥) ازرتهـا : ازرة الـدولـة هم عظماؤها ؛ أطواقها : أقوياء الدولة . (١١٦) فرداؤه جلا . تحتمل معنيين الأول أن رداء يوسف عليه السلام أي قميصه الذي قُدَّ من دبر حلا الشك الذي لحق بـه وأظهر بـراءته من تهمـة إمرأة العـزيز . والمعنى الثاني أن قميصه الذي أرسله إلى أبيه جلا العمى عن أبيه وارتد بصيراً . (١١٧) اشارة إلى أن فقد يوسف أعمى والده . (١١٨) وودعت : ودّع السالك «الزهـراء» ، التي كانت تكلّمـه من وراء سترها .

السَّمَاءُ الرَّابِعَة

سَمَاء الامَارة ، حَيثُ سِرُّ روحَانيَّة إدريس عَليه السَّلَام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ السَّالِكُ :

فاستفتحَ(١١٩) بي(136) سماءَ الإعتِلاء ، وقيلَ [لي](137) : مرحباً بِسَيِّدِ الأولياء ؛ الاعتصامُ(138) مُحيط ، بجوهرِك البسيط ؛ فقلت : نِعْمَ ما بَشَّرتَ بِهِ(١٢٠) وَبَيَّنْت ، ـ فَبِمَقَامِكَ العَلِيِّ ـ مَنْ أنت ؟ قال : أنا مَعدِنُ الجلالة ، والطَّيِّبُ(139) السُّلالة ، أبو العَلا[ء] (١٢١) سَيِّدُ المَهَاةِ والغزالة ؛ فأنشدتُه ، من عظيمِ ما وجدتُه :

هنيئاً لأهلِ الشرقِ(140) في حضرةِ القُدْسِ
بشمسٍ جَلَتْ أنوارُها ظُلْمَةَ الرَّمْسِ(١٢٢)
وَجَلَّت عنِ التشبيهِ فَهْيَ فريدةٌ
وَلَيْست بِفَصْلٍ في الحُدودِ ولا جِنْسِ
وَنُدرِكُ منها في كمالِ وجودِنَا
كما يُدرِكُ الخَفَّاشُ(١٢٣) من باهرِ الشمسِ

---

(١١٩) فاستفتح : أي رسول التوفيق الذي حضَر السالك للمعراج ورافقه فيه . (١٢٠) ما بشرت به : البشرى في قوله « سيد الأولياء » ، واشارته إلى الاعتصام والعصمة . (١٢١) أبو العلاء : عرَّف ادريس عليه السلام نفسه بأبي العلاء ، لأن الحق تعالى رفعه مكاناً عليّاً ، قال عزّ وجل ﴿ ورفعناه مكاناً عليّاً ﴾ . (١٢٢) الرمس : القبر . (١٢٣) الخفاش : الوطواط ، وهو لا يبصر في النور .

فَلِلّـهِ مــن نـورٍ أَتَـتْـهُ رسـالـةٌ
تُـصـانُ عـن الـتـخـمـيـنِ والـظَّنِّ والحَـدْسِ
أتـانـا بـهـا والـقـلـبُ ظـمـآنُ تـائـقٌ(141)
إلى المَـلإِ الأعـلى إلى حـضـرةِ الـقُـدْسِ
فـجاءَ ولم تُحـفـل بـبـيـوتٌ(142) كـثـيـرةٌ
فَـخَـاطَـبـهـا مِـنْ حـضـرةِ الـنَّـعْـلِ والـكُـرسي
أنـا الـبـعـلُ والـعِـرسُ(143) الـكـريـمُ رسـالـتي
فـللهِ مـن بـعـلٍ وللهِ مـن عِـرْسِ
غَـرَسْـتُ لـكـم غُـصْـنَ الأمـانـةِ نـاعِـماً(144)
وإنّي لَجَـاني(145) بَـعْـدَهُ ثَـمَـرَ الـغَـرْسِ
تَـوَلَّـعْـتُ بـالـتـبـلـيـغِ لَمّـا تَـبَـيَّـنَـتْ
أمـورٌ تُـرَقِّـيـني عـن الإِنْـسِ والأُنْـسِ(146)
وَرُحْـتُ وقـد أَبْـدَتْ بُـروقـي ومـيـضَـهـا
وجـزتُ(147) بِـحـارَ الـغَـيْـبِ في مَـرْكَـبِ الحِسِّ
وَنمْـتُ ومـا نـامَـتْ جـفـوني غَـدِيَّـةً(١٢٤)
وَتِهْـتُ بـلا تِـيـهٍ عـلى الجـنِّ والإنْـسِ
فـيـا نَـفْـسُ هـذا الحَـقُّ لاحَ وجـودُهُ
فـإيـاكِ(148) والإنـكـارَ يـا نـفْـسُ يـا نـفـسي(149)

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ افْتَرَّ(١٢٥) عن وميضِ بَرْق ، شَقَّ به دُجُنَّةَ الفَرْق ، وقال(150) : كيفَ رأيت ؟ أردتُ أن أعربَ لكَ عن ماهِيَّتِي ، وأُغربَ عليكَ بجميعِ هَوِيَّتِي ، [أ] رأيتَ أيها السّالكُ كيفَ فَنِيَتْ الأغيار ، وطُمِسَتْ(١٢٦) الأنوار ، وَسَرَحَتْ

---

(١٢٤) غدية : بكرة ، أو بين الفجر وطلوع الشمس .

(١٢٥) افتر : أي افترّ ثغرُ ادريس عليه السلام . (١٢٦) طمست : الطمس هو ذهاب رسوم وصفات

الأفكـار ، وَنَمَتْ (١٢٧) الأنهار ، وَنَمَّتْ(١٢٨) الأزهـار ، وَتَبَيَّنَتْ حقيقـةُ الإصطِلام(١٢٩) ، وأشرقَتْ أرضُ الأجسام . [أنـا] دللتُ(151) على البَقا ، وصرتُ(152) مَحَلَّ الارتقا ، إلى وجودِ اللقا ؛ أنا أسَدُّ دَليل ، على أوضحِ سبيل ، لا يُقْضَى عَلَيّ ، ولا يُنتَهى إليّ ؛ استويتُ على عرشي ، واَضطَجَعْتُ على معالِمِ (153) فرشي ، وَصَحَّ لي مُرادي ، وحَمِلتُ عاقبةَ اعتقادي .

قَالَ السَّالِكُ :

فقنعتُ بما أفاد(١٣٠) (154) ، ولو استزَدْتُه(155) لزَاد .

ـ العبد السالك بالكلية . را . «تعريفات الجرجاني»، مادة « طمس » . (١٢٧) نمت : زادت من النماء . (١٢٨) نمّت : أبانت رائحتها . (١٢٩) الاصطلام : نعت وَلَه يرد على قلب العبد ، فيسكن تحت سلطانه . را . «اصطلاحات ابن عربي» ، مادة الإصطلام . (١٣٠) أفاد : أي ادريس عليه السلام .

السَّماءُ الخامِسَة

سَماءُ الشرْطَة[156] حيثُ سِرُّ روحانيّة هارون عليه السَّلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ السَّالِكُ :

فاستفتحَ[١٣١] لي سماءَ الشُّرطة ، وقالَ لي : استفتحتُ[158] سما [ءَ] من أُوتِيَ في العِلْمِ بَسْطَة[١٣٢] ،

فَلَمَّا فُتِحَ لي بابُها[١٣٣] ، آعترضَ[159] لي بَوّابُها ، وقامَ إليَّ حُجَّابُها [160] ، وقالوا : مَنْ الطارق ؟ ومُخْتَرِقُ هذه الطرائق ؟ فقلت: ضَيْفٌ وَرَدَ عن أمرِ صاحبِ المنزل ، فلمْ يُوجَدْ عن رَحلِهِ بِمَعْزِل ، وَقَطَعَ[161] الدَّوّ[١٣٤] ، واخترَقَ الجَوّ ، وها هُوَ قد حَطَّ رَحْلَه بِفِنائِه ، فَمَنِ المُتَكَفِّلُ بتبليغِ قدومِه[162] للحضرةِ وإنهائِه ، ولولا[163] ما نَشَأَتْ[164] ناشية ، وَغَشِيَتْ غاشية ، أدَّتْ إلى تحريكِ[165] الخُوار[١٣٥] ، والاستظهارِ بالزئيرِ على الخُوار[١٣٦] ، ما قَطَعْتُ هذه الأقطار .

---

(١٣١) أي رسول التوفيق الذي حضّر السالك للمعراج ورافقه فيه . (١٣٢) ان الذي أوتي من العلم بسطة بنص القرآن هو الملك طالوت ، قال تعالى على لسان بني اسرائيل ﴿ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ [طالوت] عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ والجِسْمِ ﴾ [البقرة/٢٤٧] ؛ ولكن المراد هنا هارون عليه السلام ، وقد ثبتَ له الفصاحة والبيان بشهادة موسى ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص/٣٤] . (١٣٣) بابها : أي باب السماء الخامسة . (١٣٤) الدّو : الفلاة . (١٣٥) الحوار : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم ويفصل ، وهنا نجد أن ابن عربي يشير الى العجل الذي عبده بنو اسرائيل .

(١٣٦) الخوار : صوت البقرة والغنم . وهنا نجد إشارة الى خوار العجل الذي عبده بنو اسرائيل في غياب موسى وبوجود هارون .

فَبادَرَ صاحبُ شُرطتِه الأحمر ، وقال : مرحباً بسيِّدِنا الأكبر ، أنا[166] المُتَكَفِّلُ بإنهائِه ، في[167] حُلَّةٍ بهائِه[168] ، وهل يُدَّخَرُ السهمُ السديدُ[169] إلاّ ليَومِ النِّضال ، أو تُنْشَرُ كُتُبُ جالينوس[١٣٧] إلا لمعالجةِ[170] الداءِ العُضَال ؟

ثم أدخَلَني[١٣٨] عَلَيْه[١٣٩] ، وأقْعَدَني[171] بينَ يَدَيْه ؛ فلَمّا أبصرني[١٤٠] أطلقَ مُحَيَّاه ، وقالَ : حَيّا اللهُ السيِّدَ وَبَيَّاه ؛ ثُمَّ قالَ لوزيرِه : خاطِبْهُ عنّي[172] بلسانِ الصَّواب ، وَعَرِّفْهُ بي[173] بَيْنَ الحِكمةِ وفَصْلِ الخِطاب .

فَجَرَّدَ الوزيرُ عن ساعِدِهِ الأشدّ ، وَضَرَبَ بلسانِه أرنَبَةَ أنفِهِ وأنشد :

هذا الخليفةُ هذا السيِّدُ العَلَمُ
هذا المَقامُ وهذا الرُّكْنُ والحَرَمُ[174]
سادَ الأنامَ ولم تَظْهرْ سيادَتُهُ
لَمّا بَدَا العِجْلُ للأبصارِ والصَّنَمُ[١٤١]
ما زالَ يَدْعُو قويماً[175] هَمُّهُم أبداً
في نَيْلِ ما نالَهُ[176] موسى[١٤٢]، وما عَلِمُوا
أنَّ العِيانَ حَرامٌ ، كُلَّما نَظَرَتْ
عينُ البصيرةِ شيئاً ذاتُه عَلَمُ

---

(١٣٧) جالينوس : طبيب يوناني من القرن الثاني ق.م. له اكتشافات هامة في التشريح ، وهو مرجع كبير لأطباء العرب . (١٣٨) ادخلني : أي أدخل صاحب الشرطة السالك . (١٣٩) عليه : على هارون عليه السلام . (١٤٠) هارون عليه السلام . (١٤١) ان سيادة هارون على قومه لم تكن حاسمة ظاهرة ، فهاهم قومه قد استمروا في عبادة العجل الى حين عودة موسى عليه السلام . قال تعالى : ﴿ فأَخْرَجَ [السامري] لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [سورة طه / ٨٨ - ٩٢] . (١٤٢) المراد ان هارون ما زال يدعو قومه ، الذين يسعون لنيل ما ناله موسى ، أي يطلبون رؤية الحق تعالى .

هذا الخليفةُ العَليّ ، المنيعُ [177] السَّنيّ ، سَقَاهُ كأسَ الذُّل ، مَنْ أوى إلى الظِّل (١٤٣) ، فناداهُ بذاتِ الرَّحِم(١٤٤) ، وقد عَلِمَ[178] أنّه « لا عاصِمَ اليومَ من أمرِ اللهِ إلا مَنْ رَحِم »(١٤٥) ؛ فَسَوَّى(١٤٦) بينهما(١٤٧) في النّورِ والضِّياء ، وتَبَرَّزا في صدورِ الخلفاء ، فما هَلَكَ امرؤٌ عَرَفَ قَدْرَه ، ولا جُحِدَ نورُ شمسٍ لم يُبْرِزْ بَدْرَه .

قَالَ السَّالِكُ :

فَلَقَطْتُ من شُذوره(١٤٨) ، واقتبستُ من نُوره ، وأزالَ غاشِيَتي على حَسْب ما أعطاهُ الحال ، وأخذتُ في التَّرْحال .

---

(١٤٣) من أوى الى الظل هو موسى عليه السلام ؛ قال تعالى ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إلى الظِّلِّ ﴾ [القصص/٢٤] . (١٤٤) ان موسى حين علم بعبادة قومه للعجل من بعده أخذ بلحية أخيه هارون فناداه هارون يا ابن أم ؛ وهذا النداء هو الذي أشار اليه ابن عربي بقوله : بذات الرحم ؛ لأن القرابة من جهة الأم هي قرابة رحم . (١٤٥) سورة هود ، آية ٤٣ . (١٤٦) فسوى : سوّى الحق عزّ وجل . (١٤٧) بينهما : أي بين موسى وهارون عليهما السلام . (١٤٨) شذوره : أي شذور كلامه ، والواحدة شذرة وهي اللؤلؤ الصغير .

السَّمَاءُ السَّادِسَة
سَمَاءُ القُضَاة ، حَيثُ سِرُّ روحَانيّة مُوسى عَليهِ السَّلَام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ السَّالِكُ :

فاستفتحَ لي رسولُ الإلهام(١٤٩) ، سماءَ الكلام ، فرأيتُ سِرّ(١٧٩) روحانيةِ موسى عليه السلام ؛ فبادرتُه مُسَلِّما ، وَقَعَدْتُ بينَ يديْهِ مُستسلِما ، وعلى رأسِهِ شيخٌ جميل ، ليس بالقصيرِ ولا بالطويل ؛

فقال(١٥٠) لي : هذا الشيخُ هو قاضي القضاة ، ورئيسُ الوُلاة ، وإليه تَرجِعُ أحكامُ السماوات ، وقد أتى إليّ(180) في نازلةٍ عَمِيَتْ عليه ، وأنا الآنَ أُودِعُها لَدَيْه(181) ، فخذْ حظَّك منها ، واعلمْ أنك مسؤولٌ عنها . ثُمَّ صرفَ وجهَهُ إليه(١٥١) (182) وقال : أيُّها القاضي لَخِّصْ سؤالَك في أَوْجَزِ(183) عِبارة ، واقنعْ في الجوابِ بأدنى إشارة ؛

قالَ (184) القاضي : سألَ العبدُ الذليلُ الأدنى ، سَيِّدَهُ العزيزَ الأسنى ، هل يَصِحُّ فناءُ الاسم ، مع(185) بقاءِ الرَّسم ؟

فقالَ له الإمام(١٥٢) : أَلَمْ تعلمْ أيُّها القاضي أنَّ كُلَّ مخلوقٍ مجبور ،

---

(١٤٩) رسول الالهام : هو رسول التوفيق الذي حضر السالك للمعراج ورافقه فيه . (١٥٠) فقال : أي موسى عليه السلام . (١٥١) أي صرف موسى وجهه الى الشيخ . (١٥٢) الامام : أي موسى عليه السلام .

فكيف يُحيطُ بالحقيقةِ محصور ؟! العارفُ كلامُهُ مُغْرِب[186] ، وبعثُهُ[187] بالمَغْرِب[188] ؛ والوارثُ كلامُهُ مُشْرِق ، وبعثُهُ بالمَغْرِبِ والمَشْرِق[189] . فالمُحَمَّدِيُّ يُعْري الأسرار ، ويكسو الأسوار[190] ، وقلبُه بالحقيقةِ مَعْمور ، وبِشَاهِدِ[191] الطريقةِ عليه مستور ؛ جُرِّدَ عن الغَيْر ، وأُوضِحَ له المُرادُ فَجَدَّ في السَّيْر ؛ فشاهَدَ مِنْ ذاتِهِ ذاتَه ، ومن صفاتِهِ صفاتِه ، ومن أفعالِهِ أسماءَه[192] ، ومِنْ أرضِهِ سماءَه[193] . ثم فَنِيَ عنه بالكُلِّيَة ، واستوتْ[194] على عرشِهِ[195] صفاتُ الآلهيّة ، فَصَحَّ[196] هنالك بقاءُ رَسْمِ العُبودية ؛ ومِنْ هنا قالَ مَنْ قال : إيَّاكَ وإفشاءَ سِرِّ الربوبية[197] . إذا مُحِيَ(١٥٣) الوارثُ عن نفسِه ، فلا فائدةَ لهُ إلا قيامُهُ من رَمْسِه(١٥٤) [198] ، وفناؤُه عن حَرَكَتِهِ وَحِسِّه ؛ فإذا غَرِقَ في هذا البحرِ غَرِقَ في المِنَّة(١٥٥) [199] ، فَوَجَبَ عليهِ إقامةُ الفرضِ والسُّنَّة .

فأقرَّ القاضي بشفائه واعترف ، وشكر على ما سمع وانصرف .

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ صَرَفَ (١٥٦) إليَّ وَجْهَه ، وتلا قولَهُ تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾(١٥٧)، ثم قالَ(١٥٨) :

اعْلَمْ أنَّكَ قادمٌ على رَبِّك ، ليكشِفَ لَكَ عَنْ سِرِّ قلبِك ، ويُنَبِّهَكَ على أسرارِ كتابِه ، ويُعطيكَ مفتاحَ قُفْلِ بابِه ، ليكمُلَ ميراثُك ، ويَصِحَّ انبعاثُك ، وهو (١٥٩) حَظُّكَ مِنْ « أوحَى إلى عَبْدِه »(١٦٠) ؛ فلا تطمعْ في تخصيصِك

---

(١٥٣) محي : المحو ذهاب الشيء إذا لم يبق له أثر ، وإذا بقي لـه أثر يسمى الصوفية ذلك طمساً . را . المعجم الصوفي ، للمحققة ، مادة « المحو والإثبات » . (١٥٤) رمسه : قبره .

(١٥٥) المنة : الوهب الالهي . والعطاء الالهي للإنسان هو نوعان عند ابن عربي عطاء يستحقه الانسان جزاء أفعاله ، وعطاء يهبه الله عزّ وجل للانسان منةً وفضلاً منه . انظر ، المعجم الصوفي ، للمحققة ، مادة « المنة والاستحقاق » .

(١٥٦) أي موسى عليه السلام . (١٥٧) سورة البقرة ، آية ١٤٨ . (١٥٨) قال : أي قال موسى عليه السلام ينصح وينبّه السالك . (١٥٩) وهو : أي الميراث . (١٦٠) ذلك الباب : أي باب التشريع والنبوة وإنزال الكتب .

بشريعةٍ ناسخةٍ مِنْ عندِهِ ، ولا في إنزالِ كتابٍ ، فقد أُغلِقَ ذلـكَ الباب(١٦٠) ، إذ كانَ محمدٌ ﷺ لَبِنَةَ الحائط(١٦١) [200] ، فكُلُّ دليلٍ على مخالفتِه ساقط .

ثم أنتَ(١٦٢) بعـدَ حصولِـكَ في هذا المقـام(١٦٣) ، وتحصيلِكَ لِمَا نَـطَقَ به صريفُ الأقلامِ ، تَرجعُ مبعوثا ، وكما أنتَ وارثٌ لا[201] بُدَّ أن تكونَ موروثا .

فعليكَ بالرِّفقِ ، في تكليفِ الخَلْقِ ، فإنَّ حضرةَ الفَرْقِ(١٦٤) ضعيفـةٌ عن حَمْلِ العَهْدِ ، والـوقوفِ عنـدَ الحَدِّ . فَسَـلْ مولاك ، إذا نـاجاك ، وسَـلِ[202] ٱلتخفيفَ عن رعيتِـكَ في كُـلِّ شيَءٍ ، مـا لَمْ يَقُـلْ لَـكَ « مـا[203] يُبَـدَّلُ القـولُ لَـدَيَّ »(١٦٥) ، فـإذا سمعتَ هـذا الجَـزْمَ ، فـلا فـائـدةَ في الإلحـاحِ في المسئلةِ والعَزْمِ ، واسألِ العَوْنَ ، ما دُمْتَ مُدَبِّرَ ٱلكَوْنِ(١٦٦) [204] ، فطالَ[205] واللهِ ما أَنْهَكَتْني المَشَقَّـة ، وقَطَعَ بي بُعْدُ الشُّقَّـة ؛

وهذه وصيتي فٱعلَم ، دللتُكَ بها على الطريقِ الأرفقِ فٱلزَم[206] .

قَالَ السَّالِكُ :

والله يـا سيدي لقـد عملتُ أنَّ المعارفَ لـديكَ قـد استقرّت ، وحبـائلَ الحقيقةِ إليكَ قد اسبَطَرَّت(١٦٧) ؛ فقال لي(١٦٨) : وَمَنْ لي بِصِدْقِ هـذا النُّطْقِ ، ولعلَّـهـا دَعوى بَـرِيَّـةٌ مِنَ الحَقِّ ، فقلت له : في نَـظمي يَتَبَيَّـنُ لَكَ مـا ٱستقرَّ في عِلْمي ، فقـال : أنشدْ حتى اعـرفَ أينَ أنت ، وأُجَـوِّزَكَ(١٦٩) [207] إن أعـربتَ عن دعواكَ وَبَيَّـنْت .

---

(١٦١) لبنة الحائط : اشارة الى « تمام اللبن » ، راجع فهرس الأحاديث ، حديث رقم ٤ .

(١٦٢) انت : الخطاب للسالك . (١٦٣) هذا المقام : أي مقام كمال الارث .

(١٦٤) حضرة الفرق: أي عالم الخلق والمخلوقات . (١٦٥) سورة ق ، آية ٢٩ .

(١٦٦) مدبر الكون : الاشارة الى الغوث ، صاحب الوقت .

(١٦٧) اسبطرت : امتدت . (١٦٨) فقال لي : أي فقال موسى عليه السلام للسالك .

(١٦٩) أجوزك : ادعك تمر وتجتاز ، وهنا ادعك تجتاز الى السماء التالية ، وهي السابعة .

قَالَ السَّالِكُ :

فأنشدتُه :

السـسرُّ مـا بـيـنَ إقـراري وإنـكـاري

في المشتري لي وَهَمٌ[١٧٠] المُدْلجِ السّاري[١٧١]

لِمَ لا تقـولُ وقـد أودعت[208] سـرهـا … أنـا المـعـلـم لـلأرواح أسـراري

أنا المُكَلَّمُ[209] من نارٍ حَجَبْتُ به[210] … نوراً فخاطبتُ ذاتَ النورِ في النَّارِ[211]

أنـا الـذي أوْجَدَ الأكـوانَ مُـظْلمـةً … ولـو نَشَـاءُ[212] لكـانَـتْ ذاتَ أنـوارِ

أنا الذي أوْدَعَ الأسـرارَ في شَبَحٍ[213] … مجمـوعـةً[214] لم يَنَلْهـا بؤسُ أغْيـارِ

يـا ضـاربـاً بعصـاهُ صَلْدَ[١٧٢] رابيـةٍ … شمسٌ وبدرٌ وأرضٌ[215] ذاتُ أحجارِ

فأعْجَبْ إلى[216] شَجَرٍ[١٧٣] قاضٍ على حَجَرٍ

وأنـظُرْ[217] الى ضـاربٍ مـن خَـلْفِ أسـتـارِ

لقـد ظَهَرْتَ فمـا تخْفى عـلى أحَـدٍ … إلاّ عـلى أحـدٍ لا يـعـرفُ البَاري

قَـطَعْتُ شرقـاً وغـربـاً كي أنـالَـكُمُ … عـلى نجائبَ[١٧٤] في ليلٍ وأسحارِ

فلم أجِـدْكُم ولَمْ أسمعْ لكم خَبَـراً … وكـيـفَ تَـسْمَـعُ أُذُنٌ خـلفَ أسـوارِ

أمْ كـيفَ أُدرِكُ مـن لا شيءَ يُشْـبِهُـهُ … لقد جَهِلْتُكَ إذْ[218] جـاوزتُ مِقْداري

حَجَبْتَ نفسَك في[219] إيجادِ إنِّيَةٍ[١٧٥] … فأنتَ كالسِّرِ في روحِ ابنةِ[220] القاري

أنتَ الوحيدُ الـذي ضاقَ الـزمانُ بِـهِ … أنـتَ المُـنَـزَّهُ عـن كَـوْنٍ وأقـطـارِ

قَالَ السَّالِكُ :

فالحمدُ لله الذي أقرَّ عيني بما وَهَبَك[١٧٦] ، وكَشَفَ لَكَ عن الأسرارِ[221] بما حَجَبَك .

---

(١٧٠) وهم : وقصد . (١٧١) المدلج الساري : المدلج : السائر ليلا ؛ والمدلج الساري هنا يقصد منه صاحب هذا الإسراء والمعراج الروحي المنامي . (١٧٢) الصلد هو الصلب الأملس . (١٧٣) شجر : يقصد ابن عربي هنا بكلمة « شجر » العصا المصنوعة من خشب الشجر ، والمقصود : يا عجباً من عصا وهي مصنوعة من شجر تفعل في الحجر . (١٧٤) نجائب : نوق ، ج ناقة . (١٧٥) إنية : أراد بها الخلق لقولهم « أنا » . (١٧٦) وهبك : المخاطب هو موسى عليه السلام .

السَّمَاءُ السَّابِعَةُ

سَمَاءُ الغَايَة (222) حَيثُ سِرُّ روحَانيَّةِ إبراهيمَ عليهِ السَّلَام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ السَّالِكُ :

فاستفتحَ لِيَ الرسولُ الجليلُ(١٧٧) ، سماءَ الخليلِ(١٧٨) ، فرأيتُ سِرَّ روحانيَّتِهِ يدور ، بالبيتِ المعمورِ(١٧٩) ، في غلائلِ النُّورِ ، فَسَلَّمَ(223) وَرَحَّبَ ، وبالغَ في الإكرامِ وأسهبَ .

فقلتُ له : يا أَخا(224) القِرَى ، ومُنادِيَ أبنائِهِ بأُمِّ القُرى(١٨٠) ، نَبِّهْنِي على ماهيةِ أمرِ(225) مقامِكَ الأجلى ، فقال : عليكَ بالنَّجْمِ إذا هَوَى(١٨١) .

فقلت له : فأينَ حَظِّي مِنْ ذاتك ؟ قال : في إيثارِكَ بأقواتِك ؛ أَلَمْ تَعْلَمْ

---

(١٧٧) الرسول الجليل : هو رسول التوفيق الذي حضّر السالك للمعراج ورافقه فيه . (١٧٨) الخليل : ابراهيم عليه السلام . (١٧٩) البيت المعمور : قال سهل التستري في تعريفه « ظاهرة ما حكى محمد بن سوار باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : ليلة أُسري بي إلى السماء رأيت البيت المعمور في السماء الرابعة ، ويروى السابعة ، يحجّه كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون اليه بعده أبداً ، وباطن البيت المعمور هو قلب العارف المعمور بمعرفة الله ومحبته والأنس به . وهو الذي تحجّه الملائكة لأنه بيت « بيت التوحيد » را. « تفسير القرآن العظيم » ، سهل التستري ، ص ص ٩٤ ـ ٩٥ ، وقد تتبّع ابن عربي خطى سهل في رؤيته للبيت المعمور ظاهراً وباطناً ، راجع ، « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « البيت المعمور » . (١٨٠) ام القرى: مكة ، وهنا الاشارة إلى إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه في مكة طالباً الامن والامان من عباده الاصنام هو وبنوه. وطالباً من الله أن يجعل افئدة من الناس تهوى اليهم . را. سورة ابراهيم الأيات ٣٥ ـ ٤٠ . (١٨١) يريد سورة ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ .

يا بُنيَّ أنَّهُ لولا الجُود، ما ظَهَرَ الوجود ، ولولا الكَرَم ، ما لاحتِ الحِكَم ، ولولا الإيثَار ، ما بَدَتِ الأسرار .

قَالَ السَّالِكُ :

فقلتُ له(١٨٢) : أريدُ الدخولَ إلى البيتِ المعمور ، والمقامِ المشهور ، قال : لَهُ شُروطٌ[226] في الكتابِ المسطور ، في الرَّقِّ المنشور ، قلت[227] له : أوْقِفْني عليه ، حتى أنْظُرَ إليه .

قَالَ السَّالِكُ :

فَدَعَا (١٨٣) بكيوانِ(١٨٤) [228] الغَاية ، عندَ أهلِ الولاية ، ما عَدَا الولايةِ المُحَمَّدِيَّة ، والمقاماتِ الصِدِّيقيَّة ؛ وهذا كيوانُ صاحبَ خزانَتِه ، وقابضَ جبايَتِه ، فأقبلَ مُسْرعاً ، وَوَقَفَ بينَ يديه مُقْنِعاً، فقال له : افتحْ خزانَةَ النُّور ، وَجِئْني [229] بالكتابِ المَسْطُور .

قالَ [السَّالكُ] :

فأقبلَ به(١٨٥) مِنْ حينِه ، وقال(١٨٦) [230] : أعطِهِ لَهُ بيمينِه[231] . ففضضتُ خِتامَه ، وَتَصَفَّحتُ[232] سطورَهُ وأعلامه[232] ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلاّ الله ، محمدُ رسولُ الله .

هـذا(١٨٧) بيتُ الحق ، وَمَقْعَدُ الصِّدق ، ومَنْبَعُ الجَمْعِ والفَرْق ، وسِرُّ الغربِ والشرق ، وهو حرام ، على كل[234] مقام ، إلا على مَنْ « دَنَا » من

---

(١٨٢) له : أي للخليل عليه السلام . (١٨٣) فدعا : الفاعل هو الخليل عليه السلام . (١٨٤) كيوان : (فلك) زحل .

(١٨٥) فاقبل به : أي فأقبل كيوان بالكتاب المسطور . (١٨٦) قال الخليل عليه السلام لكيوان الغاية . (١٨٧) هذا : أي البيت المعمور الذي سأل السالك عنه ابراهيم عليه السلام .

الرفيقِ الأعلى ، « فتدلّى »(١٨٨) على المقامِ الأجلى ، « فكانَ قابَ قوسين أو أدنى »(١٨٩) . مقامُ محمودٌ للمحمديِّ المجتبى[235] .

« فأوحى إلى عبدِهِ ما أوحى »(١٩٠) ، ففهم عنه به(١٩١) [236] صريحَ المعنى ، « ما كَذَبَ الفؤادُ ما رأى »(١٩٢) ، من حقائقِ القربِ في الإسرا ؛

« ولقد رآه نَزْلَةً أُخرى »(١٩٣) ، وآدمُ بين الماءِ والطينِ مُسَوّى ، « عند سدرةِ المنتهى »(١٩٤) ، حيثُ يجتمعُ[237] البدايةُ والانتها، الأزلُ والوقتُ والأبدُ سَوا ، « عندها جَنَّةُ المأوى »(١٩٥) مستقرُّ الواصلينَ الأحيا ؛

لَمَّا شاهدوا الذات ، أواهم[238] بجنَّةِ[239] الصِّفات ، عن الورى، « إذ يَغْشى السِّدرةَ ما يغشى »(١٩٦) ، من طَرفِ الأسرارِ والتنزُّهِ في العُلى ،

« ما زاغَ البصرُ »(١٩٧) لغيرِه[240] « وما طَغَى »(١٩٨) ، وكيفَ يَزيغُ لعدمٍ لا يُرَى[241] .

فَتَوَسَّطَ الكُرسي[242] ، وأَمَدَّ العُلوي والسُّفلي ، فظهرتِ القدمانِ بِظُهورِه ، وأشرقتِ الأرضُ بِنُوره ؛ فاستمسكتِ[243] الملائكةُ بالقَدَمِ الواحِدة ، واستمسَكَ العارفونَ بالقدمينِ الغائبةِ والشَّاهدة ؛ لا يسبقونَهُ بالقولِ وهم بأمرِهِ يعملون ، من أعلى الاستواء الى مركز النون ؛

فامتحقَ[244] سِرُّ وجودِهم(١٩٩) ، عندَ مُشاهَدَةِ مَعْبُودِهم[245] ، فَكَسَتْهُم هَيْبَةُ الذات ، وغَرِقُوا في بحورِ اللَّذَّات ، ولم يُبْقِ لهم سُبحانَهُ بتجلّيه من رسومِ الصفات ، إلا خَفِيُّ إشارات ؛

---

(١٨٨) سورة النجم ، آية ٨ . (١٨٩) سورة النجم ، آية ٩ . (١٩٠) سورة النجم ، آية ١٠ . (١٩١) ففهم عنه به : ففهم المحمدي عن الحق عزّ وجل وبالحق عز وجل . (١٩٢) سورة النجم ، آية ١١ . (١٩٣) سورة النجم ، آية ١٣ . (١٩٤) سورة النجم ، آية ١٤ . (١٩٥) سورة النجم ، آية ١٥ . (١٩٦) سورة النجم ، آية ١٦ . (١٩٧) (١٩٨) سورة النجم ، آية ١٧ . (١٩٩) وجودهم : وجود العارفين .

فأرواحُ الوارثين في المشاهدةِ سَوَا ، وكما هُمُ اليومَ كذلك يكونون[246] غدًا ، غيرَ أنَّ مشاهدتهم في دار التركيب(٢٠٠) لها انفصالٌ وانصرام ، وفي مقامٍ دونَ مقامٍ ، ومشاهَدَتهم هنالك (٢٠١) على الدوام ؛ فالانتقالُ في حَقِّ الأرواح ، والحَشْرُ في حَقِّ الأشباح(٢٠٢) ؛ حَشْرُ الأجسامِ من دارِ التكليفِ إلى دارِ الانفعال ، وَحَشْرُ الأرواحِ من مَقَامِ الجلال ، إلى مقامِ الجمال ، حتى إلى « ما لا يُقَال » ؛ وهنالك لا يجوزُ الانتقال ؛

فمن حَصَلَ في هذا المَقام ، فليسَ دخولُ البيتِ(٢٠٣) عليه حَرَام(٢٠٤) ، والسلامُ عَلَى مَنْ وقفَ على قولِهِ تعالى : ﴿ يا أهلَ يَثْرِبَ لا مُقَام ﴾(٢٠٥) .

قَالَ السَّالِكُ :

فقلتُ له(٢٠٦) : يا أبا الإسلامِ (٢٠٧) [247] ومؤلفَ الجُزئيات(٢٠٨) ؛ ويا عالِمَ[248] ملكوتِ الأرضِ والسموات ، جَهِلْتَ أمري ، فوضَعْتَ من قدري ، وأنا أُنَبِّهُكَ عليَّ بغريبِ نَظْمي ، وعجيبِ نَثْري :

مُذْ حَلَّ كَاتِبُ حُبِّ اللهِ في خَلَدِي ... وَخطَّ سطراً مِنَ الأشواقِ في كَبِدي
ذُبْتُ اشتياقاً وَوَجْداً في مَحَبَّتِهِ ... فآهِ مِنْ طُولِ شَوْقي آه[249] من كَمَدِي
يا غايةَ السُّؤْلِ والمأمولِ يا سَنَدي ... شَوْقي إليكَ شديدٌ لا إلى أَحَدِ
يَدي وَضَعْتُ على قَلْبي[250] مَخَافَةَ أنْ ... يَشُقَّ صدريَ لَمَّا خانَني جَلَدي
ما زالَ يرفَعُها طَوْراً وَيَخْفِضُها ... حتى جعلتُ اليدَ [251] الأُخرى تَشُدُّ يَدِي
مَرَّ الفؤادُ عن[252] التركيبِ مُرْتَحِلاً ... إلى الحبيبِ الذي يُفْني وَلَيْسَ يَدِي(٢٠٩)

---

(٢٠٠) دار التركيب : أي الدنيا . (٢٠١) هنالك : أي في دار الآخرة .
(٢٠٢) الاشباح : الأجسام . (٢٠٣) البيت : أي البيت المعمور الذي سأل عنه السالك وطلب دخوله من ابراهيم عليه السلام . (٢٠٤) القاعدة أن يقول حراماً خبر ليس ، إلا انه استعمل ضمير الشأن المستتر اسماً لها والجملة خبراً . (٢٠٥) سورة الأحزاب ، آية ١٣ . (٢٠٦) له : أي لابراهيم عليه السلام . (٢٠٧) يا أبا الاسلام : ابراهيم عليه السلام هو أبو الاسلام لقوله تعالى : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الحج / ٧٨] . (٢٠٨) إشارة إلى أجزاء الطير . .
(٢٠٩) ليس يدي : لا يدفع دية القتيل .

مـا زلـتُ أطلبُـه وَجْـداً وأنـدُبُـه بِعَبْـرةٍ حَيَّرَتْهـا زَفْرةُ الخُلْدِ (٢١٠) (253)
حتى سمعتُ نِـداءَ الحَقِّ من قِبَـلي: مَنْ كـان عنـديَ لم يَنْـظُرْ إلى أحَـدَ
فَمُتْ بِـوَجْدِكَ أو مُتْ إنْ تَشـأ طَـرَبـاً فَـإنَّ قلبَـكَ لا يَلْوي عـلى الجَسَـدِ
فقمت(254) والشوقُ يَطْويني وينشُرُني وصِحْتُ من شِدّة الأفراحِ : واكَبِدي
لَمّـا شَهِـدْتُـكَ يـا مَنْ لا شَبيـهَ لَـهُ لا فَـرْقَ عـنـديَ بـينَ الغَيِّ والرُّشـدِ
فـالنَّفْسُ تَعْـرِفُـهُ عِلْماً ، وتُبْصِـرُهُ عينـاً ، وتَشْهَـدُهُ في الـوَقْتِ والأبَدِ
مَنْ عـايَنَ الـذاتَ لَمْ ينـظرْ إلى صِفَـةٍ فإنّ فيها حِجابَ الضَّيفِ[255] بالصَّفَدِ[٢١١]

قَالَ السَّالِكُ :

فقالَ لي(٢١٢) (256) : أنا المُراد بهذا(257) الحجاب ، وإلى الأحبابِ فتحتُ الأبواب .

فقلت(258) لـه : وأين الخُلّة من المحبّة ، وأين الصُّحبة(259) من القربة ؛ كَم بَيْنَ مَنْ يقولُ(٢١٣) : « وعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لترضى »(٢١٤) ، وَبَيْنَ مَنْ يُقالُ له(٢١٥) : ﴿ ولسـوفَ يُعطيـكَ رَبُّكَ فَتَرْضى ﴾(٢١٦) ، كم بَيْنَ مَنْ يقول(٢١٧) : ﴿ رَبِّ اشرحْ لي صدري ﴾(٢١٨) ، وبَيْنَ مَنْ يُقال لـه(٢١٩) : ﴿ أَلَمْ نشرحْ لَـكَ صَدْرَكَ ﴾(٢٢٠) .

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمّ قلتُ له : ما ظَنُّكَ بنهايةٍ هـذه بدايتُهـا ، وأسرارٍ هـذه علانيتُهـا ، أو أينَ أنتَ مِنْ قَوْلي بِشاهِدِ فِعْلي :

إلَـهـي وَمَـوْلاتـي تَمـازَجَ سِـرُّكُـم بِسِرِّيَ(260) يا سُؤْلي فَعَنْكَ(261) أتَرْجِمُ
بِكُمْ أُبْصِرُ الأشيـاءَ غَيْبـاً وَشَـاهِـداً بِكُمْ أسمـعُ النَّجوى ، بِكُـمْ أتَكَـلَّمُ

---

(٢١٠) الخلد : الجنان . (٢١١) بالصفد : بالعطاء ، الضيافة .

(٢١٢) فقال لي : فقال ابراهيم عليه السلام للسالك . (٢١٣) وهو موسى عليه السلام .

(٢١٤) سورة طه ، آية ٨٤ . (٢١٥) وهو محمد ﷺ . (٢١٦) سورة الضحى ، آية ٥ . (٢١٧) وهو موسى عليه السلام . (٢١٨) سورة طه ، آية ٢٥ . (٢١٩) وهو محمد ﷺ . (٢٢٠) سورة الشرح ، آية ١ .

أو[262] أين[263] مقامُ الأذكار ، من فناءِ الأفكار ، وَعَدَمِ الأسرار ، وطموسِ الأنوار :

بِذِكْرِ اللهِ تغتفرُ[264] الذُّنوبُ ... وَتَبْتَهِجُ[265] البصائرُ والقلوبُ
وتَرْكُ الذِكرِ أفضلُ منهُ حالاً ... فإنَّ الشمسَ ليسَ لها غُرُوبُ(٢٢١)
بِذِكْرِ اللهِ تَبْتَهِجُ[266] القُلُوبُ ... وَتَتَّضِحُ المعارِفُ وَالغُيوبُ
وَتَرْكُ الذِّكرِ أفضلُ كلِّ شيءٍ ... فشمسُ الذاتِ ليسَ لها غُرُوبُ(٢٢٢) [267]

أو أينَ أنتَ مِنْ مقامٍ[268] وَصَلْتُ اليه(٢٢٣) ، ونزلتُ عليه :

يا فؤادي قَدْ وَصَلْتَ لَه ... قُلْ لَهُ قولَ حبيبٍ[269] مُدِلٍّ(٢٢٤)
لَولا عَرْشه لَمْ يَصِحَّ آستوا ... وَبِنُوري صَحَّ ضَرْبُ المَثَلْ

قَالَ السَّالِكُ :

فلما عَايَنَ(٢٢٥) هذا المَرْمَى ، قال : لا يستوي البصيرُ والأعمى[270] ؛

ثم قال لي : يا بُنَيَّ اذْكُرْ أباك ، عند مُناجاتِكَ مولاك ؛ يا بُنَيَّ أينَ منكَ[271] الخليل ، وأنتَ بالمقامِ الجليل ، شتّانَ بينَ مَنْ نَظَرَ في النجومِ(٢٢٦) فقال : « إني سقيم »(٢٢٧) وَبَيْنَ مَنْ قيل عنه (٢٢٨) : « ما كذبَ الفؤاد ما رأى » (٢٢٩) ، أنا أقول: رَبِّ اغفرْ لي خطيئتي يومَ الدين(٢٣٠) ، وأنتَ (٢٣١) يُقالُ

---

(٢٢١) (٢٢٢) في هذين البيتين يتعرض ابن عربي الى مفهوم الذكر عند النسيان وترك الذكر أفضل لأنه تأكيد على عدم النسيان . أو بمعنى آخر ان الذكر هنا يثبت وجوداً للإنسان يتنافى مع فناء الأفكار وعدم الإسراء الذي ذكره هنا ابن عربي ـ اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .
(٢٢٣) مقام وصلت اليه : هو المقام المحمدي ؛ فالسالك هنا يؤكد تحققه بالمقام المحمدي . (٢٢٤) مدل : واثق بالمحبة ؛ ادلّ عليه : وثق بمحبته . (٢٢٥) أي ابراهيم عليه السلام . (٢٢٦) وهو ابراهيم عليه السلام . (٢٢٧) سورة الصافات ، آية ٨٩ .
(٢٢٨) من قيل عنه : هو محمد ﷺ . (٢٢٩) سورة النجم ، آية ١١ . (٢٣٠) اشارة الى قوله تعالى عن ابراهيم عليه السلام ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء / ٨٢] .
(٢٣١) المتكلم هو ابراهيم عليه السلام يخاطب الواصل في المقام المحمدي . ولكنه في الواقع يتوجه بالخطاب الى صاحب هذا المقام بالأصالة لا بالتحقق أي النبي ﷺ .

لَكَ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخر ﴾(٢٣٢) ، أنا أقول(٢٣٣) : ﴿ واجعلْ(272) لي لسان صِدْقٍ في الآخرين ﴾(٢٣٤) ، وأنتَ يُقالُ لك : ﴿ ورفعنا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾(٢٣٥) .

قَالَ السَّالِكُ :

ثم بكَى ، وقال(٢٣٦) : شَغَلَتْنا ملاحظةُ الأغيارِ عن مباشرةِ هذه الأسرار ، هيهاتَ وأينَ الكَرَمُ من الايثار ؛ الكرمُ سيادة ، والايثارُ عِبادة ؛ الكرمُ مع الرياسة ، والايثارُ مع الخصاصة(٢٣٧) .

يا بُنيَّ سِرْ إلى ما إليه ناداك ، مُحِبُّكَ ومولاك ، والعهدُ بيننا التعريفُ بما به ناجاك .

قَالَ السَّالِكُ :

فَزُجَّ(273) البراق ، وَخَرَجَ عَنِ السَّبْعِ الطِّباق(٢٣٨) ، وألقي الرسولُ(٢٣٩) (274) عَصَا التَّسيار ، بِسِدْرَةِ الأنوار .

***

(٢٣٢) سورة الفتح ، آية ٢ .

(٢٣٣) أي ابراهيم عليه السلام . (٢٣٤) سورة الشعراء ، آية ٨٤ . (٢٣٥) سورة الشرح ، آية ٤ . (٢٣٦) وقال : أي ابراهيم عليه السلام . (٢٣٧) الخصاصة : الفقر . قال تعالى عن آل البيت النبوي المطهر : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر / ٩] . (٢٣٨) السبع الطباق : السموات السبع . (٢٣٩) الرسول : أي رسول التوفيق الذي حضر السالك للمعراج ، ورافقه فيه .

القِسْمُ الثَّالِثُ

١ ـ سِدْرَةُ المُنْتَهى

٢ ـ الكُرْسيّ

٣ ـ الرَفارِفُ العُلى

خرج ابن عربي في القسم السابق عن أقطار السموات السبع ، وها هو هنا يروي لنا بقية رحلته في الحضرات . والحضرات هي المراتب والأماكن التي تعلو السموات في جغرافية الكون كما تراها عين الشيخ الأكبر ، وذلك من خلال النصوص القرآنية والحديثية .

سِدْرَةُ المُنْتَهى

قَالَ السَّالِكُ :

فقلتُ له[١] : ما هـذا[1] النورُ والبَهـا ، قال : سِدْرَةُ المُنْتَهى[٢] ، ثم تلا الرسولُ الكريم[٣] : ﴿ وما منـا إلاّ له مقامٌ معلوم ﴾[٤] ، فَسَكَتْنا عن تعبيرِ ما رأينـا كما سكت ، حتى يُشاهـدَ[2] مَنْ يُـراد كما شَهِـدْت[3] ، سكوتَ حَصَرٍ وَعَجْـز ، لا يَقْـوَى معـه[٤] عـلى[4] إشـارةٍ ورمـز[5] ؛ فـإنّـه إذا[6] كـانَ مَعْـدِنَ الفصاحةِ والحِكَم ، وقـد أُوتِيَ جوامـعَ الكَلِم ، وما زادَ عـلى أن قالَ [صـلى الله عليه وسلم] : فَغَشّـاها من نورِ اللهِ ما غَشّى ، ووقفَ هنا[7] وما مَشّى[٥] .

ثم قـال[٦] : فلا[8] يسـتطيعُ أحـدٌ أن يَنْعَتَها[٧] ، وإذا كـان هـذا فكيفَ يصفُ أحدٌ حقيقَتَها ، فجديرٌ أنْ يُوقَفَ عندمـا وقف [صلى الله عليـه وسلم] ،

---

(١) قال السالك لرسول التوفيق الذي حضّره للمعراج ، ورافقه فيه . (٢) سدرة المنتهى : شجرة ثمرها مثل قلال هجر [قلال : ج قلة وهي إناء كالجـر ؛ وهجر : اسم بلد] ، وورقها مثل آذان الفيلة ، يسير الراكب بالفنن أي بالغصن منها مئة سنة ، ويستظل بالغض منها مئة راكب . را : مقدمة المحققة ، فقرة « المعراج النبوي ورموزه » . (٣) أي رسول التوفيق . (٤) سورة الصافات ، آية ١٦٤ . (٥) وما مشى : أي وما زاد أو أضاف في الوصف والتفصيل . وذلك أن النبي ﷺ وصف السدرة وصفاً إجمالياً بغشيان النور لها ولم يزد . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ [النجم / ١٣ ـ ١٦] . وبخصوص وصف النبي ﷺ للسدرة في حديث المعراج . را : مقدمة المحققة ، فقرة « رموزه المعراج النبوي » . (٦) أي رسول التوفيق . (٧) أي ينعت السدرة .

وَيُنْظَرُ في التَرَقّي[9] منها على الرَّفْرَف[8] ، حيثُ الملأ الأشرف .

فإذا النداءُ من الأعلى : مَنْ لَكَ[9] بالرَّفارِفِ العُلاَ ، وبينَك وبينها الكُرسي[10] الكريم ، الذي يُفْرَقُ فيه[11] كُلُّ أمرٍ حكيم[10] ؟ هو[11] حَضْرَةُ الأدب ، لأهلِ الهِمَمِ والطَلَب ، إليه يَنْزِلُ الواصلون ، وَعِنْدَهُ ينتهي المَحْجُوبون . فآلزَمْ[12] ما يُقال لَكَ فيه[13] ، وَقِفْ عِنْدَ وَصِيَّةِ سَاكنيه .

(٨) الرفرف : الشجر الناعم المسترسل . (٩) المخاطَب هو السالك .

(١٠) يشير القرآن الكريم الى الزمان الذي يفرق فيه الأمر ، دون تعيين المكان . والزمان هو ليلة القدر . قال تعالى ﴿ فِيهَا [أي ليلة القدر] يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان / ٤] ؛ ويرى ابن عربي هنا أن الأمر الالهي عند تنزّله إلى عالم المخلوقات يُفْرَق في حضرة الكرسي . (١١) أي الكرسي . (١٢) أي فالزم أيها السالك . (١٣) أي في الكرسي .

II

الكُرسيّ

بسم الله الرحمن الرحيم [12]

قَالَ السَّالِكُ :

فأنشأ لي[١٤] جناحَ العَزْم[١٥] ، وطرتُ به[13] في جَوِّ الفَهْم ، حتى وصلتُ حضرةَ الكرسي ، والموقفَ القُدْسي ؛

فسألت عن مسجدِ الوَصى[١٦] [14] ، فقيل لي : بالمُنَزَّهِ الأقصى .

فرأيت شيخاً[15] ضخمَ الدَّسيعة[١٧] ، فقيل لي : هذا قُطْبُ الشَّريعة . وقد أحاطتْ بهِ أخلاطُ الزُّمر ، إحاطَةَ الهالةِ بالقَمَر ، فَسَلَّمْتُ[16] تسليمَ خَجِل ، لا تسليمَ وَجِل ، فقال الشيخُ رضي الله عنه : مرحباً بالقاصِد ، اقتناصَ[17] الجواهِر والفرائد ؛

ثم قالَ[18] لي : أينَ تريد ؟ فهممت أن[19] أقول : أريدُ أن لا أريد ، فلما لم يَكُنْ مَقامي ، لم يَسَعْهُ كلامي ؛ فَجَذَبني اليه ، وَدَرَّتُهُ[20] بين يَدَيْه . فقلتُ له : أريدُ مدينةَ الرسول[١٨] ، صاحبِ الجُمَلِ والفصول ؛

---

(١٤) فأنشأ رسول التوفيق للسالك . (١٥) نلاحظ أن المعراج هنا لم يعد يتم بواسطة البراق ، فبعد السموات السبع وصل السالك إلى سدرة المنتهى ومنها كان عروجه على « جناح العزم » إلى حضرة الكرسي . (١٦) الوصى : جمع الوصَاة أي الوصية ، أو الموصىّ به . (١٧) الدسيعة : الطبيعة ، وهنا البدن . (١٨) مدينة الرسول : إشارة الى المقام المحمدي .

قال : وما تُريدُ بمدينةٍ أثرُها قَـد دُرِس ، ونورُهـا قد طُمِس . قلتُ[21] : لستُ[22] للتُرابيَّةِ أشير، ولكنْ لبدرِها المُنير ، وعنصرِ مائها النَّمير[١٩] ؛

فقال : ألَمْ تسمعْ قـولَهُ عليـه السلام « وعـليٌّ بابُهـا »[٢٠] ، وأنا[٢١] أيُّـهـا الطالبُ بوَّابُها ، فَمَنْ أرادَ المدينةَ فَلْيَقْصِدِ آلباب ، وَيَتَمَلَّـقْ للبوّاب .

غـذِّ[23] أشبـاحَ النَّسَمْ[٢٢] ، تُهـدَى[24] إليـكَ طـرائفُ الحِكَم ، غـذِّ[25] الأشباحَ بالغُبار ، تُغذّى[26] لكَ الأرواحُ بالأسرار[٢٣] .

قلتُ[27] له : يا سَيِّـدَنا[28] هل يُعرفُ[29] لذلـكَ البابِ مفتـاح . قال : إي والعليمِ الفتّـاح[٢٤] :

رأيتُ البيـتَ مقفـولا[٢٥] لسرِّ السرِّ قـد مَـلَكـا
سـألـتُ اللهَ يـفـتَـحـه فقـال: بِمَنْ؟ فقلتُ : بـك

قلت[٢٦] : نـاولنيـه[٢٧] ، قـال : مِنْ حُسْنِ إسـلامِ المرءِ تَـرْكُـه مـا لا يَعْنيه[٢٨] .

قلتُ له : عرفتُ حقيقةَ مكانِه ، فَزِدْ في نَعْتِهِ وَبَيَانِـه . قال[٢٩] : لـه[٣٠] أربعةُ أسنان[٣١] ، أتْقَنَها الحكيمُ الرَّحمـان ، فيها أربعُ[30] حركـات ، تحوي[31]

---

(١٩) النمـير : الزاكي الطـاهر . (٢٠)
اشارة الى الحديث الشريف « أنا مدينة العلم وعلي بابها » . انظر فهرس الأحاديث ،حديث رقم١مكرر . (٢١) وأنـا : المتكلم هنا هـو قطب الشـريعة . (٢٢) النسم : الأرواح . (٢٣) هنـا نلمح عـلاقة الشريعة بالحقيقة عند ابن عربي فهي علاقة توافق وتوالٍ ، فكلما كثرت الأعمال الشرعية البدنية قويت الحياة الحقيقية الروحية ،وكلما غذّينا الأشباح بالأعمال تغذى الأرواح بالأسرار .
(٢٤) إي والعليم الفتـاح : نَعَمْ واللهِ . (٢٥) الأصح لغة أن يقول مُقْفَلا . (٢٦) أي قال السـالك لقطب الشريعة . (٢٧) أي مفتاح باب مدينة الرسول ؛ والمقصود مفتاح باب المقام المحمدي . (٢٨) حديث « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ؛ راجع فهرس الأحاديث ، حديث رقم ١١ . (٢٩) أي قـطب الشريعـة . (٣٠) أي للمفتاح . (٣١) ان كـلام ابن عربي هنـا عن المفتاح وأسنـانـه لعلـه مستوحىً مـن كـلام أبـي يزيـد البسطامي وقـد قيـل لـه أن الشـهـادتين همـا مفتاح الجنـة ، فقال : صَدَقوا ، ولكن لا يفتح المفتاح بغير أسنان ، وأسنان مفتاح الجنة أربعة أشيـاء : لسـان بغـير كذب ولا غيبة ، وقلب بغير مكر ولا خيانة ، وبطن بغير حرام ولا شبهة ، وعمل بغير هوى ولا بدعة .

على جميعِ الجهات[32] ، فإذا فعلتَ ما ذكرتُه لكَ وأحكمتَـه[33] ، فُزْتَ بـالمفتاحِ وملَكْتَه ، وَمَنْ مَلَكَ المفتاحَ فَتحَ الباب ، ومَنْ فَتَحَهُ حصلَ على كنزِ السُّرداب ، فـرأى الشيخَ وتلميذَه آمنِين من الشكِّ[34] والإرتيـاب ، مبسـوطـين في حضـرةِ الوهّـاب .

قلت : قد فَهمتُ ما أردت ، وعثرتُ على السرِّ الذي إليه أشرت ، ولكنْ زِدْني زادَكَ اللهُ من إحسانه ، وأسبغَ عليكَ رداءَ امتنانِه .

قال(٣٢) : أدعُ اللهَ أن يُمدَّني بإلهامِـه ، وَيُؤيّدني بِعِلْمِـهِ القديمِ وكـلامِه ، اسمـعْ أيّـها السـالِك ، حَسَّـنَ اللهُ أفعـالَـك ، ولا جَعَلَهـا أفْعى لَـكَ . وَسَـدَّدَ أقوالَك ، فإنّـها عندَ المناجاةِ أقوى لك[35] : حمدُ اللهِ أولى مـا فَغَرَ[36] بـه فاهُ[37] ناطق ، وصلاتُه على رسولِه فـاتحِ اختـراقِ هذه الـطرائق ، إلى مناجـاةِ العليمِ الحكيمِ[38] الرازق(٣٣) . فالحمدُ ﴿ للهِ الذي هدانا لهذا وما كُنّـا لنهتديَ لولا أنْ هدانا اللهُ لقد جاءت رُسُلُ[39] رَبِّنا بالحقِّ ﴾(٣٤) ، فاسْتَمِعْ ولا تَنْطِق :

أنِضِ الرِّكابَ(٣٥) إلى رَبِّ السمواتِ وانبِـذْ عن القَلْبِ أطوارَ الكَـرامـاتِ
واعـكِـفْ[40] بشــاطـىءِ وادي الـقُــدْس مُرْتَقِباً
واخــلـعْ نِـعــالَك[41] تَحْـظَى بـالمُـنَـاجـاةِ

وَغِبْ عن الكَـوْن بـالأسـماءِ مُتّـصِفـاً حتى تغيبَ عن الأوصـافَ بـالـذّاتِ
وَلُـذْ بجَانِبِ فَـرْدٍ لا شريـكَ لـهُ ولا تُـعَـرِّجْ عـلى أهـلِ البـطالاتِ
بَـلْ صُمْ وَصَـلْ وَفَكِّرْ وافتَقِـرْ أبـداً تَـنَـلْ مَـعَـالِمَ مِنْ عِلْمِ الخفيّـاتِ
فَقَـدْ قَضى اللهُ بـالمـيـراثِ سيـدُنـا لِـكُـلِّ عبـدٍ صَـدُوقٍ ذي تَـقِيّـاتِ

---

(٣٢) أي قطب الشريعة .

(٣٣) كان علماء السلف الصالح يؤكدون على أهمية الصلاة على النبي في الحياة الروحية للمسلم ، وهنا ابن عربي لم يخرج عن هذا التقليد بل العكس بيّن دور « الصلاة على النبي » في الوصول إلى المراتب الروحانية العلى . (٣٤) سورة الأعراف ، آية ٤٣ . (٣٥) انض : وجّه ؛ الركاب : الدابّة التي تُركب ، وهنا السير .

ألقِ أيُّها الطالبُ بالَكَ[٣٦] ، أصلحَ [42] اللهُ بالَكَ[٣٧] :

حافِظْ على العلومِ اللَّدُنِّيَّةِ[43] ، والأسرارِ الإلّـهية ، وإيَّـاكَ وافشاءَ سِرِّ[44] الرُّبوبيَّة[٣٨]

اجْـلِ [45] القلوبَ وجـاهِـدِ النفوس ، وفَـرِّقْ بـيـنَ القَلَمِ [46] الإلّـهيِّ والمحسوس .

اجمَعْ بينَ الظاهِرِ والباطن ، يَتَّضِحْ لَكَ سِرُّ الراحِلِ والقاطِنْ .

قفْ مـع الـظَّاهِـرِ في كُـلِّ الأحـوال ، ﴿ ولا تَقْفُ مـا[47] لَيْسَ لَـكَ بِـهِ عِلْمٌ ﴾[٣٩] مِن ظـاهِـرِ الأقـوال[٤٠] ؛ تَـلَقَّ الكـلمـات ، وأَلْحِقْ بـالأبـنـاءِ الأمهات[٤١] [48] .

صَـلِّ على ذي العلومِ اللَّدُنِّيَّة[49] ، والأسرارِ القُـدْسِيـة ، وعـلى الكليمِ وابن نـون[٤٢] [50] ؛ وانـظُرْ لِمَ[51] كـان الحـوتُ[٤٣] عنـده[٤٤] يَبْـدُ لـك السرُّ

---

(٣٦) بالك : خاطرك ، قلبك . (٣٧) بـالك : شـأنك . إن ابن عـربي هنا سيعرب على لسان « قطب الشريعة » عن كـل أسرار الصـوفية ، وسيـوضح المقامات والاشـارات ، والطريق وغاية هذا الطريق في الميراث المحمدي ـ وقيمة هذا النص الآتي عظيمة إذ أنه نبّـه بـإشارات قرآنية على دقائق سلوك صوفية ، كل ذلك بأسلوب معلّـم كبير ، مسلم ارتـوى عقله من علوم القرآن ففتح بالتالي أمام القارىء سبيل آفاق قراءة جـديدة لقصص الأنبيـاء . (٣٨) تلميح للحلاج . (٣٩) سورة الاسراء ، آية ٣٦ . (٤٠) في السطرين الأخيرين يؤكد ابن عربي على علاقة الظاهر بـالباطن ، فالعلاقة بينهما ليست علاقة مساواة كما نرى عند معظم الدارسين إذ يقولون أن الظاهر هو الباطن بل هي علاقة جمع . وهذا ما يجعل ابن عربي مميزاً في عالم الفكر الصوفي . فعلى السالك أن يجمع بين الظاهر والباطن حتى يكتمل له الفهم ، ولكنه مُطالبٌ بأن يقف مع الظاهر في كل الأحوال ؛ يقلد ظاهر أقوال الواصلين حتى يتحقق بأحوالهم . فتعليم ابن عربي هنا يقضي بأن لا يقتفي السالك أثراً كلامياً دون تحقق علمي شرعي عقلي، أو تحقق حاليّ باطني . (٤١) أي تسمَّ كلمات الواصلين ولكن ألحق الفروع بالأصول حتى يستقيم لك الأخذ والعلم . (٤٢) الكليم : هـو موسى عليه السلام . ابن نـون : هو يونس عليه السلام . وقد لقبه القرآن الكريم بذي النون لابتلاع النون إياه والنون هو الحـوت . وابن عربي هنا يسمى يونس بابن نون ، ربما لأنه خرج من بطن الحوت . وقد جمع ابن عربي بين موسى ويونس عليهما السلام لوجود الحوت في قصة كل منهما . فموسى نسي الحوت في مجمـع البحرين وكـان الحوت طعامه ، وذو النون التقمه الحوت وهو مليم . (٤٣) الحوت : هنا الاشارة الى حوت مـوسى . (٤٤) ـ

المَصُون ، في الكتاب المَكنون ، الذي ﴿ لَا يَمَسُّه إلا المُطَهَّرون ﴾(٤٥) .

لا[52] تَنْـظُرِ الحوت ، بعينِ الغذاءِ والقُـوت(٤٦) ؛ وَتَـأَمَّـلِ السِّـرَّيْن ، في مَجْمَعِ البَحْرَين(٤٧) ، وكيفَ وَقَعَ النِّسيانُ هُنالك ، ولِمَ كـانَ ذلك(٤٨) [53] ؛ ولِمَ كانَ حُوتاً ولم يَكُنْ غيرَ ذلك ، ولأيِّ فائدةٍ آتَّـخَذَ البحرَ[54] مَسْلَكاً(٤٩) على سائرِ المسالِك .

أمِطْ « لَـوْ » و« لَيْتَ » و« لَـوْلاَ » ، تَكُنِ العَبْـدَ والمولى ؛ تَـرِدُ بِـرِداءِ[55] اللاّمَيْنِ(٥٠) [56] ، وقِفْ للنـاسِ في موضِـعِ القَدَمـين ، وخُذْ مِنَ العِلْمِ حـرفَ العَيْنْ .

اخْرِقِ السفينة(٥١) ، تَلِجِ المدينة(٥٢) . اجعـلْ في السفينةِ(٥٣) ﴿ مِنْ كُـلِّ زَوجيـن[57] اثنين ﴾(٥٤) ، ولا تُعَـرِّجْ عـلى مَنْ قـالَ(٥٥) : ﴿ سـآوِي إلى جبـلٍ يَعْصِمُني ﴾(٥٦) من الحَيْنْ .

همـا سفينتان(٥٧) ، لهُـما في الوجـودِ معنيان : الـواحدةُ (٥٨) سـلاَمتُهـا في

= عنده : أي عند مجمع البحرين . (٤٥) سورة الواقعة ، آية ٧٩ .

(٤٦) الحوت : حوت موسى عليه السلام الذي كان غذاء وقوتاً له ؛ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا [أي موسى وفتاه] مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا [أي البحرين] نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّـخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً فَلَمَّا جَاوَزَاه قَالَ لِفَتَـاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا ﴾ [الكهف / ٦١ ـ ٦٢] . (٤٧) مجمع البحرين : أي بحري المعاني والمحسوسات أو بحري العلوم النظرية والعلوم الكشفية . (٤٨) ولم كان ذلك : أي ولماذا وقع النسيان هنالك في مجمع البحرين . قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [الكهف / ٦٣] . (٤٩) قال تعالى ﴿ وَاتَّـخَذَ [أي الحوت] سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ﴾ [الكهف / ٦٣] . (٥٠) اللامين : اللام تعني الصفة . ترد برداء اللامين : تحلّ بصفتين ، والمقصود صفات الأضداد. بخصوص معنى اللام را. الفتوحات المكية ، نشر عثمان يحي، السفر الأول ، فقرة ٥١٠ ـ ٥١١ . (٥١) السفينة : المراد سفينة الخضر عليه السلام . (٥٢) أي مدينة الرسول التي يطلبها السالك، وهي المقام المحمدي . (٥٣) المراد سفينة نوح عليه السلام . (٥٤) سورة هود ، آية ٤٠ ؛ سورة المؤمنون ، آية ٢٧ . (٥٥) القائل هو ولد نوح عليه السلام . (٥٦) سورة هود ، آية ٤٣ . (٥٧) هما سفينتان : الأولى هي السفينة التي ركبها موسى والخضر عليهما السلام قال تعالى : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا [الخضر عليه السلام] ﴾ [الكهف / ٧١] . والثانية هي سفينة نوح عليه

الفَتْق[٥٩] ، والأُخرى [٦٠] نجاتُها في الرَّتْق[٦١] .

ليسَ في المُلْكِ إلا واحِد ، فإيَّـاكَ أنْ تَخْـرِقَ[58] سَفينَةَ الشَّـاهِد ؛ أخْـلِ[59] السفينةَ مِنَ الزَّوجَيْن ، فقد قال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا إِلَـهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾[٦١]

أَحْيِ الغُـلاَم ، يُدْنِيـكَ رَبُّ الأَمةِ والغُـلام ؛ اقْتُلْهُ [٦٣] فإنَّـهُ كـافر[٦٤] ، بِمواضي الأَسِنَّـةِ والبَوَاتِر .

أَقِمِ الجِـدار[٦٥] ، وَحَـذَارِ من هَـدْمِهِ حَـذَار ؛ هَـدْمِ[60] الجِـدار فـإنّـه حِجاب[61] ، هكذا رأيتُه في أُمِّ الكِتاب .

افْتَـحْ من السَّـدِّ المَهْــرب، واثْبُتْ للتَّيَّار ولا تَهْـرب ؛ إيَّـاكَ أنْ تتنـاولَ فَتْحَه[٦٦] ، واقْنَعْ مِنَ الوجودِ بأيسرِ لَمْحه .

عَـطِّـلْ وَدّاً وَسُـواع[٦٧] ، واكتُمْ أمرَكَ تـأسِّياً بصـاحب الصُّــواع[٦٨] ؛ الصُّواعُ[62] حجابٌ فلا تَكْتُم[٦٩] ، ولا تُعَطِّـلْهُمَا[٧٠] [63] فَتَظْلِم .

السـلام ، قال تعالى : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ [أي نوح] وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت / ١٥] . (٥٨) الواحدة : وهي سفينة الخضر عليه السـلام . (٥٩) الفتق : أي الخرق والشق ؛ وقد كان هذا الخرق سبباً في سلامـة السفينة التي ركبهـا موسى والخضر من غصب الملك . قـال تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ [الكهف / ٧٩] . (٦٠) والأخرى : أي سفينة نـوح عليـه السـلام . (٦١) الـرتق : ضـد الفتق والخرق . وسفينة نوح عليه السـلام لا تسلم من الغرق في الطوفان إلا بسلامتها من أي خرق . (٦٣) اقتله :أي اقتل الغلام .(٦٤) اشارة الى الغلام الـذي قتله الخضر عليه السلام قال تعـالى : ﴿ فَانْطَلَقَا [أي موسى والخضر] حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَه ... وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ [الكهف / ٧٤ ، ٨٠] . (٦٥) الجدار : الاشارة هنا الى الجدار الذي أقامه الخضر عليه السـلام حتى يبلغ أصحابه أشدهما ويتسلما كنزهما . والجدار هنا قد يشير إلى النفس الإنسانية التي ينصح ابن عربي بإقامتها وعدم اتلافها قبل الأوان . فإن الله قد جعل لكـل شيء أجلاً ، فعلى السـالك ألاّ يسرع باتلاف نفسـه قبل أن يبلغ أشدّه ، ولكنه حين يبلغ أشده في مرحلة تالية فعليه أن يهدّم الجدار ، أي أن يُتلف النفس لأنها حجاب . (٦٦) فتحه : أي فتح السـد . (٦٧) وداً وسواع : أسماء أصنام قوم نوح ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً ﴾ [نوح / ٢٣] . وقد منع ابن عربي « سواعا » من الصرف للسجع . (٦٨) صـاحب الصواع : هـو يوسف عليـه السـلام . (٦٩) أي فلا تكتم أمرك . (٧٠) أي ولا تعطل ودا وسواعـا .

لا تُفْـرِدْ أخـاكَ مخافَـةَ الـذِّيب[٧١] ، واعـطِفْ عليـهِ عَـطْفَ المُحِبِّ على الحبيب ؛ إنْ لمْ تُفْـرِدْهُ [٧٢] لـلذِّيب ، لمْ يَتَـمَـيَّـزْ[64] في أهـلِ التَّـخَـلُّـقِ والتهذيب[٧٣] .

لا تَعْطِفْ عليه[٧٤] وانبِذْهُ بالعَـرا ، حتى تُبْصِرَ[65] تأثيرَ الاسما[٧٥] ؛ إنْ [66] أرَدْتَ أنْ يَكونَ[٧٦] [67] نِعْمَ الحَدَث ، وارِ العزيزَ الجَدَث[٧٧] [68] .

اعـرفْ قدرَ العـزيـز ، فهـو الـذي أحَلَّـكَ محَلَّ سقـوطِ التَّمييـز ؛ وَجْـهِ البشير ، ولا تُعَرِّجْ على العِيرِ[٧٨] ، ودَراكِ[٧٩] بالشيخ الكبير[69] ، وآرفَعْ أبويْك على السرير .

أمسـكِ القـميص ، فـإنَّ الـشيـخَ حـريص ، وأنْـزِلِ[70] الإبِـلَ في المسارِح[٨٠] ، تمُرُّ عليها السَّوانِحُ والبوارِح[٨١] .

لا تَرْفَعْهُما[٨٢] عَرْشا ، ومَهِّـدهُما[71] فَرْشا ، ﴿ اخْفِضْ[72] لهما جَنَـاحَ[٨٣] الرحمةِ ولا تَنْهَرْهُما ، ولا تَقُلْ لهما أُفٍّ ﴾[٨٤] ؛ وإن استطعتَ فأعدِمْهُما[٨٥] ، هما حِجَاباك[73] ، وهما بَابَاك .

اتَّبِـع [74] الفِتْيَـة[٨٦] ، فَهُمْ الجِلَّـةُ[75] العِلْيَـة ؛ لا تَقْفُ أثَـرَهُم[٨٧] [76]

---

(٧١) الاشارة الى أخوة يوسف عليه السلام الذين أفردوه للذئب، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ [يوسف / ١٧] . (٧٢) أي ان لم تفرد أخاك . (٧٣) اشارة الى أن افراد يوسف عليه السلام للذئب كان سبباً في تميزه بعد ذلك بالمقامات العلية منها عزيز مصر . . وهاهم أخوته يسجدون له سجود الكواكب في رؤياه . (٧٤) عليه : أي على أخيك . (٧٥) أي تأثير الأسماء الالهة . والاشارة هنا الى يوسف عليه السلام الذي نبذه أخوته في العراء فتولاه الله وظهرت عليه آثار الأسماء الإلهية . (٧٦) أي أن يكون أخاك . (٧٧) الجدث : القبر .

(٧٨) العير : القافلة . (٧٩) ودراك : اسم فعل بمعنى أدرك . (٨٠) المسارح : ج مسرح وهو المرعى . (٨١) السوانح والبوارح : السانح هو الذي يأتي من جانب اليمين ، ويقابله البارح وهو الذي يأتي من جانب اليسار . (٨٢) أي لا ترفع أبويك . (٨٣) سورة الاسراء ، آية ٢٤ . (٨٤) سورة الإسراء ، آية ٢٣ . (٨٥) أي فاعدم أبويك . (٨٦) الفتية : اشارة الى أهل الكهف، قال تعالى ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى

جُملةً وتَفصيلا ، ولا تَتخِذْ إليهم [77] سبيلا .

إذا اطّلَعْتَ عليهم(٨٨) فَوَلِّ منهم[78] رُعْباً(٨٩) ، عَيْناً لا قَلْباً ؛ السعيدُ كُلّ السعيد ، مَنْ قامَ[79] عندَ الوَصيد(٩٠) .

اشمَخْ بأنفِكَ عن هِمَّةِ الكلاب ، وإيّاكَ ومُلازمةَ الأبواب ؛ سُدّ[80] الباب ، واقْطعِ[81] الأسباب ، وجالسْ الوَهّاب ، يُكَلِّمْكَ[82] من دونِ حِجاب .

لا تُجالِسْهُ بِحال ، فإنّ الكلامَ مُحال ؛ لولا الأسبابُ ما[83] عُرِفَتِ الحَقائق ، فافْتَحِ الباب ولا تُفارِق .

طَهِّرْ[84] فَرْجَكَ من القُلوح(٩١) [85] ، يُنْفَخْ لَكَ فيه مِنَ[86] الرُّوح(٩٢) ؛ لا تُطَهِّرِ[87] الفَرْج ، وانظُرْ ما ارْتَقَمَ في الدَّرْج(٩٣) .

نادِ في الظُّلُمات ، تُبْعَثُ[88] بينَ الأموات(٩٤) [89] ؛ لا تُنادِ مِنْ[90] ظُلُماتِ السُّتور، فإنَّ النّداء في النُّور(٩٥) .

أنتَ الواحدُ الفَرْد ، إنْ ضَرَبْتَ الفردَ في الفَرْد ؛ لا سبيلَ إلى ضَرْبِه ، لثُبوتِ مَا أرَادَ أنْ يُوجِدَهُ[91] مِنْ غَيْبِه .

الكَهْفِ ﴾ [الكهف / ١٠] . (٨٧) أي أثر الفتية . (٨٨) عليهم : أي على الفتية . (٨٩) قال تعالى : ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُم فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴾ [الكهف / ١٨] . (٩٠) الوصيد : الكهف . وهنا يرى ابن عربي أن السعيد كل السعيد هو الذي لم يهرب من الفتية بل قام عند الكهف .

(٩١) القلوح : الأوساخ . (٩٢) الاشارة هنا إلى السيدة مريم التي أحصنت فرجها فنفخ الله فيه من روحه . قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا ﴾ [التحريم / ١٢] . (٩٣) الدرج : ما يكتب فيه ، الكتاب . (٩٤) الاشارة هنا إلى يونس عليه السلام الذي نادى في الظلمات : ظلام الليل والبحر وجوف الحوت ، فنجّاه ربه وبعثه من بين الأموات . قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ ﴾ [الأنبياء / ٨٧ ـ ٨٨] . (٩٥) الاشارة هنا إلى نداء موسى عليه السلام ، ويقابل ابن عربي هنا بين نداء يونس في الظلمات ونداء موسى في النور عليهما السلام .

لا تَقُلْ «مَسَّنِي الضرُّ»[٩٦] ، وَسَوِّ بَيْنَ النَّفْعِ والضرِّ ؛ إذا مَسَّكَ الضرُّ فادْعُ بلسانِ التَّعليمِ ، فهُوَ مُرادُ الحكيمِ العليمِ .

لا تُعَوِّدْ لِسانَكَ الحِنْثَ[٩٧] ، وَبِرَّ بيمينِكَ وَلَوْ بـالضِّغْثِ[٩٨] ؛ الحِنْثُ[٩٩] لا تلتفِتْ[92] إليه ، فإنَّ أهْلَ الكشفِ ما عَوَّلوا عَلَيه .

لا تُعَذِّبِ الهُدهُدَ كما هَمَّ سليمانُ ، حتى يَعْجِزَ[93] عن البَيِّنَةِ والسلطانِ[١٠٠] [94] ؛ عَذَّبَهُ لَمّا[١٠١] كَشَفَ السِّرَّ ، وخَرَقَ السِّتْرَ .

ارْفِقْ على النَّمْلِ ، إذا أَوْجَفْتَ[95] بسَوابِقِ الخَيْلِ[١٠٢] ؛ فَـرِّقْهُم[١٠٣] أيادي سَبَا ، واقْتُلْهُم مَضَى السَّيْفُ أَوْ نَبَا[١٠٤] ، واتْرُكْهُمْ بينَ مَهَبِّ الشَّمالِ والصَّبا[١٠٥] [96] .

لا تَشْغَلَنَّكَ[97] الصَّافِنَاتُ[١٠٦] ، عن المُناجاة ، وامسحْ[98] بالسُّوْقِ[١٠٧] والأعناق ، وَشُدَّ السَّيْرَ إليه[99] والإعناق[١٠٨] ؛ مَنْ نَظَرَ الفِعْلَ لِلذات ، ما زالَ[100] في المُناجاة ، فلا تَمْسَحْ بأعناقِها ، ولا تَشُدَّ في إعناقِها .

---

(٩٦) الاشارة الى أيوب عليه السلام . قال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء / ٨٣] . (٩٧) الحنث : عدم الوفاء باليمين . (٩٨) الضغث : قبضة حشيش يختلط فيها الرطب باليابس . وهنا الاشارة الى أيوب عليه السلام حين أقسم أن يضرب زوجته عندما يزول عنه الضر ، فعلَّمه الله عز وجل أن يبرّ بيمينه ويضربها بحزمة الحشيش أي الضغث . قال تعالى : ﴿ وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث ﴾ [ص / ٤٤] . (٩٩) الحنث : التحنث . (١٠٠) قال تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ [أي سليمان عليه السلام] الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل / ٢٠ ـ ٢١] . (١٠١) عذبه لما : أي عذب الهدهد لأنه .

(١٠٢) أوجفت : أوجف الفرس إذا أسرع يعدو . وهنا الإشارة الى النمل الوارد في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا [سليمان وجنوده] عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل / ٢٠ ـ ٢١] . (١٠٣) فرقهم : أي فرّق النمل . (١٠٤) مضى السيف أو نبا : قَطَعَ أو لم يقطع . (١٠٥) الصَّبا : ريح مهبها جهة الشرق .
(١٠٦) الصافنات : الصافن من الخيل هو القائم على ثلاث قوائم . (١٠٧) السوق : ج ساق .
(١٠٨) الاعناق : نوع من سير الدواب ، أعنقت الدابة إذا أسرعت .

لا تَدْفَعِ [101] الخاتَمَ (١٠٩) إلى أَحَد ، ولا تَأْمَنْ عليه أَمَّاً ولا وَلَد ؛ ادْفَعْهُ لِمَنْ شِئْتَ فَإِنَّـهُ حِجاب ، ولا مُسَخِّـرَ إلا مُسَبِّبُ الأسباب .

لا تُعَرِّجْ على عَرْشِ بلقيس ، ولا تَلْتَفِتْ لِصَرْحِهـا المُمَرَّدِ النَّفيس (١١٠) ، إلا إن بَـدَا منها (١١١) الاسـلام ، وأَلْقَتْ يَدَ الـطاعـةِ والإستِسْـلام (١١٢) ؛ عَـرِّجْ عليها (١١٣) مَتَى ظَهَرَ مِنْها الإذْعَان ، في حَـالَتَيْ الإيمانِ والكُفْـران [102] ، تَكُنْ مِن أهلِ مَقَامِ الإحسان .

لا تُقَدِّمْ اسمَـكَ عـلى اسْـمِ مَـوْلاك ، وإنَّمـا كـان ذلـك (١١٤) [103] لِعِلَّةٍ هناك [104] ؛ قَدِّمْ اسمَكَ (١١٥) فَهُوَ الشَّرعُ [105] المُتَّبَع (١١٦) ، وإنْ لم تَفْعَـلْ فَلَسْتَ بِمُتَّبِع .

لا [106] تَـرْغَبْ [107] في مُلْكٍ لا يَنْبَغي لأحدٍ مِنْ بَعْـدِك ، بَلْ قُـلْ كُلُّ هـذا سبحانَكَ مِنْ عِنْـدِك ؛ ارْغَبْ في مُلْكٍ لا يَنْبَغي لِسِوَاك (١١٧) ، تَتَخلَّـق في ذلـك بصفاتِ مولاك .

انْشُرِ البِسـاط ، واتْـرُكِ النَّـاسَ في هِيـاطٍ ومِيـاط (١١٨) ؛ اطْـوِ البِسـاط ، واعدِلْ الى الانقِباضِ [108] من الانبِساط .

---

(١٠٩) الخاتم : إشارة إلى خاتم سليمان ، وهنا يرمز ابن عربي بالخاتم إلى السبب الظاهر . (١١٠) صرحها : قصرها . الممرد : المسوّى المصقول . (١١١) منها : أي من بلقيس . (١١٢) اشارة الى بلقيس حين أسلمت مع سليمان ، قال تعالى : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيهَا قَالَ إنَّـهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَـالَتْ رَبِّ إنّـي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسلَمتُ مَـعَ سُلَيمَـانَ للهِ رَبِّ العَـالَمِينَ ﴾ [النمـل / ٤٤] . (١١٣) عليها : على بلقيس . (١١٤) كان ذلك : أي ذلك التقديم لإسمك على اسم مولاك . (١١٥) قدم اسمك: أي قدم اسمك على اسم مولاك. (١١٦) اشارةالى سليمان الذي قدم اسمه على اسم الحق عزّ وجلّ في كتابه إلى بلقيس ، قال تعالى : ﴿ إنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وإنَّـهُ بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل / ٣٠] .

(١١٧) الاشارة إلى سليمان حين طلب ملكاً مخصوصاً قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِر لِي وَهَبْ لِي مُلكاً لَا يَنبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعدِي إنَّكَ أنتَ الوَهَّـابُ ﴾ [ص / ٣٥] . (١١٨) هياط ومياط : أي في اضطراب وجلبة ، ومجيء وذهاب .

الْزَمِ المِحْراب ، يـأتِكَ[109] الـرزقُ بغيرِ حِســاب[١١٩] ؛ لا تَلْزَمْـهُ [١٢٠] سَبَباً مُتَمّما ، واتّـخِذْ الى التوحيدِ سُلَّما .

لا تَهُـزَّ الجِذعَ في كُـل وقت ، فإنّـه مَقْت[١٢١] ؛ هُـزُّهُ[١٢٢] فهو المُـراد ، وهو الدليلُ على أهلِ الإفْكِ والإلحاد .

كُنْ في المُحاقِ[١٢٣] ثلاث ، تَفُزْ عندَ المقابلةِ بثلاث ؛ إنْ وَقَفْتَ عـلى[118] الموائدِ الثلاث[١٢٤] ، جُزْتَ مقامَ الضَّحِكِ والاكتراث .

سَلِّمْ أمْرَكَ لصاحبِ السّما ، تَعْلَمْ مَعَالِمَ الأسـماء ؛ لا تُسَلِّـمْ[١٢٥] فَلَسْتَ بثاني[١٢٦] ، فلا تَحْجُبْكَ[١١١] المَثاني .

اقْصِدِ الحَجَّ المبرور ، وَطَهِّرِ البيتَ المَعْمُور ، تُنَادَى من جبلِ الطُّور ؛ إذا كانتِ الاشارةُ نداءً على رأسِ البُعد ، فما ظَنُّـكَ بالنِّداءِ من بَعْد .

إنْ سِـرْتَ بأهلِكَ آنستَ نـاراً ، وكَلَّمْتَ العزيـزَ جِهاراً[١٢٧] ؛ لَـوْ لم تَسِرْ

---

(١١٩) الاشارة الى مريم عليها السلام . قال تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيها زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عندَهَا رزقاً قَالَ يَا مَريَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِن عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران / ٣٧] . (١٢٠) لا تلزمه : أي لا تلزم المحراب . (١٢١) مقت : مكروه . وهنا الإشارة الى الجذع الذي هزّته مريم عليها السلام . قال تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيكِ بِجِذْعِ النَّخلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾ [مريم / ٢٥] . (١٢٢) هزه : أي هزّ الجذع . (١٢٣) المحاق : آخر الشهر القمري وقبل ثلاث ليال من آخره . (١٢٤) المقصود هو الموائد الثلاث التي أنزلها الله من السماء وهي : ١ ـ مائدة مريم عليها السلام قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ الله ﴾ [آل عمران / ٣٧] . ٢ ـ مائدة عيسى عليه السلام . قال تعالى ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنكَ وارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُر بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ ﴾ [المائدة / ١١٤ ـ ١١٥] . ٣ ـ مائدة موسى عليه السلام . قال تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيكُمُ الغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيكُمُ المَنَّ والسَّلوَى ﴾ [البقرة / ٥٧ كما يراجع : الأعراف ١٦٠ ، طـه ٨٠] . (١٢٥) لا تسلم : أي لا تسلّم أمرك . (١٢٦) فلست بثاني : أي فلست بشريك ، فالأمر كله لله وحده وليس لك من أمرك شيئاً . (١٢٧) الاشارة الى موسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَو جَذوَةٍ مِنَ

بأهلِكَ لرأيتَ النارَ[112] نُورا ، وَكَشَفْنا[113] في أولِ نَظْرَةٍ عن[114] عَيْنِك أغطيةً وَسُتُورا .

لَا تَـطْلُبْ رِداءً[115] سِـواه(١٢٨) ، فَمَنْ تَـوَكَّـلَ عليـه كَفَـاه ؛ اطـلـبِ الرِّداءَ[116] من جِنْسِك(١٢٩) ، فَإِنَّهُ قد شاءَ(١٣٠) أن يكونَ أقوى لنَفْسِك .

أَلْقِ تابوتَـكَ في اليم مُطْبَقـا ، فإنّـه لا بُـدّ من اللِّـقا(١٣١) [117] ؛ لا تُلْقِـهِ(١٣٢) بِحَال ، وأخلِصْ لِرَبِّ المُحال[118] .

إنْ خِفْتَ القَسْـوَرة(١٣٣) [119] في القَفْـر ، فـاضْـرِبْ بعصـاكَ مَتْنَ[120] البَحْر ، فإنْ انفتحَ [121] لكَ طـريق ، فاعلمْ أنّـك عـلى مِنْهاجِ التحقيق(١٣٤) ؛ لا تَخَفْ(١٣٥) ولا تَضْرِبْ(١٣٦)[122] ، واثبتْ ولا تَهْرُب . يا عَجَباً كيفَ السّـلامةُ والبحرُ مديـد ، والقَسْوَرَةُ في البيـد ، لا ملجأ[123] ولا وَزَر(١٣٧) ، « إلى رَبِّـكَ يومئذٍ المُسْتَقَر » .

إذا توكلتَ عليهِ في يَقَظتِكَ ونَوْمِك ، وعلمتَ[124] أنَّهُ لا بُدّ مِنْ يَـوْمِك ، فلا تَعْجَلْ عن قومِك(١٣٨) [125] ؛ اعْجَلْ للنورِ المُبين ، لَعَلَّ قَوْمَكَ يُفْتَنُون .

النَّار لَعَلَّكم تَصْطَلُون فَلَمَّا أَتَاهَا نودِيَ مِن شَاطِئِ الوَادِ الأيمَنِ في البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أن يَا مُوسى إنّي أنا اللهُ ربُّ العَالَمِينَ ﴾ [القصص / ٢٩ - ٣٠] .

(١٢٨) سواه : أي سوى الحق تعالى . (١٢٩) رداء : مساعداً ، معيناً ، انيساً من جنسك : أي من الجنس البشري . والنصيحة هنا للسالك بأن يطلب رداء من الجنس البشري تاسياً بموسى عليه السلام الذي طلب من الله عز وجل وزيراً من أهله . قال تعالى : ﴿ وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفصَحُ مِنّـي لِسَاناً فَأَرسِلهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُني ﴾ [القصص / ٣٤] . (١٣٠) أي الله عزّ وجل . (١٣١) الاشارة الى أم موسى التي أوحى الله عزّ وجلّ اليها أن تضع ابنها في التابوت وتلقه في اليم ، ووعدها بردّه اليها . (١٣٢) لا تلقه : أي لا تلق التابوت . (١٣٣) القسورة : الأسود . (١٣٤) الاشارة الى موسى عليه السلام حين ضرب بعصاه البحر فانفلق . (١٣٥) أي لا تخف القسورة . (١٣٦) أي ولا تضرب بعصاك متن البحر . (١٣٧) وزر : ملجأ . (١٣٨) هنا الاشارة الى موسى الذي ترك قومه وعَجل الى ربه ليرضى عنه . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَعجَلَكَ عَن قَومِكَ يَا مُوسَىٰ . قَالَ هُم أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وعَجِلتُ إليكَ رَبِّ لِتَرضَى ﴾ [طه / ٨٣ - ٨٤] .

لا تَسْتَخْلِفْ عـلى أُمَّتِـك ، فيـأخـذ بعضُ النـاسِ في هِمَّـتِـك(١٣٩) ؛ استخلِف(١٤٠) ، ولا تَعْرِف .

لا تطلبْ مائـدةً حتى تعرفَ شَـرْطَها(١٤١) ، ولا تقصِـدْ رَفْعَها وَحَـطَّـها ، حتى تعرفَ معناها ، وما أرادَ بها مولاها ؛ لا تَطْلُبْها(١٤٢) ما بَقِيت ، واشتغِلْ بما به نُودِيت .

إن اتبعتَ النَّص ، أَحْيَيْتَ المَوْتَى وأبرأتَ الأكْمَـهَ والأَبْرَص(١٤٣) ؛ جَنِّبِ النَّص ، وعليك بالبَحْث والفَحْص .

لا تجعلِ الغُرابَ دليلَك فتَشقى ، ولا تَتْرُكْ أخاكَ عـلى ظهرِ[126] الأرضِ لَقى(١٤٤) [127] ؛ هُوَأشدُّ[128] دليل ، على أرفعِ [129] سبيل .

لا يَغْلَبْ على مُقلَتِكَ النَّوم ، فتَنفُشَ غَنَمُكَ في حَرْثِ القَوْم ؛ نَمْ[130] فيـه تُؤتَى الفَهْم(١٤٥) .

لا تكنْ جَبّـاراً فَيَخْـدَعَـك[131] الـطريق ، حتى يُصَيِّـرَك[132] ضَجيـعَ الغريق ؛ كُنْ جَبّـاراً ، على مَنْ تَمَرَّدَ واستَكْبَرَ استِكْبارا .

اجْعَلِ الأصنامَ جُذاذا(١٤٦) ، واعْتَصِم باللهِ عِياذا ، لا تَتْرُكِ الكبير(١٤٧) ،

---

(١٣٩) الاشارة الى موسى حين ترك قومه واستخلف أخاه هارون عليهما السلام . (١٤٠) استخلف : أي استخلف على امتك . (١٤١) شرط المائدة الإلهية هو أن لا يكفر الانسان بعد حصولها ، وإلا فإن الله يعذبه عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين؛ راجع الوعيد الإلهي لقوم موسى وعيسى عليهما السلام في الحاشية رقم (١٢٤) في هذا الباب . (١٤٢) لا تطلبها : أي لا تطلب المائدة . (١٤٣) الاشارة الى عيسى عليه السلام . قال تعالى : ﴿ أَنِّي قَد جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُم أَنِّي أَخلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيراً بِإِذنِ اللهِ وَأُبرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وأُحيي المَوْتَى بِإِذنِ اللهِ ﴾ [آل عمران / ٤٩] .

(١٤٤) لقى : ملقى ، مرمى . وهنا الاشارة الى قابيل . قال تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللهُ غُرابـاً يَبْحَثُ في الأَرضِ لِيُرِيَهُ [ليُرى قابيل] كَيفَ يُوَارِي سَوأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيلَتِي أَعَجَزتُ أَن أَكُونَ مِثلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوأَةَ أَخِي فَأَصبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [المائدة / ٣١] . (١٤٥) اشارة الى حكم داود وسليمان . قال تعالى : ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾ [الأنبياء / ٧٨ ـ ٧٩] . (١٤٦) جذاذا : قطعا . والاشارة =

وَقَارِنْهُ فِي الهلاكِ بِالصَّغِير ؛ اترك[133] الـوجودَ عـلى ما هُـوَ عليه ، فكُـلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا[134] يُسِّـرَ إليه .

غَمِّـضْ عن الكـوكب[135] والقَمَـر ، وإذا رأيتَ الشَّمسَ فـلا تَقُـلْ هـذا أكْبَر[١٤٨] ؛ لا تَقِفْ مَعَ السَّابعِ مِنَ الأفلاك ، وارغَبْ إلى اللهِ في التاسعِ حيثُ الاستواءُ والإملاك .

ارْفَـعِ الهِمَم ، واستَعِـدَّ لِتَجلِّـةِ القَسَم ؛ إن حَـلَّ[136] الشَّمسُ في حَمَلِكَ أمِنْتَها ، وذَاقَها غيرُك وعَايَنْتَها .

فإنْ تَنَزَّه رَبْعُكَ[١٤٩] [137] عن القِدَم ، وآتاكَ جميعُ الكَلِمِ والحِكَم[١٥٠] ، فأنشِدْ كما أنشدتُ ولا تَهْتَم .

نَـدْنِي[138] أضْـحـى إلـى الأُمَـم   نـائـبـاً عَـنْ كـعـبـةِ الحَـرَمِ
كعبـةٌ لـلسـرِّ[١٥١] يَسْعَى[139] بها   كُـلُّ مَـنْ يمشي عـلى قَـدَمِ[١٥٢]
مـن أرَادَ الحَجَّ[140] يَـقْـصِـدُهـا   مِنْ جميـعِ الـعُـرْبِ والعَـجَـمِ
أنـا سِـرُّ الخَـلْـقِ كُـلِّـهِـم   وأنـا الأقـسـمـة[١٥٣] الـكَـلِمِ

= الى ابراهيم عليه السلام . قال تعـالى : ﴿ فَجَعَلَهُم [أي ابراهيم عليه السلام] جُـذَاذاً إلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّـهُم إليهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء / ٥٨] . (١٤٧) الكبير : أي الكبير من الأصنام . (١٤٨) الاشارة هنا الى ابراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿ فَلَمَّـا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ رَأى كَوكَباً قَالَ : هَذَا رَبِّي فَلَمَّـا رَأى الشَّمسَ بَـازِغَةً قَـالَ : هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّـا أَفَلَتْ قَـالَ : يَا قَـوْمِ إِنِّـي بَـرِيءٌ مِمَّـا تُشْرِكُـونَ ﴾ [الأنعام / ٧٦ ـ ٧٨] . (١٤٩) ربعك : المقصود ذاتك . (١٥٠) واتـاك جميع الكلم والحكم : أي أعطاك الميراث المحمدي ؛ والميراث المحمدي هو الخاتم والجامع لكل الحقائق والتعاليم التي تضمنتهـا المسالك النبوية السابقة . راجع ، « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مفرد « ختم وخاتم » .

(١٥١) أي كعبة تتوجه اليها الأسرار والأرواح ؛ وهنا يرى ابن عربي أن الوارث المحمدي هو قبلة أرواح التابعين . وهذه القبلة هي فقط قبلة الأرواح والأسرار إذ لا قبلة لأبدان المسلمين يتـوجهون اليهـا في صلاتهم وحجّهم إلا كعبة المسجد الحرام في مكة . فالوارث المحمدي قِبلةُ الأرواح ، والحرم المكي قِبلةُ الوجوه والأبدان . (١٥٢) على قدم : أي متتبعاً لآثار الأقدام النبوية الشريفة ؛ فكل من اتّبع خـطى نبي من الأنبياء نقول : مشى على قدمه ، أي سلك مسلكه . أنظر ، « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « على قدم » و « القدمية » . (١٥٣) الأقسمة : الحظوظ المقسومة بين العباد ، الواحد : أقسومة .

إنــنــي شَـفْــعٌ وَوَتْــرٌ إذا   لَمْ يَكُنْ بالرَّبعِ من إِرَمِ (١٥٤) (141)
أنا « كُنْ »(١٥٥) لَكنَّني شَبَحٌ   قابلٌ للجَهْلِ والحِكَمِ
فيكونُ الجَهْلُ في صَبَبٍ(١٥٦)   ويكونُ العِلْمُ في عَلَمٍ(١٥٧)
إنني لَوْحانِ قَدْ رُقِمَا(142)   غيرَ أنَّ الوَتْرَ في القَلَمِ
أنا وصفُ الوصفِ فاتَّصِفُوا   أنا ذاتُ الذاتِ فالتَزِمِ
أنا سِرُّ السِّرِ مُذْ عَدَلَتْ   هِمَّتي عَنْ موقفِ الهِمَمِ(143)
أنا نُورُ النورِ مُذْ بَرَزَتْ   بِوُجودي دُرَّةُ الظُلَمِ
أنا عِزُّ العِزِّ ما مَلَكَتْ   نَفْسيَ ذاتَ الذُّلِ والغَنَمِ
مَنْ رآني قد(144) رأى ما خَفَى(145)   في مِثالِ النُّور والقِدَمِ
بَلَغَ الغايةَ (146) قلبُ فتىً   لِيَمينِ اللهِ مُسْتَلَمِ
قَدْ أَبَحْنَا لَثْمَها فَمَهُ   عَلِيَّةً(147) في سابقِ القِدَمِ
سَعْدَ نفسي إنَّها سَعِدَتْ   بسلوكِ الواضحِ الأَمَمِ(١٥٨)
لَمْ يَنَلْهُ غيرُها عاشقاً(148)   مثلَها في سالفِ الأُمَمِ
يا رجالاً(149) طلبوا غَيْرَنا(150)   أينَ جودُ البَحْرِ مِنْ كَرَمي
ارْجِعُوا واستَلِمُوا كَفَّ مَنْ   إنْ يَهَبْ لَمْ يَخْشَ مِنْ عَدَمِ
كُلُّ طَرْفٍ في العُلى سابحٌ(151)   نَحْوَنا ، وِجْدانُنا يَرْتَمي(١٥٩) (152)
كُلُّ سِرٍّ خافضٍ رافعٍ   لوجودي رغبةً يَنْتَمي
مُنْذُ حَلَّ الشمسُ في حَمَلي(154)   أمِنُوا تَحِلَّةَ القَسَمِ
لَمْ نَزَلْ ولا نَزالُ غَدا(155)   في نعيمٍ غيرِ مُنْصَرِمِ
وشُموسُ الوَصْلِ طالعةٌ   وخُسوفُ الهَجْرِ في العَدَمِ
انظُروا قَوْلي لَكُم فَلَقَدْ   عَيْنُ كُلِّ الناسِ عَنْهُ عَمي

---

(١٥٤) ارم : أحد . (١٥٥) أنا كن : أنا موجود ؛ لأنني مظهر كلمة التكوين « كن » . (١٥٦) صبب : انخفاض ، وسقوط . (١٥٧) علم : ارتفاع . (١٥٨) الأمم : المنهج ، الطريق . (١٥٩) وجداننا يرتمي : أي يطلب أن يجدنا في وَجْدِهِ .

تُجِدُوه واضِحاً حَسَناً مُنْبِئاً عن رُتْبَةِ الكَرَم [156]

ثم قال(١٦٠) : يا بُنَيَّ ؛ فإذا ظهرتَ لمُستَوى[157] ، وأُيِّدتَ بالأسرارِ الإلهيةِ والقُوى ، سَمِعْتَ صريفَ القلم ، في لوحِ المَحْوِ بالقَدم[158] ،

هنالِكَ إذا لم تَرَ شيئاً فقد رأيْت ، وإذا لَمْ تسمعْ شيئاً فقد سَمِعْتَ ؛ فإذا رُفِعَ لكَ سِرُّ السَّتْر[159] ، واتَّصَلَ الشفعُ بالوَتْر ، كانَ هُوَ ولا أنت ، وظهرَ[160] الحقُّ وخَفِيت ، وغبتَ عن البيت ، وعن صاحبِ البيت ؛ فرأى نفسَهُ بنفسِه ، وعادَ العددُ إلى أُسِّه .

فإن قَضَى لَكَ [تعالى] بالرجوع(١٦١) ، ومفارقَةِ ذاكَ المكانِ المنيع[161] ، ولا بُدَّ مِنْ ذلكَ(١٦٢) للوارثِ فإنَّهُ من تمامِ النِّعمة ، ولطيف الحِكْمة ، حتى يَتَنَعَّمَ الظاهرُ والباطِن ، وَيُقْرَى[162] الراحِلُ والقاطن ، فاجْهَدْ في سلوكِ هذه المقامات ، واعلمْ أنَّهُ من أرادَ اللِّقا مات ، فَسَلِّمِ الأمرَ إليه ، وتَوَكَّلْ في سلوكِكَ عليه ، حتى تَقِفَ بين يَدَيْه .

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ قالَ(١٦٣) لي : اسبرْ(١٦٤) هذه الوصيَّةَ في مَحَلِّ[163] النَّظَر ، ومجاري العِبَر[164] ؛ وتَخَلَّقْ بها على الطَّرْدِ والعَكْس ، تارةً مع العَقْلِ وتارةً مَعَ النَّفْس .

ففرِحْتُ بِوَصِيَّتِه(١٦٥) ، ورغبتُ في استدامَةِ صُحْبَتِه ، فقال(١٦٦) : آلى[165] العبدُ أن لا يصحبَ سوى[166] مولاه ، وأنْ لا يَنْظُرَ سِواه .

ولم يَزَلْ(١٦٧) يُطْنِبُ في الدُّعاء ، وَيَجْهَدُ في الثَّناء .

---

(١٦٠) قال : أي قطب الشريعة . (١٦١) بالرجوع : أي بالرجوع الى عالملك ؛ عالم الخلق والشهادة . (١٦٢) من ذلك : أي من الرجوع الى عالم الخلق . (١٦٣) أي قطب الشريعة . (١٦٤) أسبر : اختبر ، واستخرج كنه الأمر . (١٦٥) بوصيته : أي بوصية قطب الشريعة . (١٦٦) أي قطب الشريعة . (١٦٧) أي قطب الشريعة .

قَالَ السَّالِكُ :

فقامَ أهلُ المجلِسِ وقالوا على لسانٍ[167] واحد :

يا سيّدنا أَدَرَّ اللهُ دَرَّك ، وأَلحقَّ بِكَ الحقَّ وَدَرَّك ، للهِ أنتَ مِنْ خطيبٍ ما أفصحَ لسانَه ، وأحسنَ بيانَه ، وأطلقَ في شأوِ البُلَغاءِ عَنانَه ، وأكَنَّ[168] مِنَ الدُّرِّ جَنانَه[169] ، وأكتَبَ للبَدائِعِ بَنانَه ، وأعْذَبَ كَلامَه[170] ، وأشهى[171] إلى الأسماعِ[172] نَثْرَهُ ونِظَامَه ، لَقَدْ بالغتَ في الوَصِيَّة ، وأوضحتَ المقاماتِ السَّنِيَّة ، وأعربْتَ عن أسرارِ[173] الصُّوفية ، وَدَلَلْتَ على الطريقِ الأَقْوَم ، والمَنْهَجِ الأقدَم ، جازَى اللهُ سبحانَهُ مَجدَكُم على ما مَنَح ، وَوَهَبَ لهُ[174] جَزِيلَ المِنَح .

III

الرفارف العُلى

بسم الله الرحمن الرحيم[175]

قَالَ السَّالِكُ :

ثم أنشأني نشأةً أخرى ، وتلى : « ثم أرسلْنا رُسُلَنا تترى »[١٦٨] ، فَسَوَّيْتُ جناحَ اللطائف ، وامتطيتُ متونَ الرفارف ، وطرتُ في جَوِّ المعارف[176] ، وإذا هيَ ثلثمايةِ رَفْرَف[177] ، تُدعى : بالملأ الأعلى الأشرف .

فعاينتُ مِنْ علمِ الغيوبِ عجائبا تُصانُ عن التَّذكارِ في رأيِ مَنْ وَعَى
فمِنْ صادحاتٍ[١٦٩] فوقَ غُصْنِ أراكةٍ[١٧٠]
يَهِجْنَ بلابيلَ[١٧١] الشجيِ إذا خلا[١٧٢] [178]
ومِنْ نَيِّراتٍ سائلاتٍ ذواتِها أفيضوا علينا النورَ من فرصَةِ المَها
ومن نقرِ أوتارٍ بأيدي كواعب[179] عذابِ الثنايا طاهراتٍ من الخنا[١٧٣][180]
ومن نافثاتِ السِّحرِ في غَسَقِ الدُّجى عَسَى ولَعَلَّ الدهرَ يسطو بهم غدا
وأبصرتُ أقواماً كِراماً تَبَرْقَعوا ولوحَسَروا أضحتْ على أرضِها[181] السَّما
فَمِنْ سالكٍ نَهْجَ الطريقِ مسافرٍ إلى سفرٍ يسمو وفي الغَيْبِ ما سَمَا
ومن واصلٍ سِرَّ الحقيقةِ صامتٍ ولو نَطَقَ المسكينُ عَجَّزَهُ الورَى
ومِنْ قائمٍ بالحالِ في بيتِ مَقْدِسٍ فلا نَفْسُه تَظْمأ ولا سِرُّه ارتَوى

---

(١٦٨) سورة المؤمنون ، آية ٤٤ . (١٦٩) صادحات : الصادح هو من رفع صوته بالغناء . (١٧٠) أراكة : شجرة كثيرة الأوراق والأغصان . (١٧١) بلابيل : ج بَلْبال وهو شدة الهمّ . (١٧٢) الشجي إذا خلى : الخلي هو الخالي من الهم ، والشجي عكسه والمراد هنا أنه كلّما خلا الشجي أهاجَتْ الصادحاتُ همومَه .

ومن واقفٍ للخلقِ عندَ مَقامِهِ ورُتْبتُهُ في الغَيْبِ مرتبةُ الأُسى[١٧٤]
ومن ظاهرٍ وسطَ المكانِ[182] مُبرِّزٍ لهُ مُكْنَةٌ تسمو على كل مُسْتَمى[183]
ومِنْ شاطِحٍ لم يَلْتَفِتْ لحقيقةٍ[184] قَدْ أنزلَهُ دعواهُ مَنْزِلَةَ الهَبا[١٧٥]
ومن نَيِّراتٍ في القلوبِ طوالعٍ تدُلُّ على المعنى ،ومَنْ يتَّصِلْ يَرى[185]
ومِنْ عاشقٍ سِرَّ الذهابِ مُتَيَّمٍ قَدْ أنْحلَهُ الشَّوقُ المُبَرِّحُ والجَوَى
وصاحِبِ أنفاسٍ تراهُ[186] مُسلَّطاً على نارِ أشواقٍ بها قلبُه اكتوى
ومن كاتمٍ للسِّرِّ يَظْهَرُ ضِدُّهُ[187] عَلَيْهِ لطُلَّابِ المَشاهِدِ بالتُّقى[١٧٦] [188]
ومِنْ فاضِلٍ والفَضْلُ حَقُّ وُجُودِهِ ولكنَّ ما يرجوه[189] في راحةِ النَّدى[١٧٧]
ومن سَيِّدٍ أمسى أمينُ[190] زمانِهِ يقابِلُ مَنْ يَلقاهُ[191] من حيثُ ما جَرَى
ومن ماهرٍ حازَ الرياضةَ[192] واعْتَلا فصارَ يُنادِي بالأسِنَّةِ واللُّها[١٧٨]
ومن مُتَجَلٍ[193] بالصفاتِ التي حَذا بأجسادِها حادي[١٧٩] [194] المَنِيَّةِ للبِلا
ومن مُتَخَلٍ طَالِبِ الأُنسِ بالذي تأزَّرَ بالجِسْمِ التُّرابيِّ وارْتَدى
ومُسْتَيْقِظٍ بالانزعاجِ لِعِلَّةٍ[195] أصَابَتْه مطروحاً على فُرُشِ العَمَى
فقامَ له سِرُّ التَّجَلِّي بقَلْبِهِ فلَمْ يَفْنَ في الغَيْرِ[196] الدَّنِيِّ ولا الدَّنا[١٨٠]
ومِنْ شاهِدٍ للحقِّ[197] بالحقِّ قائمٌ لَهُ هِمَّةٌ تُفْنِي الزوائدَ[١٨١] والفَنا[198]
ومِنْ كاشفٍ وَهْوَ الأتمُّ حقيقةً ولولا أبوالعباسِ[١٨٢] ما انصرفَ القَضا
ومن حائرٍ قَدْ حَيَّرتْهُ لوائحُ تقولُ له : قَدْ أفلحَ اليومَ مَنْ رَقا
ومن شاربٍ حتى القيامةِ ما ارْتَوى ومن ذائقٍ لم يَدْرِ ما لَذَّةُ الطوى[١٨٣]

---

(١٧٣) الخنا : الفحش . (١٧٤) الأُسى : ج أسوة .

(١٧٥) الهبا : الجوهر المظلم الذي قَبِلَ صورَ أجسام العالم . راجع ، « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « هباء » . (١٧٦) بالتقى : بالتقية ، كتم السر والحال خوفاً . (١٧٧) راحة الندى : رجل نديّ الكف أي سخيا . (١٧٨) بالاسنة واللها : اللهوة : العطية من مال أو غيره واللُّها جمعها . فيكون مقصود ابن عربي بالأسنَّة واللها : أي بالوعد والوعيد ، أو بالترهيب والترغيب . (١٧٩) حادي : سائق . (١٨٠) الدني : القريب ، الدنا : المنحط ، الساقط . (١٨١) الزوائد :ج . زيادة . وهي زيادة اليقين والإيمان بالغيب . (١٨٢) أبو العباس : الخضر عليه السلام .

(١٨٣) الطوى : السقاء الذي يجعلون فيه الماء .

ومن غُـرْبَـةٍ والمَكْـرُ فيهـا مُضمَّنٌ ... ومن إصطـلامٍ حَلَّ في مُضْمَرِ الحَشَـا

ومِنْ واجـدٍ[199] قَدْ قـامَ من مُتَواجِـدٍ ... فأَبْدَى له الوَجْدُ الوجـودَ وَمَا نَهى[200]

ومِنْ سائرٍ عَلْمَاءِ(١٨٤) [201] وَهُوَ إشارَةٌ ... إلى عارفٍ فَوْقَ الأقاويلِ والحِجَى(١٨٥)

ومِـنْ نَـاشِـرٍ يـومـاً جَـنَـاحَ يَـقـيـنِـهِ ... يَطيرُ ويَسْري[202] في الهَـواءِ بلا هَـوَى

ومن بـاسِطٍ كَفَّـيْـهِ وَهْيَ بَـخِـيـلَةٌ ... ولولا وُجودُ الفَيْضِ[203] ما مُدِحَ النَّدَى

وصـاحبِ أُنْسٍ لم يَـزَلْ ذا مَهَـابَـةٍ ... وصـاحبِ مَحْوٍ عَنْ نَسيمٍ قَـدِ انْبَرَى

وصاحبِ إثباتٍ عظيـمٍ جـلالُـهُ[204] ... تَتَوَّجَ بالجَوْزَاءِ(١٨٦) وانتعَلَ السُّهى(١٨٧) .

قَالَ السَّالِكُ :

فـما زلتُ أخترقُ بهـذه الـرَّفـارف ، وأنـظرُ في بـدائـعِ هـذه الطرائف واللطائف ، حتى أتيتُ عـلى آخـرِهـا ، وعـرفتُ بـاطِنَها من[205] ظـاهِـرِهـا ؟ فَنُوديتُ : إلى أين ؟ فقلتُ : إلى « قابِ قوسين » ، حيثُ يزولُ الكيفُ والأيْن ، وَتتَّـضِحُ الأسرارُ لذي عَيْنين .

***

---

(١٨٤) علماء : على الماء . (١٨٥) الحجى : العقل . (١٨٦) الجوزاء : برج في السماء .
(١٨٧) السهى : كوكب خفي .

القِسْمُ الرَّابِع

١ ــ مُنَاجَاة «قَاب قوسَين»

٢ ــ مُنَاجَاة «أو أدْنىٰ»

٣ ــ مُنَاجَاة «اللوح الأعلىٰ»

٤ ــ مُنَاجَاة «الرّيَاح» و«صَلصَلَة الجرَس»

٥ ــ حَضرَة «أوْحىٰ»

1 ــ مُنَاجَاة الإذن

2 ــ مُنَاجَاة التشريف وَالتنزيه

3 ــ مُنَاجَاة التَقديس

4 ــ مُنَاجَاة المنَة

5 ــ مُنَاجَاة التعَليم

6 ــ منَاجَاة اسرَار مَبادئ السُّوَر

7 ــ مُنَاجَاة جَوَامِع الكَلِم، مُنَاجَاة السمْسمَة

8 ــ مُنَاجَاة الدرَّة البَيْضَاء

هنا يبدأ القرب والتقريب لذلك يسري في الخطاب دفء ، المناجاة ، حيث مخاطِب ومخاطَب لا ثالث بينهما يشرح ويُعلِّم ويوضّح ؛ وفي كل حضرة من هذه الحضرات يُكشف للسالك عن حقيقة هويته . . وموقعه الكوني، ورتبته في سلسلة المقامات الروحية .

I

مُناجاة "قابَ قوسَيْن"

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

قَالَ السَّالِكُ :

فنَزَلَ إليَّ المَلَكُ بالسُّلَّم[2] الأسْنى ، فَرَقِيتُ[3] إلى المستوى الأَعْلَى ؛ فَلَمَّا أنزلني[4] « قابَ قَوسَيْنِ »[١] ، قال[٢] : لا تَطلبْ أثراً بعدَ عَينْ ؛ ثم تكَفَّنَ في جناحَيْه ، ونَكَصَ على عَقِبَيْه .

قَالَ السَّالِكُ :

فَلَمَّا بَقيت[٣] ، نُوديت : سَلِّمْ[5] يُرَدُّ عليك ، وسَلْ ما شئتَ يُوهبُ إليك[6] ؛ فسلمتُ بِمَا[7] يَجب ، وجَثَيْتُ[8] على الرُّكَب ؛ فسمعتُ كلاماً مِنِّي ، لا داخلاً فيَّ ولا خارجاً عَنِّي ، وهو يقول[٤] :

لله دَرُّ عِصابةٍ سَارَتْ بِهِم[9]   نُجُبُ[10] الفَناءِ بحَضْرَةِ[11] الرحمنِ

---

(١) قاب قوسين : هذه الحضرة مستوحاة من المعراج النبوي ، وهي مقام من مقامات القرب والتقريب . قال تعالى ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ . (٢) قال : أي المَلَك . (٣) أي في حضرة « قاب قوسين » حيث أنزله المَلَك ، وهنا اشارة الى حال البقاء الذي يعقب فناء السالك . (٤) ان الانسان مهما قطع في طريق المقامات ، وتحقق بمراتب الوصول ، فإنه لا يصل إلا الى حقيقته الذاتية ، ولا ينكشف له إلا صورة اعتقاده ؛ بمعنى أن الحق الذي يتجلى للسالك ويناجيه ويلهمه ليس الله عزّ وجلّ بذاته تعالى ، ولكنه الوجه الذي يعرفه الانسان من الحق وهو إلى حد ما : الحق الذي تصوره الأديان والمعتقدات ، وهي صورة حقة مبرأة عن التوهم ؛ وسنشير الى هذا المعنى عند وروده بعبارة : الحق الإعتقادي .

قَطعوا زمانَهُمْ بِذِكْرِ حبيبِهِم ... وَتَحقَّقُوا[12] بِسَرائِرِ القُرآنِ
وَرِثُوا النَّبيَ الهاشِميَّ المُصطفى ... مِن أشرفِ الأعرابِ من عدنانِ(٥)
رِكِبوا بُراقَ الحُبِّ في حَرَمِ المُنَى ... وَسَرَوْا لِقُدْسِ النُّورِ والبُرهَانِ[13]
وَقَفُوا على حَجَرِ الصَّفا فأتاهُمُ ... لَبَنُ الهُدى مِنْ مَنْزِلِ القُرآنِ[14]
قَرَعُوا سَمَاءَ[15] جُسُومِهِم فَتَفَتَّحَتْ ... أبوابُها فَبَدَتْ لهم عَيْنانِ
عَيْنٌ تَبَسَّمَ ثَغْرُها لما رَأَتْ ... أَبْنَاءَها في جَنَّةِ الرِّضْوَانِ
وَشِمَالُها[16] عَيْنٌ تَحَدَّرَ دمعُها ... لَمَّا رَأَتْهُم في لَظَى النِّيرانِ
قَرَعُوا سَمَاءَ الرُّوحِ لَمَّا آنَسُوا ... جِسماً تُرابِيّاً بِلا أَرْكانِ
فَبَدَا لَهُم لاهوتُ عيسى المُجْتَبَى ... رُوحاً بِلا نَفْسٍ [17] ولا جُثْمَانِ
كَمَلَ الجَمالُ بِيُوسفٍ فَتَطَلَّعوا ... لِمَقامِ ادريسَ العَلِيِّ الشانِ
طَلَبوا الخلافةَ إذْ رأوا هارون قَدْ ... أَرْبَتْ مَنازِلُهُ عَلَى كِيوانِ
نَالوا[18] الخلافةَ عندما نالُوا مُنَى ... موسى كَليمِ[19] الراحمِ المَنَّانِ
سَجَدَ[20] الملائكةُ الكِرامُ إليهِمُ[21] ... دُونَ اعتقادِ وجودِ رَبٍّ ثانِ
طَمَحتْ بِهِمْ هِمَّاتُهم فَتَخَلَّلُوا[22] ... في حضرةِ الزُّلفى قِرَى الضِيفانِ
كَمَلَتْ صفاتُهم العَلِيَّةُ وارتَقَوْا ... عن سِدرةِ [23] الايمانِ والإحسانِ
لِلذَّاتِ كانَ مصيرُهم[24] فَحَبَاهُمُ ... بِشهودِها عيناً بلا أكوانِ
وَصَلُوا إليهِ وعَايَنُوا ما أَضْمَروا ... من[25] غيبِ سِرِّ السِّرِّ كالإعلانِ
سبحانَهُ وَتَقَدَّسَتْ أسماؤهُ ... وعنِ الزيادةِ جَلَّ[26] والنُّقْصَانِ

قَالَ السَّالِكُ :

ثم قَالَ لي(٦) : أخبرني يا زهرةَ المُحِبين ، ويا جَمَالَ الوارثين ، ماذا لَقِيتَ في طريقِكَ إلَيْنا ، وبماذا وَفَدْتَ به علينا ؟

---

(٥) هنا إشارة إلى أن المعراج الصوفي المعنوي هو فقط للوارث المحمدي . (٦) قال لي : أي قال « الحق الإعتقادي » للسالك . انظر الحاشية رقم ٤ .

قَالَ السَّالِكُ :

لما فارقتُ الماء ، عُرِجَ بي إلى أوَّلِ سَماء ، فرأيتُها مُزَيَّنَةً بالنُّجوم ، فمِنْها أهْتَدي[27] ومنها رُجُوم[٧] ؛ ورأيتُ مقاماتِ الخُلفاء ، ومصابيحَ الظُّلْماء ، فوجدتُها[٨] ثمانيةً وعشرين ، وحَضراتِهم إثنتي عشرةَ لِتَتْمِيمِ[28] الأربعين ؛ فقيل لي : هذه منازلُ السَّالكين ، وينابيعُ[29] حِكَمِ المُخْلِصين .

ثُمَّ لَحَظْتُ[30] السبعةَ الخُلَفاء في الأفلاكِ يَسْبَحون[٩] ، فَحَمَلْتُها على السَّبعةِ المُودَعَةِ في الفُلْكِ المَشْحون ، وَنظَرْتُ[31] في الجَدْيِ والفَرْقَدَيْن[١٠] ، فإذا هم الأئمةُ في العَالَمَيْن .

فاستفتحتُ سماءَ الأجسام ، فرأيتُ آدمَ عليه السلام ، وعلى يمينه أسودَةُ[32] القَدَم ، وعن يسارِهِ أسودَةُ[33] العَدَم . وهو[١١] يتردَّدُ بين بكاءِ الجلال ، وضَحِكِ الجَمال ، لِمُعَايَنَةِ النقصِ والكمال ؛ فرأيتُ جميعَ الأبناءِ[34] أمواتا ، حينَ رأيتُهم أشتاتا ؛

وطلبتُ[35] الحقيقة ، فقيل لي : حتى تَفْنى عنِ[36] الطريقة ، فإنَّه لا يَبْدو كمالُ الصورةِ لأهلِ المِعراجِ والنُّهى[١٢] ، حتى يَبْلُغوا سدرةَ المُنْتَهى ؛ هنالِكَ تَنْتَهي حقائقُ نفوسِهم ، ويُكْشَفُ[37] لهم عن موادِ شموسِهم ؛ ذلك أوَّلُ مقاماتِ الثلثمائة ، والفناءِ عن[38] كلِّ فئة ؛

وأمَّا حقيقةُ الذاتِ[١٣] فلا يُشاهِدُها[39] سِواه[١٤] ، وغايةُ كُلِّ واصلٍ أنْ يُشاهِدَ مَعْناه[١٥] ، فلا غايةَ فيما[40] فيه الغاية ، ولا نهايةَ لموارِدِ البداية .

---

(٧) قال الله تعالى في الشهب : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك / ٥] ؛ وفي حديث قتادة : « خلق الله هذه النجوم لثلاث ، زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يُهتدى بها » . وقد تطرّق ابن عربي أعلاه الى هذه المعاني الثلاث . (٨) فوجدتها : فوجد السالك مقامات الخلفاء . (٩) الاشارة هنا بالسبعة الخلفاء الى سكان السموات السبع الذين مرّ ذكرهم : آدم ، عيسى ، يوسف ، ادريس ، هارون ، موسى ، ابراهيم عليهم السلام . (١٠) الجدى : نجم الى جنب القطب تُعرف به القبلة ، ويقال له جدى الفرقد . الفرقد:نجم قريب من القطب الشمالي يُهتدى به . (١١) وهو : أي آدم عليه السلام . (١٢) النهى : العقل . (١٣) الذات : الذات الإلهية . (١٤) سواه : أي سوى الحق عزّ وجل . (١٥) معناه : معنى السالك الواصل وحقيقته .

فعُرِجَ[41] بي إلى سماءِ النُّفوس ، وانتقلتُ عنِ[42] العَالَمِ المحسوس ، فنُفِخَ في الصورةِ الرُّوح[43] ، بمشاهَدَةِ المسيح . فأظهرَ[١٦] فَتْقا ، في سماءٍ وأرضٍ كانَتا رَتْقا .

فنَطَقْتُ بالحمدِ والثَّنا ، فأُعطِيتُ الحُسْنَ والغِنى .؛ فرأيتُ يوسفَ في سماءِ جمالِ القُلوب ، فأتحَفَني[45] بموارِدِ الغُيوب ، فشكرتُه شكراً سنيّا ، فرَفَعَني مكاناً عَلِيّا .

فرأيتُ في الرابعةِ ادريس ، وتَقَدَّسَ السِرُّ عن التَّخْييلِ والتَّلْبيس ، فقلت : هذا المُنْتَهى ، وهذا مقامُ الكمالِ والبَها ؛ فطلبتُ[46] الخلافةَ على الأنام[47] ، فرُفِعْتُ إلى هارونَ عليه السلام ؛ فقيل لي[48] : أتعرفُ ما جزاءُ[49] مَنْ استُخلِفَ في مقامِ الإحسان ؟ أن يأخذَ بلحيتِهِ[50] كليمُ الرَّحمن[١٧] .

فعُرِجَ بي الى سماءِ الكلام ، فرأيتُ[51] موسى عليه السلام ، فرَحَّبَ بي وأقعدَني ، وعلى مَوْضِعِ الرِّفْقِ[52] نَبَّهني ؛ ثم قالَ لي[53] : أنا الكليم ، للمُكَلِّمِ [54] القديم ، لو [55] لم تُلْقَ الألواح ، ما جَرَرْتُ برؤوسِ الأشباح ؛ أنتَ عبدٌ مُكَرَّم ، ولَدَيْنا مُعَظَّم ؛

قلتُ له[١٨] [56] : أريدُ الخُلَّة[١٩] ، قال : هيَ لِمَنْ سَدَّ عنِ الأنامِ الخَلَّة[٢٠] ، قلت : أنا ذلك ، قال : فارْقَ إلى[57] السابعةِ أيُّها السالِك ، فهيَ سماؤها ، وعليهِ قامَ عِمادُها وبِناؤها . فرأيتُ صاحِبَها[٢١] مُسْنِداً ظهرَهُ إلى البيتِ المَعْمور ، فأدْرَكَني الجَذَلُ والسُّرور ، يَدْخُلُهُ[٢٢] كُلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ مَلَك ، ليَحْيَ « مَنْ حَيَّ عن بَيِّنة »[٢٣] وَيَهْلِكَ [58] مَنْ هَلَك .

---

(١٦) فاظهر : أي المسيح عليه السلام . (١٧) كليم الرحمن : موسى عليه السلام . (١٨) له : أي لموسى عليه السلام .

(١٩) الخلة : وهو مقام ابراهيم عليه السلام . (٢٠) الخلة : الخلل والنقص . (٢١) صاحبها : أي صاحب السماء السابعة ، وهو ابراهيم عليه السلام . (٢٢) يدخله : أي يدخل البيت المعمور. (٢٣) سورة الأنفال ، آية ٤٢ .

وأُقيمَ[59] في السادسةِ أو في السِّدرةِ نَهْران ظاهران ، ونهرانِ باطنان ، فالظاهرانِ : فُراتُ[60] الكتابِ ونيلُ[61] السُّنَّة ، والباطنان : التوحيدُ والمِنَّة .

ثم بلغتُ سِدْرَةَ المُنْتَهى ، وقلتُ : هذا هُوَ الإنتِها[62] ، فَتَلا عليَّ الرسولُ الكريم(٢٤) ، « وَمَا مِنّا إلاّ لَهُ[63] مَقامٌ مَعْلُوم »(٢٥) ؛ ولا بُدَّ لَكَ مِنَ التَّداني والتَّرَقّي والتَّدَلّي والتَّلَقّي ، بالمقامِ المحمود ، وحضورِ الشاهدِ والمشهود .

ثُمَّ اختُطِفْتُ مِنْ تلكَ السِّدرةِ العليّة ، وأُنْـزِلْتُ بكُرْسي الشَّفْعيّة ، فَحَفِظْتُ بها الوَصِيَّةَ السَّنِيّة .

ثم أُنْشِىء لي جناحُ اللطائف ، وامتطيتُ ظهورَ الرَّفارف ، فمررتُ بثلثمائةِ حضرة ، ما نظرتُ إليها نَظْرة ، فسمعتُ صريفَ القَلَمِ باليمين ، في ألواحِ صدورِ الوارثين ، فلمّا دَنَوْتُ من الصَّريف ، قيلَ لي : تَقَنَّعْ بالنَّصيف(٢٦) .

قَالَ السَّالِكُ :

فعندما سَمِعَ مِنّي(٢٧) هذهِ اللفظةَ لَطَّني(٢٨)[64] ، وفي ثوبِ العبوديةِ غَطَّني(٢٩) ؛ ثم قَالَ لي : يا عبدي ، لا تَجُدْ[65] الكلام(٣٠) ، فإني[66] المُكَلِّمُ[67] والمُكَلَّمُ ومِنّي الكلام . فلا تَجْعَل[68] كلامي سِوائي ، كما لَمْ[69] يَسَعْني[70] أرضي ولا سَمائي .

---

(٢٤) الرسول الكريم : أي رسول التوفيق . (٢٥) سورة الصافات ، آية ١٦٤ . وفي تلاوة رسول التوفيق ، الذي رافق السالك في المعراج حتى سدرة المنتهى ، هذه الآية إشارة الى أنه سيفارق السالك عند هذا المقام ، وانه لا بد للسالك بعدها من الترقي ولكن ليس برفقة رسول التوفيق . (٢٦) النصيف : الخِمار . (٢٧) سمع مني : أي سمع الحق الاعتقادي من السالك . (٢٨) لطني : سترني . (٢٩) غطني : ضغطني بشدة . (٣٠) لاتجد الكلام : لا تحول الكلام الى جداء تتغنّى به .

II

مُنَاجَاة "أوأدْنى"

بسم الله الرحمن الرحيم[71]

قَالَ السَّالِكُ :

ثم أنشأ لي جَنَاحَ الفَنَا ، وطرتُ[72] بـه إلى حضرةِ « أو أدْنى »[٣١] ، فلما نزلتُ بفنائِها ، وسقطتُ على حيطانِ أسمائها ، أنشدتُ :

مِن الذي لم يَزَلْ يُنادِي إلى الذي لَمْ يَزَلْ مُجيباً
أسهرتَ عيني أطلتَ بَيْني[٣٢] أوْرَثْتَني الوجدَ وَالنَّحيبا
صَيَّرْتَني في الهوى فريداً مُتَيَّماً هائماً غريبا

قالَ[73] لي[٣٣] : ذلكَ[٣٤] إرادَتي فَسَلِّم ، وإلى جَرْيِ[74] مقاديري عليكَ فَوِّضْ أمركَ[75] واسْتَسْلِم .

أيُّها السالك أريدُ أنْ[76] أمْحَضَكَ[٣٥] في حضرةِ[77] « أو أدنى » ، هل اطَّلَعْتَ على حقائقِ الاشاراتِ في آياتِ جواهِر[78] القرآنِ ودُرِّهِ الأسنى[79] ، سورةً سورة ، حتى يَصِحَّ لَكَ كمالُ الصُّورة ؛ أُناجيكَ بلسانِ التُّرجمانِ بأوضاحِهِ

---

(٣١) أو أدْنى : حضرة « أو أدنى » هي بعد حضرة « قاب قوسين » ، وهذا الترتيب مستوحى من المعراج النبوي المشار إليه في قوله تعالى ﴿ ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ . (٣٢) بيني : هجري ، فراقي . (٣٣) قال لي : أي قال « الحق الاعتقادي » للسالك . (٣٤) ذلك : أي ما يحصل لك أيها السالك وما تجده من الهوى . (٣٥) امحضك : اختبرك ، اقلّبك حتى تظهر حقيقتك .

وَغُرَره ، كمُناجاتي للإمامِ[80] أبي حامدٍ في جواهِره ودُرَره[٣٦] . وكنتُ قد بَـرَّزْتُه[٣٧] في زمـانِه ، سـابقَ ميدانـه ، سرَّ شمسِه وهـلالِه ، لم يُنْسَـجْ في أوانِـه عـلى مِنْوَالِه ؛ إلى أنْ وَصَلَ زمانُك[٣٨] المُبْهِج[81] ، وأوانُـكَ المُلْهِج ، فغَـزَلْنا[82] لـكَ أرقَّ من غَزْلِه ، وَرَفَعْنَاكَ عن نسيبِ[83] الوجودِ[٣٩] وَجِدِّ غَزلِهِ وَهَزْلِه ، فَنَسَجْتَهُ بناءً[84] على مِنوالٍ مُخْتَرَع ، وأَلبَسْتَهُ حُلَّـةً صافيةَ الأردان ، مُختلفةَ الألـوان ، درةَ بكـرٍ عَيْناً لم تُفْتَـرع[٤٠] [85] ، فوجـودُ الفـرقِ بَينَكُـما[٤١] [86] واضِـح ، وطـريقُ انـتظامِ[87] شَمْلِكُما لائـح[٤٢] ، وذلكَ أنّـا نَـظَمنا لَـكَ[٤٣] الدُّرَرَ والجـواهـرَ في السِّلكِ[88] الواحِد ، وأبرزْنا له[٤٤] [89] ذلكَ النَّظمَ في حَضْرَةِ الفَـرْقِ المُتَبَاعِـد ، ولهـذا ترَى[90] الـواقفَ عليه ، يَكـادُ لا يَعثُـر عـلى سِرِّ[91] النِسبـةِ التي أودعتُهـا لَدَيْه ، وفي مناجاتِكَ يلوحُ له سِرُّ نَسَبِه ، وعُلُوُّ منصبِ سَبَبِه ،

فـاستمعْ مـا يُلْقِي عليكَ الـرحمان ، بلِسـانِ التُّرجُمان[92] ، من[93] أسرارِ القُرآن ، وجواهِرِ الفُرقان ، ودُرَرِ السُّلوك ، وجواهِـر السلوك[٤٥] [94] ، وقلائـدِ النُّحُور[٤٦] ، وفرائـدِ صَـدَفِ البُحـور ، ورُمـوزِ الكَبـاريت[٤٧] ، وأجِـلاّءِ[95] اليواقيت .

فـألْقِ السَّمْعَ أيُّهـا السالِـكُ لادراكِ غوامضِ الأسـرار ، وجِـدَّ[96] إدراكَ البصيـرةِ إلى إدراكِ مشارقِ الأنـوار ، وافْنَ عن[97] الكُلِّيـةِ الأبـديّـة ، بـالكلّيـةِ الأزلية ، وقد لَخَّصنا[98] لَكَ عيونَها[٤٨] ، وكَمْ رَامَها غيـرُكَ فقُطِعَ بـه[99] دُونَها ،

---

(٣٦) الاشارة الى كتاب « جواهر القرآن » ، للامام الغزالي ، وهنا يلمّح ابن عربى الى أن الغزالي في كتابه « جواهر القرآن » كان مُلهَماً . (٣٧) برزته : أي برّز الحق تعالى الامام ابا حامد الغزالي . (٣٨) زمانك : زمان السالك أي زمان ابن عربي . (٣٩) نسيب الوجود : النسيب هو التشبيب والغزل ، والمقصود هنا : ادعاء النسب للوجود ، أي دعوى الوجود . (٤٠) بكر لم تفترع : عذراء لم تمس . (٤١) بينكما : أي بين الغزالي وبين السالك الذي هو ابن عربي . (٤٢) أي على الرغم من الفرق بين الغزالي وبين ابن عربي إلا أنهما ينتميان إلى عالم واحد تتم المعرفة فيه عن طريق الإلهام . (٤٣) لك : للسالك ، لابن عربي . (٤٤) له : للامام الغزالي . (٤٥) السلوك : ج سلك . (٤٦) النحور : ج نحر ، أعلى الصدر . (٤٧) الكباريت : ج كبريت . (٤٨) عيونها : أي عيون الاسرار .

وَزَوَيْنا لَكَ الشُّقَّة ، وَوَهَبْناها لك[100] مِنْ غيرِ مَشَقَّة ، فاغترفْ من بحارِ الحضرةِ الآلهيّة ، وانشِيء بها القوالبَ الطِّينية ؛ فالقشرُ مَعَ اللُّب ، كالجسمِ مَعَ القَلْب[101] ، فَشَتَّانَ بينَ مَحَلِّ الأسرارِ والغيوب ، ومَهَبِّ الصَّبا والجنوب ، وإذْ ولا بُدَّ من الاختيار ، في معاني هذه الأسرار ، فما قَصْدُكَ الاطالةَ أم الاختصار ؟ فإنَّ هذه حضرةُ[102] « أو أدنى » ، ليس فيها إلا دقيقُ سِرٍّ أو لطيفُ معنى ، مِنْ هنا أُرسِلَتْ الفرائد ، لُمناجاةِ الإمامِ أبي حامد ،

فقلتُ له : إنَّ الطالبَ إذا فَهِمَ وَقْعَ الإشارة ، أُوجِزَ له في العبارة ، فإنْ كَانَ مِنْ أهلِ التَّحصيل ، فَسَيُوَفَّقُ للتَّفْصيل ، فَسَلني عن المعاني الكثيرةِ باللفظِ الوَجيز ، وَخَلِّصْهُ لي كالذَّهَبِ الابريز .

قَالَ السَّالِكُ :

فقالَ لي(٤٩) : نعم نُخلِّص ، ونُعْرِبُ عن القَصْدِ وَنُلخِّص ، وها نحنُ نُشْخِصُ إليكَ تُرجُماناً يُلقي عليكَ أسرارَ الكِتاب ، ويُقدِّمُ لكَ القِشْرَ على اللُّباب ، « وما كانَ لبَشَرٍ أنْ يُكلِّمَهُ اللهُ إلا وحياً أو مِنْ وراءِ حِجاب »(٥٠)[103] ؛ وَقَدْ أمرْناهُ(٥١) أن يسألَكَ عنها ما بَيْنَ زراعةٍ وحَصَاد ، وسبيلٍ[104] وجِهاد ، وَتَجلٍّ وتَحَلّ[105] ، وبِدايةٍ وغاية[106] ، وارتقاءٍ وَلِقاء ، وغَرْسٍ[107] وَجَنى ، وحَرْفٍ ومَعْنى ، وتجارةٍ وربح ، وصلاحٍ ونَجْح ، وقَرْعٍ وفَتْح ، وسُلوكٍ وَوُصول وجُمَلٍ وَفُصول ، وأرضٍ وسموات ، وألفاظٍ وإشارات ، إلى أمثالِ هذه الاشاراتِ الحَقّيَّة[108] ؛ وأسألُكَ عن رُمُوزِها الرَّسميّة ، حتى يَنْتَظِمَ السِّلك ، ويرتَبِطَ المُلْك .

قَالَ السَّالِكُ :

فقلتُ له(٥٢) : مولايَ[109] أمَّا العبدُ فَبَصَرُهُ بكَ[110] حديد(٥٣) ، وقد

---

(٤٩) فقال لي : أي فقال « الحق الاعتقادي » للسالك . (٥٠) سورة الشورى ، آية ٥١ . (٥١) امرناه : أي أمرنا الترجمان . (٥٢) له : أي للحق الاعتقادي .

« أَلقَى السمعَ وهوَ شهيد »(٥٤) ، فإنْ أَيَّدْتَهُ بالحكمةِ وفَصْلِ الخِطاب ، فَسَيُوَفَّقُ للاصابةِ في رَدِّ الجواب ،

فقالَ لي : ما وَلَّيْنَاكَ ، حتى أَيَّدْنَاكَ ؛ ثم قالَ لتُرجُمانِه : أولُ ما تفاتِحُهُ به مِنْ سِرِّ الوَحْيِ وَلُبَابِه ، وتَفْتَحُ عليهِ من أبوابِه ، فاتحةُ الكتاب .

قَالَ السَّالِكُ[111] :

فَدَخَلْنَا (٥٥) مجلسَ المُحاضرة ، وفَرَشْنَا بِساطَ المُنَاظرة ، وجَرَّدَ التُّرجمانُ عن ساعِدِه ، وقالَ : هاتِ الجوابَ عن فرائدِ أسرارِ القرآنِ وَقَلَائِدِه .

آياتُ مناجاةِ الإمامِ أبي حامد ، ركنِ المعالِمِ والمَحامِد :

قلتُ(٥٦) : سألتَ واللهِ حَديد عيانِ[112] الجَنانِ ، ماضي سِنانِ اللسان .

قالَ التُّرجمان[113] : ما تقولُ في فاتحةِ الكتاب ؟ قلتُ : قَسَمها الباري نِصفين(٥٧) ، حتى لا يُصِحَّ في الوجودِ إلَـهينِ اثنين ،

قال : ما فيها من الإشاراتِ والرموزِ[114] والدُّرر ؟ قلتُ : الياقوتُ الأحمرُ والأصفر ، والعنبرُ الأشهبُ والعودُ الرَّطْبِ الأنضر[115] ، أيها التُّرجمان : أمُّ الكتاب ، ليسَ لها انتساب ، بل هي الإمامُ المُبين ، لجميعِ العالَمين ، فمِنْهُم مَنْ علم الامام فاتبعه ورفعه ، ومنهم مَنْ جهلَه فحطَّه ووضَعه ، هيَ الأصلُ الثابتُ فرعُها[116] « في السماء ، تُؤتي أُكُلَها كُلَّ حينٍ بإذنِ رَبِّها »(٥٨) مَعَ استغنائِها[117] عن الماء ، وهيَ المثاني(٥٩) ، بالنَّظرِ إلى المَباني ، والفاتحةُ بالنظرِ

---

(٥٣) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق / ٢٢] . (٥٤) سورة ق ، آية ٣٧ .

(٥٥) فدخلنا : أي فدخل السالك والترجمان . (٥٦) قلت : أي قال السالك للترجمان . (٥٧) اشارة الى الحديث « قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي » . راجع ، فهرس الأحاديث ، حديث رقم ٥ . (٥٨) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [ابراهيم / ٢٤ ـ ٢٥] . (٥٩) المثاني : تسمّى الفاتحة بالسبع ،

إلى الطريقةِ (118) الواضحة ، وأُمُّ القرآن ، لِمَنْ تَخَلَّقَ بالفُرْقَان .

قَالَ السَّالِكُ :

ما(119) زَالَ يسألُني(٦٠) عن جواهرِ القرآنِ ودُرَرِه ، سورةً سورة ، حتى أتَى على آخره .

قَالَ السَّالِكُ :

فلمّا أكملَ(120) التُّرجمانُ سؤالَهُ عن جوهرِ القـرآن ، ودُرَرِ الفُرقـان ، طَوَى بِسَاطَ المُنَاظَرةِ ، وسَدَّ بَابَ المُحَاضَرة(121) ، وَتَجَلَّى في(122) المَطْلوب ؛ وقالَ :

جئتَ عـلى المَرْغـوب ، أنتَ الإكْسِير(٦١) ، والمُهَمْهَم(123) النِّحرير(٦٢) ، ركبتَ جَـواداً لا يَكْبـو ، وَضَـرَبْتَ بحُسـامٍ مـاضي الضَّـربـةِ لا يَنْبُـو ، وهــذا اللوحُ(٦٣) بَيْنَ يَدَيْكَ(124) ، فاتْلُ ما أُوحِيَ(125) إلَيْك .

= المثاني . (٦٠) يسألني : أي يسأل الترجمان السالك .

(٦١) الاكسير : (يونانية) يستخدمها الصوفية للتعبير عن العارف الواصل الذي يقلب الأعيان ، فهو بقلبه للاعيان شبيه بالاكسير الذي يُلقى على الفضة أو على أي معـدن آخر فيغيـره الى ذهب خالص .

(٦٢) الممهم : السيد ، الشجاع ، السخي ؛ االنحرير : الحاذق ، الفطن . (٦٣) اللوح : إشارة إلى اللوح الأعلى .

III

مُناجاةُ «اللوحِ الأعلى»

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ (126)

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ جَذَبني اليهِ(127) بيدِ التمجيد(128) ، وأنزلَني في حضرةِ لوحِ التوحيد ، وهو القلمُ الإلٰهيّ ، والعِلْمُ الربّاني ؛ فرأيتُ مُسطَّراً(129) في ذلك اللوح ، مقاماتُ أهلِ الرَّيحانِ والرَّوْحِ(٦٤) :

فرفعتُ حجابَ النِّعمة ، فَلاحَ لي توحيدُ الرَّحمة(٦٥) ؛ ثُم رفعتُ حجابَ الأبديَّة ، فلاحَ(130) توحيدُ القَيُّوميَّة(٦٦) ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ الأنوار ، فلاحَ توحيدُ الأسرار(٦٧) (131) ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ النّبيئة(٦٨) (132) ، فلاحَ توحيدُ

---

(٦٤) يرى ابن عربي أن التوحيد يرد على ٣٦ صيغة في القرآن الكريم ، وصيغة التوحيد نقصد منها عبارة « لا إله إلا » ؛ ويفصّل ابن عربي هذه الصيغ في كتابه « الفتوحات المكية » ، الجزء الثاني ، ص ص ٤٠٥ ـ ٤٢٠ نشر دار صادر ، بيروت . وقد أشرنا إلى مراتب التوحيد هذه في كتابنا ، « المعجم الصوفي » مادة « توحيد » ، فليراجع . وسنعمل على مقارنة ما يرد هنا بالفتوحات لاستكمال الفائدة .

(٦٥) توحيد الرحمة يرد في الفتوحات باسم توحيد الواحد بالاسم الرحمن ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَإِلٰهُكُم إِلٰهٌ وَاحِدٌ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة / ١٦٣] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ . (٦٦) توحيد القيومية ويسميه ابن عربي في الفتوحات : توحيد الهوية ، وتوحيد التنزيل ؛ وهو في قوله تعالى : ﴿ اللهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ [البقرة / ٢٥٥] ، را ، « الفتوحات المكية » ، ج ٢ ص ٤٠٦ . (٦٧) الأرجح أن ابن عربي سمّى هنا التوحيد الثالث بتوحيد الأسرار لأنه : يبدأ بالحروف ، والحروف التي في مبادىء السور هي أسرار . ونجد هذا التوحيد في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ [آل عمران / ١ ـ ٢] ؛ انظر ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤٠٦ ،

المَشِيئة[٦٩] ؛ ثمّ رفعتُ حجابَ الإفادة ، فلاحَ توحيدُ الشهادة[٧٠] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الشَّفْع ، فَلاحَ توحيدُ الجَمْع[٧١] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الخَلْق ، فلاحَ توحيدُ الحَق[٧٢] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الأمر ، فلاحَ توحيدُ السِرّ[٧٣] ؛ ثم رفعتُ حجابَ التَّرْك فَلاحَ توحيدُ المُلْك[٧٤] ؛ ثُمّ رفعتُ حِجابَ السِّيادة ، فلاحَ توحيدُ العبادة[٧٥] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ التَولّي ، فلاحَ تـوحيدُ التَجلّي[٧٦] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الوِراثة ، فلاحَ تـوحيدُ الاستغاثة[٧٧] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الإسلام ، فلاحَ توحيدُ الإمام[٧٨] (133) ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ قَرْعِ البـاب ، فلاحَ تـوحيدُ

التوحيد الثالث ، حيث يسمّيه : توحيد حروف النَفَس .

(٦٨) النسيئة : التأخير والتأجيل . (٦٩) توحيد المشيئة : هو قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [آل عمران / ٦] . (٧٠) توحيد الشهادة ، ويسميه في الفتوحات : توحيد القسط ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران / ١٨] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤٠٧ . (٧١) توحيد الجمع ، ويسميه في الفتوحات : توحيد الهوية بالاسم الجامع للقضاء والفصل ، وهو قوله تعالى : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ﴾ [النساء / ٨٧] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤٠٨ . (٧٢) توحيد الحق ، ويسميه في الفتوحات : توحيد الرب بالاسم الخالق ، وهو قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام / ١٠٢] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤٠٨ . (٧٣) توحيد السر ، ويوازي في الفتوحات : توحيد الإتّباع ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام / ١٠٦] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ج ٢ ص ٤٠٨ . (٧٤) توحيد الملك وهو قوله تعالى : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [الأعراف / ١٥٨] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ . (٧٥) توحيد العبادة ، ويسميه في الفتوحات : توحيد الأمر بالعبادة ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة / ٣١] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤٠٩ . (٧٦) توحيد التجلّي ، ويوازِي في الفتوحات : توحيد الاستكفاء ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ [التوبة / ١٢٩] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٧٧) توحيد الاستغاثة ، ويوازي في الفتوحات : توحيد الصلة ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ [يونس / ٩٠] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤١٠ . (٧٨) توحيد الامام ، ويوازي في الفتوحات : توحيد الاستجابة ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [هود / ١٤] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ج ٢ ص ٤١٠ - ٤١١ .

المَتاب[٧٩] [134] ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ الأعمال ، فلاحَ توحيدُ الإنزال[٨٠] ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ المُسَمَّى ، فلاحَ توحيدُ الأسما[٨١] ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ الاختيار ، فلاحَ توحيدُ الإجبار[٨٢] [135] ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ الإطّلاع ، فلاحَ توحيدُ الاستماع[٨٣] [136] ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ الرَّيْب ، فلاحَ توحيدُ الغَيْب[٨٤] ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ العَدَم ، فلاحَ توحيدُ الكَرَم[٨٥] ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ التَّسليم ، فلاحَ توحيدُ التعظيم[٨٦] ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ النَّعلين ، فلاحَ توحيدُ الكَوْنين[٨٧] ؛ ثُمَّ رفعتُ حجابَ المُنَى[137] ، فلاحَ توحيدُ الفَنا[٨٨] ؛ ثُمَّ رفعتُ

---

(٧٩) توحيد المتاب ،
وهو قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد / ٣٠] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ج ٢ ص ٤١١ ـ ٤١٢ . (٨٠) توحيد الانزال ، ويسميه في الفتوحات : توحيد الانذار ، أو توحيد الانابة ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل / ٢] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤١٢ . (٨١) توحيد الأسماء ، ويسميه في الفتوحات : توحيد الابدال ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه / ٨] ؛ كما يراجع ، «الفتوحات»، ج ٢ ص ٤١٢ ـ ٤١٣ . (٨٢) توحيد الاجبار ويظهر بعد أن يرفع السالك حجاب اختياره الإرادي ، وهو قوله تعالى ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه / ١٣ ـ ١٤] ؛ كما يراجع ، « الفتوحات » ج ٢ ص ٤١٣ . (٨٣) توحيد الاستماع وهنا الاشارة الى الأنبياء والرسل الذين تلقوا عن الله تعالى بالاستماع الى ما أوحى اليهم ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء / ٢٥] ؛ راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤١٤ ، « توحيد الاقتداء والتعريف » .

(٨٤) توحيد الغيب وهو قوله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . [الأنبياء / ٨٧] ؛ راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ص ٤١٤ ـ ٤١٥ ، « توحيد الغم ، توحيد المخاطب ، توحيد التنفيس » .
(٨٥) توحيد الكرم ، وهو قوله تعالى ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون / ١١٦] راجع ، « الفتوحات » ج ٢ ص ٤١٥ ، « توحيد الحق » . (٨٦) توحيد التعظيم ، ويوازي في الفتوحات توحيد الخبء ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل / ٢٦] ؛ راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ص ٤١٥ ـ ٤١٦ . (٨٧) توحيد الكونين ، ويوازي في الفتوحات توحيد الاختيار ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص / ٧٠] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ص ٤١٦ ـ ٤١٧ . (٨٨) توحيد الفناء ، ويسميه في الفتوحات : توحيد الحكم ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص / ٨٨] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤١٧ .

حجابَ المُنّة ، فلاحَ توحيدُ المِنّة[٨٩] [138] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ العَرْض ، فلاحَ توحيدُ الخَفْض[٩٠] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ العفو[139] وأمرٍ بالعُرْف ، فَلاحَ[140] توحيدُ الصَرْف[٩١] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ السرير ، فلاحَ توحيدُ المَصير[٩٢] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ المُلْك ، فلاحَ توحيدُ الإفك[٩٣] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الخَلاص[141] ، فَلاحَ توحيدُ الإخلاص[٩٤] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ العبادة ، فلاحَ توحيدُ السيادة[٩٥] . ثُمّ رفعتُ حجابَ النّار ، فلاحَ توحيدُ الاستغفار[٩٦] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الشرك ، فلاحَ توحيدُ الملك[٩٧] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ السِّلم[142] ، فلاحَ توحيدُ العِلْم[٩٨] [143] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الإسراف ، فلاحَ توحيدُ الأوصاف[٩٩] ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الإحسان ، فلاحَ توحيدُ

---

(٨٩) توحيد المنة ، ويسميه في الفتوحات : توحيد العلة ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [فاطر / ٣] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤١٧ .
(٩٠) توحيد الخفض ، ويسميه في الفتوحات : توحيد التعجب ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات / ٣٥] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ص ٤١٧ - ٤١٨ . (٩١) توحيد الصرف ، ويسميه في الفتوحات : توحيد الاشارة ، وهو قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر / ٦] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤١٨ .
(٩٢) توحيد المصير ، ويسميه في الفتوحات : توحيد الصيرورة ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾ [غافر / ٣] ، راجع ، « الفتوحات » ج ٢ ص ٤١٨ . (٩٣) توحيد الإفك ، وهو قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [غافر / ٦٢] ؛ راجع ، « الفتوحات » ج ٢ ص ص ٤١٨ - ٤١٩ ، « توحيد الفصل » . (٩٤) توحيد الاخلاص ، وهو قوله تعالى : ﴿ هُوَ الحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر / ٦٥] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤١٩ ، « توحيد الحياة » ، « توحيد الكل » . (٩٥) توحيد السيادة ، وهو قوله تعالى : ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ [الدخان / ٨] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤١٩ ، « توحيد البركة » . (٩٦) توحيد الاستغفار ، ويسميه أيضاً : توحيد الذكرى ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد / ١٩] ؛ راجع ، « الفتوحات » ج ٢ ص ص ٤١٩ - ٤٢٠ . (٩٧) توحيد الملك ، الأرجح أنه يقابل في الفتوحات : توحيد السعة ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ [طه / ٩٨] . (٩٨) توحيد العلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الحشر / ٢٢] ، راجع ، « الفتوحات » ج ٢ ص ٤٢٠ . (٩٩) توحيد الأوصاف ، ويسميه في الفتوحات : توحيد النعوت ؛ وهو قوله تعالى :

الإيمان(١٠٠) ؛ ثُمّ رفعتُ حجابَ الكَفالة ، فلاحَ توحيدُ الوَكالة(١٠١) .

قالَ السّالكُ :

فلمّا ناجاني(١٠٢) في هذهِ المشاهـدِ الكِرام ، والمقاماتِ الجسام ، ورأيتُ فيهـا مالا عـينٌ رأت ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت ، ولا خَطَر عـلى قلبِ بَشَر ، ولا عَثَرَتْ عليه غَوامِضُ الفِكَر ؛ قالَ لي : أيُّـها السالك ، أينَ هذه المقاماتُ من أولئـك ؟ قلتُ له : بَيْنَها[144] نَسَبٌ ولا سَبب . قالَ : صَدَقْتَ ،

ثم قال[145] : أيُّـها الرسول(١٠٣) ، قَرِّبْ إليه(١٠٤) الفَرَس ، حتى أُناجِيه في الجَرَس .

= ﴿ هُوَ اللهُ الَّـذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّـلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّـارُ المُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر / ٢٣] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤٢٠ .

(١٠٠) توحيد الايمان ، ويسميه في الفتوحات : توحيد الرزايا والرجوع فيها الى الله ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّـلِ المُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن / ١٣] ، راجع ، « الفتوحات » ، ج ٢ ص ٤٢٠ . (١٠١) توحيد الوكالة ، وهو قوله : ﴿ رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّـخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمـل / ٩] ؛ راجـع ، « الفتـوحـات » ج ٢ ص ٤٢٠ . (١٠٢) نـاجـاني : أي نـاجى « الحق الاعتقادي » السالك . (١٠٣) ايها الرسول : « الحق الاعتقادي » يخاطب المرسَل لمرافقة السـالك .

(١٠٤) اليه : الى السالك .

IV

مُناجاة الرّياح وَصلصَلة الجرَس وَريش الجنَاح

بسم الله الرحمن الرحيم[146]

قَالَ السَّالِكُ :

فـامتطَيْتُ مَتْنَ الجـوادِ العتيق ، وقلتُ : الرَّفيقَ الـرَّفيق ؛ واخترَقْتُ بـين دقـائقَ ولطائف[147] ، ورَقَـائقَ ومَعَارِف ، إلى أنْ وَقَفَ بي الفَـرَس ، في حضـرةِ « الجَرَس » .

فسمعتُ صلصلةَ الألحان[148] ، بوقـوعِ الامتحـان ، فـاقْشَعَرَّ جِلْدي ، وزالَ كُلُّ[149] ما كانَ عِندي .

ثُمَّ هَبَّتْ علَيَّ عواصفُ رياحِه ، فَسَترني[150] بريشِ جَنَاحِه ، ثم نَفَسَ عَنّي فـرأيتُ العوالِم ، يَتَساقَطُون عـلى الأغيارِ(١٠٥) تَسَـاقُطَ النُّسـورِ[151] عـلى المَلاحم(١٠٦) ، وَتَمَثَّلْتُ عندَ ذلكَ بقولِ الواصلِ الحاكم[152] :

تَسَتَّرتُ عن دَهْري[153] بِظِـلِّ جناحِـه　　فَعَيْني تَـرَى دَهْـري وَلَيْسَ يَـرَاني[154]
فَلَوْ تَسأَلُ الأيامُ[155] : ما اسمي؟ ما دَرَتْ　　وأينَ مكاني[156]؟ ما دَرَيْن مَكَـاني[157]

قَالَ السَّالِكُ :

فلمّا ذَهَبَتْ تلكَ الرياحُ العواصِف ، وَسَكَنَتْ صلصلةُ الرُّعودِ القواصِف ،

---

(١٠٥) الاغيار : ج غير ، وهو كل ما سوى الله تعالى . (١٠٦) الملاحم : ج ملحمة ، وهي الموقعة العظيمة حيث يكثر القتل والجرحى .

To: www.al-mostafa.com

وقد تَفَصَّدَ [158] الجبينُ عَرَقا ، وذُبْتُ خَوْفاً وَفَرقاً ؛ بَسَطَ لي[١٠٧] الجناح ، وقالَ[159] لي : قد مَرَّتِ الرِّياح .

هذه الريحُ لا تَمُرُّ على شيءٍ إلاّ جَعَلَتْهُ هباءً منثورا ، ودَمَّرَتْهُ[160] تَدْميرا ؛ لأنَّهَا ريحُ الغَيْرة ، فليسَ تُبْقِي مع مالِكِها غَيْرَه ، وإنَّها لَتَرْمِي بِشَرَر ، ﴿ لا[161] تُبْقي ولا تَذَر ، لَوَّاحةٌ للبشر ﴾[١٠٨] ، صَرَّحْنا بها في الكتاب الكريم[162] ، ﴿ وفي عادٍ إذ أرسَلْنا عليهمُ الريحَ العقيم ، ما تَذَرُ من شيءٍ أتَتْ عليهِ إلا جعلتْهُ كالرَّميم ﴾[١٠٩] ؛

فجعلت هذا الجناحَ لأصحاب هذا المقامِ وقايةً وجُنّة [١١٠] ، فَرُبَّما اعترَتْها[١١١] لذلكَ حِمايةُ وجُنّة[١١٢] ، فَتَرْميه حينَ تَمُرُّ عليه[١١٣] بكلِ مصيبٍ مَريش[١١٤] ، فيتعلَّقُ[163] بأهدابِ تلكَ الريش ، فَرُبَّما فَلَتَ[164] منها سهمٌ وَسَقَطَ[165] ، فأصابَ قلبَ بعضِ أهلِ العِنايةِ فاغْتَبَط ؛ فترتاحُ قلوبُهم مُسْرِعةً إلى راميها ، إسراعَ السِّهامِ إلى مَراميها ، فعندَ ذلك يُنشِدون[166] ، الواجدونَ والمتواجدون :

رماني [167] بسهمٍ [168] أصابَ فؤادَ الوالِهِ الدَّنِفِ

إلى مِثْلِ هذا مِنَ الأبيات . . .

فعندما تَتَعَلَّقُ[169] تلكَ السهامُ بريشِ الجَناح ، يَسْلَمُ [١١٥] مَنْ تَحْتَ كَنَفِه ، بعدما أيْقَنَ بذهابِهِ وَتَلَفِه ؛ ورُبَّما بَطَلَ[170] دعواهُ في وَجْدِهِ بحضرةِ « أوحى » [171] وَكَلَفِه .

فإن بَطَلَتْ دعواه ، لم نَزِدْهُ على ما أريناه ، وأنزلناهُ أسرعَ[172] ما يُمكِنُ

---

(١٠٧) بسط لي : بسط « الحق الاعتقادي » للسالك .

(١٠٨) سورة المدثر ، آية ٢٨ ـ ٢٩ . (١٠٩) سورة الذاريات ، آية ٤١ ـ ٤٢ . (١١٠) وجنة : وستر . (١١١) اعترتها : أي اعترت ريح الغيرة . (١١٢) وجنة : وخفاء . (١١٣) عليه : أي على مالكها . (١١٤) مريش : المريش من السهام هو ما انضاف اليه الريش لحمله في الهواء كما يحمل الطائر . (١١٥) يسلم : أي يسلم بعض أهل العناية من اصابة السهم .

« وأوحى » ، وَجِلْنا[173] بينَهُ وبينَ حضرةِ « أوحى » ، وربَّما يتخيَّلُ في خَلَدِهِ ، أن مفاتيحَها[١١٦] بيَدِهِ ؛ كَلّا إنَّ بينَها وبينَه[174] مهامِهَ وسَباسِب ، تنقطعُ[175] فيها أعناقُ[176] الركائب[177] ، ثم لا يَصِلُونَ إليها[١١٧] من بَعْد ، ويتيهون[178] في أرضِها بينَ وعيدٍ وَوَعْد ، وهي منهم مَناطَ الثُّرَيّا .

وإن اشتكى أحدُهم[179] وَجْدَهُ تقول[180] : تَعْساً لكَ لقد جئتَ شيئاً فَرِيّا . فيا لَهُ من جوابٍ ما أَقْطَعَه ، وكلامٍ ما أَفْجَعَه ، يُنْظَرون[181] ولا يَنْظُرون ، وَيَسترحِمون ولا[182] يُرْحَمون ، ويستصرخون فَيُجابون ﴿ إخسؤوا فيها[183] ولا تُكَلِّمون[184] ﴾[١١٨] ، ﴿ وَما ظَلَمْناهُم ولَكِنْ كانوا أنفُسَهم يَظْلِمون[185] ﴾[١١٩] .

ثم قال[١٢٠] [186] : فإذا ذهبتِ الرياح ، نَفَّسَتْ عنهم[187] الجَناح ، ورَوَّحَتْ على قلوبِهم وسَقَتْهُم الراح[188] ، فعندما تروحُ على أسرارِهم لُطْفاً ، يَهُبُّ من نسيمِ ذَلكَ النَّفَس على بعضِ قلوبٍ أحرقَها الشوقُ والاصطلامُ[١٢١] حناناً وعطفاً ، فَيُسَكِّنُ عنهم جنان[189] ذلك النَّفَس ، بعضَ ما يجدونَه من لهيبِ ذلك[190] القَبَس ؛ فعندما ينطفىءُ ذلكَ النِّبْراس[١٢٢] ، يسمونَهُ أهلُ الحقائق صاحبَ الأنفاس ، وقد أشرتُ إليه[191] في المقصورةِ المتقدِّمة :

وَصَاحِبُ أنفاسٍ تراهُ مُسَلَّطاً على نارِ أشواقٍ بها قلبُه اكْتَوى[192]

قَالَ السَّالِكُ :

ثم قالَ لي : قد رأيتَ هنا[193] ما رَأيت ، ونِلْتَ الذي تَمَنَّيْت ، فقلتُ له : نَعَمْ رأيتُ بعضَ ما نَوَيْت ، وَنِلْتُ قليلاً مما اشتَهَيْت ، وعِزَّتِكَ لا وقفتُ

---

(١١٦) مفاتيحها : أي مفاتيح حضرة « أوحى » . (١١٧) اليها : أي الى حضرة « أوحى » . (١١٨) سورة المؤمنون ، آية ١٠٨ . (١١٩) سورة النحل ، آية ١١٨ . (١٢٠) قال : أي « الحق الاعتقادي » ؛ راجع ، حاشية رقم ٤ . (١٢١) الاصطلام : نعت وَلَهٍ يَرِدُ على قلب العبد فيسكن تحت سلطانه . (١٢٢) النبراس : المصباح .

مَعَ حَضْرَة ، ولا نظرتُ إليها نَظْرة ، فَإِنَّ كُلَّ جزءٍ من الكونِ حِجاب ، والصفاتُ أسباب .

فقالَ : لكَ ما أردت ، وسأُريكَ[194] ما اعتقدت ، قلتُ له : الآن زالَ غَمِّي ، وانجلى ليلُ [195] هَمِّي .

قالَ : إني أُوصِلُكَ[196] إلى مُسْتَقَرِّ قلبك ، وَمَقَرِّ لُبِّكَ[197] ، فقلتُ: ليسَ لهُ مَقَرّ ، قال « كَلّا لا وَزَر ، إلى رَبِّكَ [يومئذٍ][198] المُسْتَقَرّ »(١٢٣) .

قلتُ : اللهَ أُريد ، فإنَّ في الرُبُوبِيَّةِ يُوَحِّدُ[199] العبيد ، قالَ لي(١٢٤) : لقد [سبق] لكَ [200] طريقةٌ لا تُسْلَك ، وهِمَّةٌ لا تُلْحَقُ ولا[201] تُدْرَك ، لم تَدَعْ(١٢٥) حجاباً إلا خَرَقْتَه[202] ، ولا سِتْراً إلا مَزَّقْتَه ، ولا غَيْناً(١٢٦) إلا أذهبْتَهُ وَمَحَقْتَه ، فتُنادي[203] : إلى أينَ إلى أين، فَتُفْني[204] من مُناديها الأثرَ والعَيْنْ ، فهيَ لا تَسْتَقِرُّ بمَنْزِل ، ولا تُوجَدُ عن رَحْلِهِ بِمَعْزِل[205] .

إنّي أُناجي[206] كُلَّ سالِكٍ وواصِلٍ في مَقام ، فَيَظُنَّ(١٢٧) [أنه] قد بَلَغَ النهايةَ والخِتام ، فيقولُ عندما يَسمعُ الخِطاب ، هذا مقامُ « أوحى الى عَبْدِه »(١٢٨) ، قد وَصَلْتُه فَيَرجعُ(١٢٩) بالتبليغِ من عِندِه . وَلَمْ يَعلمْ أنَّ خطابَه إنما[207] كان من حَدِّه (١٣٠) ؛ فيطلبُ الرجوعَ الى عالَمِ الشهادةِ والمِثال ، رغبةً في الميراثِ والكَمال ، فَرُبَّما يَعجِزُ في التَمثيل ، ويلوحُ لهُ النقصُ فيطلبُ الرجوعَ للوصولِ والتَحصيل ، فَأَقْطَعُ دونَهُ السَّبيل .

وأنتَ(١٣١) قَدْ ناجيتُكَ في كُلِّ حضرة[208] ، ونظرتُ اليكَ فيها[209]

---

(١٢٣) سورة القيامة ، آية ١١ . (١٢٤) قال لي : أي قال « الحق الاعتقادي » للسالك .
(١٢٥) أي لم تدع هتك . (١٢٦) غينا : حجاباً ، ستراً ، غيراً .
(١٢٧) فيظن : أي السالك . (١٢٨) هذا المقام نجد مصدره في الآية الشريفة ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم / ٩ ـ ١٠] . (١٢٩) أي السالك . (١٣٠) حده : الحد هو الماهية ، وفي ذلك اشارة الى أن الخطاب صادر عن حقيقة السالك وباطنه ، وليس من عند الله . (١٣١) « الحق الاعتقادي » يخاطب السالك

نَظْرة ، بينَ هشيمه[210] وَنَضْره ، وفي هذا كُلّه لا[211] تشبعُ ولا تَقْنَع ، إلا تُحيطُ وَتَجْمع[212] ، وتقولُ[213] هذا ثِمادٌ(١٣٢) من بُحور ، وقليلٌ[214] مِنْ كثير .

فقلتُ : مِنْ اينَ كانَ للعبدِ[215] أنْ يعرفَ مولاه[216] ، لولا ما قلتُ ما نَفِدتْ كلماتُ الله ، والعبدُ[217] لَيْستْ له إرادة ، يَطلبُ بها الرجوعَ إلى الشهادة[218] ، إنّما هي الإفادةُ والزِّيادة ، فإن[219] وَقَعَ مِنْكَ(١٣٣) لا مِنّي ، نَطَقْتَ(١٣٤) عنكَ لا عَنّي ، وكانت لِيَ الحُجّة ، واتّضحَ لي[220] سُنَنُ المَحجّة ، فوَعِزَّتِكَ لَوْ أبقيتَني أبدَ[221] الآباد ، ما طلبْتُ إلا الازدياد ، فإني علمتُ أنّ النهايةَ مُحال ، فكيفَ أرجعُ عن هذهِ[222] الحال .

فإنْ أردتَ مِنّي الرجوعَ الى المُلْكِ(١٣٥) فاشْتَرِط ، وحينئذٍ تَقَرُّ عيني واغْتَبِط ، قالَ : وماذا تَشْتَرِط[223] ؟ قلتُ : يكونُ نُوري عليهم(١٣٦) مُنْبَسط ، أُرَقِّيهم بالهِمّة . وأنا خارجٌ عن كَوْرِ العِمّة(١٣٧) [224] ، أُناجي بَواطِنَهم بقلبِك ، وأنا مُخبوءٌ في خزانةِ غَيْبك ؛ يجِدُون(١٣٨) الأثَرَ ولا يَرَوْنَ[225] عينا ، وَيَطْلُبون أيناً[226] فلا[227] يجِدُون أينا ، فَتَكْبُرُ هِمَمُهُم[228] ، وَتَقْوَى أُمَمُهم[229] ؛ حتى أكونَ في ذلكَ الارشادِ والهداية ، صاحبَ نهايةٍ وبداية ؛ فأَخْتَرِقُ وأنّى يُخْتَرق[230] ، وَنُطْلَبُ فلا نُلْحَق ، كما تُطْلَبُ فلا تُلْحَق[231] ،

فإنْ صَحّ لي هذا الإشتِراط ، وَتَقَوّى[232] هذا الإرتباط ، فأنا أنْشُرُ البِساط ، وأسيرُ بين الانقباضِ والإنبساط ،

قال(١٣٩) : ارْقَ إلى[233] حضرةِ « أوحى » ، أناجيكَ فيها بما يَكُون ،

---

(١٣٢) ثماد : الثَمْد والثَمَد ج ثماد ، وهو الماء القليل.
(١٣٣) السالك هنا يخاطب « الحق الاعتقادي » ، ومعنى قوله « أن وقع منك » ، أي إن كانت إرادتك هي أن ارجع إلى عالم الشهادة . (١٣٤) نطقت : أي نطقت في عالم الشهادة . (١٣٥) الى الملك : الى عالم الملك والشهادة . (١٣٦) عليهم : أي على عالم الملك ، وهم المخلوقات . (١٣٧) كَوْرِ العمة : لفة العمة وهنا اشارة الى عالم الخلق . (١٣٨) يجدون : أي يجد عالم الخلق والمخلوقات .
(١٣٩) قال : أي الحق الاعتقادي .

وأَهَبُ لَكَ بها[234] سِرَّ القَلَمِ والنُّون[١٤٠] ، حتى تقولَ[235] لِلشَّيْءِ ﴿ كُنْ فَيَكُون ﴾[١٤١] .

(١٤٠) اشارة الى قوله تعالى ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم / ١] .

(١٤١) سورة البقرة ، آية ١١٧ ؛ آل عمران ، آية ٤٧ ـ ٥٩ ؛ الأنعام ، آية ٧٣ ؛ النحل ، آية ٤٠ ؛ مريم ، آية ٣٥ ؛ يس ، آية ٨٢؛ غافر ، آية ٦٨ .

V

حَضرَة «أوحى»

بسم الله الرحمن الرحيم (236)

قَالَ السَّالِكُ :

فاختُطِفْتُ مِنّي ، وأُفنِيتُ عَنّي ، واتَّفقَتْ أمورٌ وأسرار ، غَطّى عليهِنَّ إقرارٌ وإنكار ، جَلَّتْ عَنِ العِبارة ، ودَقَّتْ عنِ(237) الاشارة ، فهي(١٤٢) لا تُنعَتُ ولا تُوصَف ، ولا تُحَدُّ ولا تُنصَف(١٤٣) ،

وغايةُ العبارةِ عنها أنْ يُقال : زالَ(238) قلتُ وَقَالَ ، وانعَدَم المَقامُ(239) والحَال ، ولم يَبْقَ مِثْلٌ ولا ضِدّ ، ولا مَطْلَعٌ ولا حَدّ ؛ وذَهَبَتِ الجنةُ والنّار ، وفَنِيَتِ الظُّلَمُ والأنوار ، وفَنِيَ كُلّ قابٍ ورَفْرَف ، ولم يَبْقَ جَناحٌ ولا ملاءٌ(240) أشرف ؛ واتّحَدَ السؤالُ والجواب ، وزَالَ المكتوبُ والكِتاب ، وكانَ المجيبُ هو المُجاب ؛ ومَضَتِ البِحارُ(241) واحجَارُها ، والحدائقُ(242) وأزهارُها ، ومَارَتِ السماءُ وطُمِسَتْ أنوارُها ، فلم أرجِعْ إلى البقاءِ بالحق ، بعدَ ذهابِ العَينْ والمَحْق ، حتى وجدتُ في غياباتِ لُبابِ سِرِّ أسرارِ روحِ معنى قَلْبِ النَّفس ، ما كنتُ أمَّلْتُه(243) بالأمس .

ثم تَوّجَني(١٤٤) بتاجِ البَهَا،واكليلِ السَّنَا ، وأفرغَ عَلَيّ حُلَّةَ الكبرياء ،

---

(١٤٢) فهي : هذه الأمور والأسرار . (١٤٣) ولا تنصف : أي تُظلم ان عُرِّفت . (١٤٤) توجني : توج « الحق الإعتقادي » السالك .

وأْذِنَ لي أن آذَنَ على سَواء(١٤٥) (244) ، وذلك على الشرطِ الذي(245) اشتَرَطْتُه في مناجاةِ حضرةِ الرياح ، والعَقْدِ(256) الذي رَبَطْتُه بحضرةِ الجَرَسِ والجَناح ؛

فأنا اليومَ أنادي وأُنادَى ، وأُهادِي وأُهادَى ، وأسري ويُسرى إليّ ، وأتوكَّلُ ويُتَوَكَّلُ عَليَّ ؛ وَوَهَبَ لي كُلَّ حضرةٍ تحتَ عِلْمي ، يَخْتَرِقُها(247) السالكونَ إليَّ باسْمي(248) ، وَلاَ يُدرِكونَ مِنّي غيرَ ما أدْرَكتُه ، ولا يَمْلِكُ أحَدُ منهم(249) مِنْ وُجُودي سوى ما مَلَّكْتُه ؛ هذا إن كانت(250) لَهُم عندي عِنَايةٌ ، وَسَبَقَ لهم في سابِقِ عِلْمي هداية ، وإلا ففي(١٤٦) بَحْرِ المعارفِ يَسْبَحُون ، وفي قَفْرِ(251) اللطائفِ يَخْبِطُون ، مَهَّدَ اللهُ لهم السبيل ، وعَرَّفَهُم أسرارَ التَّنزيل .

---

(١٤٥) على سواء : على الغير ، على المخلوقات . (١٤٦) والا ففي : أي والا فإن السالكين هم في .

بابُ الاخبار ببَعْض مَا حَدلي السّتار، أن أُصرّح لمَن سأل مِن الأبرار، مِمّا تحصّل[253] لي في حضرة «أوْحى» مِن الأسرار

1

مُناجاةُ الإذْن

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ السَّالِكُ :

لَمَّا أُذِنَ لي[١٤٧] أن آذنَ[254] على سَوا[١٤٨] ، وألّا اقفَ في مَوْقفِ السِوى ، وألّا أتعدّى في الخطابِ حضرةَ الكُرسيّ ، فإنّهُ مَقَرُّ التبليغِ العَليّ ، والميراثِ النبويّ ، بَرَزْتُ لكم[١٤٩] مُخْبراً ، وناهياً وآمرا ،

فإيّاكُم أنْ تَظُنّوا اتصالي بحضرةِ « أوحى » ، اتصالَ إنّيةٍ ﴿ إن هوَ[255] إلا وحي يوحى ﴾[١٥٠] ، وبُرهاني على ذلك[١٥١] ، تَعْريفي لكم[256] فيما تَقَدَّمَ حتّى الآنَ أنّي سالِك ، وأنّي مَا قَبلتُ مِنْه[١٥٢] تبليغَ القِسْط ، إلّا على الشَرْطِ المُتقَدِّم والرَّبْط ،

فلا تَنْسِبوني إلى الإتحادِ[257] الفَرْد[١٥٣] ، فإنّهُ السَيِّدُ وأنا العَبْد ، وإنّما هيَ رموزٌ وأسرار ، لا تَلْحَقُها [258] الخواطرُ والأفكار ؛ إنْ هيَ إلا مواهبُ من الجَبّار[259] ، جَلّتْ أن تُنالَ إلا ذَوْقا ، ولا تَصِلُ إلا لِمَنْ هامَ فيها[260] مِثْلي عِشْقاً وَشَوْقا[261]

---

(١٤٧) اذن لي : اي أذِن « الحق الاعتقادي » للسالك. (١٤٨) على سَوا : أي على غيري . (١٤٩) لكم : أي لعالم الخلق . (١٥٠) سورة النجم ، آية ٤ . (١٥١) على ذلك : أي على ان الاتصال بحضرة « أوحى » ليس اتصال أنية وحس . (١٥٢) منه : أي من « الحق الاعتقادي » . (١٥٣) أي لا تنسبوا إليّ القول بالاتحاد بين الانسان وربه .

قَالَ السَّالِكُ :

لَمَّا انتهى بين[١٥٤] إلى هذهِ الحَضْرةِ القُدْسِيَّة ، جرَّدني عن الغلائِلِ السُّنْدُسِيَّة ، وأوقفني عُرياناً[262] بِبَابِها ، لأرْغَبَه [263] مُتضرِّعاً أنْ يُطْلِعَني على ما بها ، حتى يَصِحَّ افتِقاري ، وينْكَسِرَ[264] فَقَاري[١٥٥] ،

فلمَّا علمتُ ما أراد ، أوْقَرَ في نفسي[265] صُورَةَ الانشاد ، وهَزَّ البسيط فاهتزَّ التخليط[266] ، وقلتُ قارعاً بابَه ، قَوْلَ مَنْ فارقَ أوطانَهُ وأحبابَه :

يا مَنْ إليهِ تَضَرُّعِي ... كَمْ ذا تُريدُ تَمَنُّعِي
كَمْ ذَا طلبتُ وِصَالَكُم ... بِتَبَتُّلٍ وَتَخَشُّعِ
كَمْ ذا سمعتَ تَنَفُّسي ... آه يا فؤادُ تَصَدَّعِ
قَلْبٌ يَذُوبُ وَزَفْرَةٌ ... تَعْلُو لفَرْطِ [267] تَوَلُّعِ
يا عينُ بالنَّظرِ الذي ... قَدْ نِلْتِ منهُ تَشَفَّعِي
وَاْهْمِي الدموعَ [١٥٦] ببابِهِ ... وَتَمَلَّقِي وَتَصَنَّعِي
يا نفسُ مُوتي صَبابَةً[268] ... وعَلَى الحبيبِ تَقَطَّعِي
شَوْقاً إلَيْهِ لَعَلَّهُ ... يَرْثِي لِرَسْمٍ بَلْقَعِ[١٥٧]
لَمَّا وَقَفْتُ بِبَابِهِ ... بِتَنَهُّدٍ وَتَضَرُّعِ
وَتَحَنُّنٍ وَتَعَطُّفٍ ... لِتَغَصُّص [269] وَتَجَرُّعِ
نَادَى الحبيبُ مِنِ الذي ... بالبابِ ؟ قُلْتُ : فتىً دَعِي
قَالَ : ادَّعي ؟ هلْ شاهِدٌ ... يَدْرِيهِ ؟ قُلْتُ : أدْمُعي[270]
إنْ كُنتُ اكذِبُ سَيِّدي ... حَسْبِي شهادةُ أدْمُعي
وَتَسَهُّدي وتَبَلُّدِي ... وَتَوَجُّعي وَتَفَجُّعي[271]
وَتَلَهُّفي وَتَحَيُّري ... وَتَسَرُّعي بِتَشَرُّعي

---

(١٥٤) انتهى بي : أي انتهى « الحق الاعتقادي » بالسالك . (١٥٥) فقاري : فقار الظهر ، ج فقرة
(١٥٦) واهمي الدموع : واذرفي الدمع . (١٥٧) بلقع : قفر .

مـا زلـتُ أسْـهَـرُ بـاكـيـاً حتى بَكَـاني مَـضْجَـعي[272]
شَـهِـدَتْ بـذلـكَ زَفْـرَتي وَسَنَـا النُّجـومِ الـطُّلَّعِ
قُـلْ لي ـ صَدَقْتَ ـ فَـمَا الذي تَـبْغِيـهِ؟ قُلْتُ: تَـسَمُّعي
قَصْدِي الغروبُ وَظَاهِري[273] يَـطْوي الـطريـقَ لِمَـطْلَعِ
يَقِصُ(١٥٨) [274] المهامِهَ قاصداً نَـحْـوَ الأعَـزِّ الأمْنَـعِ[275]
يـا ظـاهـراً في[276] ظـاهـرٍ كَـمْ ذا تَـقُـولُ تَمَـتَّـعِ
لاَ تَحْـجُـبَـنَّ نَـوَاظِـري بِـسَنَـا المَـحَـلِّ الأرْفَـعِ
وهَـبِ الـذي أمَّـلْتُـه يـا ذا الجَـلالِ الأرْوَعِ[277]
أيـنَ الحِـجـابُ ولَمْ يَـزَل مـا دُمْتُ إنسانـاً[278] مَعِي
لَمَّـا حُـبِيتُ[279] بـأربَـعٍ بَـرِحَ الخَـفـاءُ وأرْبَـعِ
عِـلْـمي بِـعِـلْـمِـكَ قـائـمٌ وكـذاك عيني[280] ومَسْمَعي
وكَـذَا الحـيـاةُ وَقُـدْرَتي والـذاتُ ذاتُـكَ أدَّعـي
والـقـولُ قَـوْلُـكَ والارادةُ مِـثْـلُـهُ فَـتَـطَلَّعِ
يـا عـيـنُ[281] لا تَبْكِي علـيـ(م) ـهِ الـيـومَ شَـوْقـاً واقْلِعي
لَـوْ كـانَ يَتْـرُكُ[282] غيـرَه لـبكـيتِه ، فـاستمتِـعي

قَالَ السَّالِكُ :

فلما سَمِعَ (١٥٩) شعري ، المترجِمَ عَمَّا وَقَرَ في صدري ، ووقوفي[283] على حقيقةِ أمري ، فُتِحَ لِيَ[284] الباب ، ورُفِعَ الحِجاب ، وقيل[285] : استمِعْ ما أُورِدُهُ عليك ، ويا أيُّها الرسولُ بَلِّغْ ما أُنزلَ إليـك .

---

(١٥٨) يقص : يتبع . (١٥٩) سمع : أي الحق الاعتقادي .

2

مُناجاةُ التَّشريفِ والتَّنزيهِ والتعريفِ والتَّنبيهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

على التقويمِ الأكملِ الأحْسَن ، والخُلُق[286] الأجلِ الأتْقَن ، المحفوظِ المَصُون ، في ﴿ آلم تنزيل[287] ﴾(١٦٠) ﴿ والتينِ والزيتون ﴾(١٦١) ، الذي نَبَّهْتُ عليه بالقَبَس ، في حضرةِ القُدُس ، حيثُ قلت :

هَبَّ النسيمُ مَعَ الإمساءِ والغَلَسِ(١٦٢)
بِعَرْفِ(١٦٣) روضِ النُّهى[288] مِنْ[289] حَضْرَةِ القُدُسِ
وَشِمْ بريقاً بأُفْقِ التِّينِ[290] لاَحَ لنا
يَدُلّ أنَّ عيونَ السماءِ في البَلَسِ(١٦٤) [291]
أَلَمْ تَرَوْا لِكَليمِ اللهِ كيفَ بَدَا
لَهُ الخطابُ من الأشجارِ في القَبَسِ

قَالَ السَّالِكُ :

فكانَ بعضُ[292] ما قيلَ لي في ذلكَ التشريفِ والتَّنزيهِ ، والتعريفِ والتنبيه ، أنْ قال(١٦٥) :

عَبْدي(١٦٦) أنتَ حَمْدي ، وحاملُ أمانتي(١٦٧) وعَهْدي(١٦٨) .

---

(١٦٠) سورة السجدة ، آية ١ . (١٦١) سورة التين ، آية ١ . (١٦٢) الغلس : ظلمة آخر الليل (١٦٣) بعرف : برائحة . (١٦٤) البلس : ثمر التين إذا أدرك ، الواحدة بَلَسَة . (١٦٥) قال : أي « الحق الإعتقادي » . (١٦٦) عبدي : الخطاب هو من « الحق الاعتقادي » للوارث المحمدي . وفي الواقع ان المقصود من الخطاب الإلهي هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم بالأصالة ، ولكن ينعكس ظلال الخطاب على ورثته المحمديين بالتبعية . (١٦٧) حامل أمانتي : اشارة الى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [الأحزاب / ٧٢] . (١٦٨) حامل عهدي : اشارة الى الآيات القرآنية التي تتضمن عهوداً

أنتَ طُولي وَعَرْضي(١٦٩) ، وخليفتي في أرضي(١٧٠) ، والقائمُ بقِسْطَاسِ حَقّي ، والمبعوثُ إلى جميعِ خَلْقي . عَـالَمُكَ الأدنى بـالعُـدْوَةِ الدّنيا . والعـدوة القصوى(١٧١) .

أنتَ مِرْآتي ، وَمَجْلَى صِفاتي ، ومُفَصَّـلُ أسمائي ، وفاطرُ سَمَائي .

أنتَ موضعُ نظري من خلقي ، ومجتمعُ جَمْعي وفَرْقي .

أنت ردائي ، وأنت أرضي وسمائي ، وأنت عرشي وكبريائي .

أنت الـدُّرَّةُ البيضـاء(١٧٢) ، والـزَّبَـرْجَـدَةُ[293] الخضـراء(١٧٣) ، بـك تَرَدَّيْت(١٧٤) ، وعليكَ استوَيْت ، وإليكَ أتيت ، وبكَ إلى خلقي تَجَلَّيْت .

فسبحانَك ما أعظمَ سلطانَك[294] ، سُلْطانُك سلطاني فكيفَ لا يكونُ[295] عظيماً . وَيَدُكَ يدي(١٧٥) فكيفَ لا يكونُ عطاؤكَ جسيما .

لا مِثْلَ لكَ يُوازنك ، ولا عـديلَ يُجاريك . أنتَ سِرُّ المـاء ، وسِرُّ نجومِ

= إلهية عهدها الله للانسان ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [يس / ٦٠] .

(١٦٩) أنت طولي وعرضي : أي أنت أيها الإنسان طولي أي فعلي الظاهر في عالم الأرواح ، وعرضي الظاهر في عـالم الأجسام ، والـطول والعرض من اصـطلاح الحلاج را . الفتـوحات المكيـة نشر عثمان يحيى . السفر الثالث فقرة ٤٧ ـ ١ . (١٧٠) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة / ٣٠] . (١٧١) العدوة : المكان المتباعد ، وهاتان العبارتان قرآنيتان ، قال تعالى : ﴿ إِذْ أَنْتُم بِـالْعُدْوَةِ الـدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ﴾ [الأنفال / ٤٢] . (١٧٢) الدرة البيضاء : اسم للنـور المحمدي ، وهو إشارة للحال التي يكون فيها العالم بأسره مجتمعاً في درة بيضـاء ؛ ويروي ابن عـربي الحديث : « ان أول ما خلق الله عزّ وجلّ درة بيضاء »؛ وتلك الدرة هي العقل الأول ، أنظر ، « المعجم الصـوفي » ، للمحققة ، مادة « الدرة البيضاء » . (١٧٣) الزبرجدة الخضراء : هي النفس الكلية المنبعثة عن الـدرة البيضاء أي العقـل الأول . راجـع ، « المعجم الصـوفي » ، للمحققـة ، مـادة « الـزمـردة الخضراء » . (١٧٤) ترديت : من الرداء .

(١٧٥) هنا نجد اشارة إلى « قرب النوافل » ، الوارد في الحديث الشريف : « وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يُبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » . حديث صحيح . راجع ، « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « مقام قرب النوافل » ؛

السماء ، وحياةُ روحِ الحياة ، وباعثُ الأموات .

أنتَ جَنَّةُ العارفين ، وغايةُ السالكين ، ورَيْحانُ المُقرَّبين ، وسلامُ اصحابِ اليمين ، ومُرادُ الطالبين ، وأنسُ المعتزلين ، المُنفردين المُنقطِعين ، وراحةُ المشتاقين ، وأمنُ الخائفين ، وخَشْيَةُ[296] العَالمين[297] ، وميراثُ الوارثين ، وقُرَّةُ عينِ المحبين ، وتُحفةُ الواصلين ، وعِصْمَةُ اللائذين ، ونُزْهَةُ الناظرين ، ورَيَّا المُستنشقين ، وحمدُ الحامدين .

أنتَ دُرَرُ الأصداف ، وبحرُ الأوصاف ، وصاحبُ الاتصاف ، ومَحَلُّ الإنصاف ، ومَوْقِفُ الوُصَّاف ، ومُشَرِّفُ[298] الاشراف ، وسِرُّ الأنعام والأعراف .

طُوبى لسرٍ وَصَلَ إليك ، وخَرَّ ساجداً بين يَدَيْك ، له عندي ، ما خبأتُه وراءَ حَدِّي (١٧٦) ، وقد ناجيتُكَ به في مَشْهَدِ[299] المَطْلَع ، عِندَ ارتقائِكَ عن المَحَلِّ الأرفع .

عبدي أنتَ سِرِّي ، ومَوْضِعُ أمري ، هذا موقفُ[300] تَعْريفك[301] ، بِعُلُوِّكَ[302] على كُلِّ الموجوداتِ (١٧٧) وتَشْرِيفِك .

أنتَ روضةُ الأزهار ، وأزهارُ الروضاتِ ، ومَغْرِبُ الأسرار ، وأسرارُ المَغْرِبِ ، ومَشْرِقُ الأنوار ، وأنوارُ المشرق .

لَوْلَاكَ (١٧٨) ما ظهرتِ المقاماتُ والمَشَاهِد ، ولا وُجِدَ المشهودُ ولا الشَّاهِد ، ولا حُمِدَتِ المعالِمُ والمَحَامِد ، ولا مُيِّزَ بين مُلْكٍ ولا مَلَكُوت[303] ، ولا تَدَرَّعَ لاهوتٌ بناسُوت . بكَ (١٧٩) ظهرتِ الموجوداتُ وتَرَتَّبَت ، وبِكَ تَزَخْرَفَتْ أرضُها وتَزَيَّنَت .

---

(١٧٦) حدى : الحد هو الظاهر ، وهنا نجد إشارة الى الحديث الشريف : « لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع » . (١٧٧) المقصود هو علو النوع الانساني على كل أنواع الموجودات . (١٧٨) لولاك : أي لولاك أنت أيها الانسان الكامل . (١٧٩) بك : أي بالانسان الكامل .

عبدي لولاكَ[١٨٠] ما كانَ سُلوكٌ ولا سفر ، ولا عينٌ ولا أثر ؛ ولا وُصولٌ ولا انصِـراف ، ولا كَشْفٌ ولا إشـراف ؛ ولا مكـانٌ ولا تمْكـين ، ولا حـالٌ ولا تلوين[304] ؛ ولا ذَوْقٌ ولا شُـرْب ، ولا قِشْرٌ ولا لُبّ ؛ ولا عَبْـدٌ ولا رَبّ ، ولا ذَهَـابٌ[١٨١] [305] ولا نَفْس ؛ ولا هَيْبَـةٌ ولا أُنْس ، ولا نَفَسٌ ولا قَبَس ، ولا فَرَسٌ[306] ولاَ جَرَس ؛ ولا جناحٌ ولا رَفْرَف ، ولا رِياحٌ ولا مَوْقِف ؛ ولا معراجٌ ولا انـزعاج ، ولا تجَلِّـي ولا تخَلِّي[307] ؛ ولا جودٌ[308] ولا وُجـود ، ولا حَمْدٌ ولا محمود ؛ ولا تَدَاني ولا تَرَقِّـي ، ولا تَدَلِّـي ولا تَلَقِّـي ؛ ولا هَيِّـنٌ ولا لَيِّـن[309] ، ولا غَـيْنٌ[١٨٢] ولا رَيْن[١٨٣] ، ولا كَيْفٌ ولا أين[310] ، ولا فَتْقٌ ولا رَتْق ، ولا خَتْمٌ ولا خِتام[311] ، ولا وَحْيٌ ولا كَلام ، ولا وَمِيضٌ ولا بَـرْق[312] ، ولا جَمْعٌ ولا فَـرْق[313] ، ولا إصاخـةٌ[314] ولا إِسْمَاع ، ولا لَـذَّةٌ ولا استِمْتَاع ، ولا سَلْخٌ ولا انخلاع ، ولا صِدْقٌ ولا يقين ، ولا خَفِيٌّ ولا مُبين ؛ ولا مشكـاةٌ ولا نُور ، ولا وُرودٌ ولا صُدُور ؛ ولا ظَهَرَ لِصِفـاتٍ عَيْنٌ[315] ، ولا تحَقُّقَ وَصْـلٌ ولا بَيْنٌ ؛ ولا كـانَ عرش ، ولا مُهِّـدَ فَـرْش[316] ؛ ولا رُفِـعَ غَمـام[317] ، ولا أحرقَ[318] إصطِلَام ؛ ولا كان فناءٌ ولا بقاء[319] ، ولا قَبْضٌ ولا عَطَاء : إلى غَيْرِ[320] ذلكَ من الأسـرار[321] ، ولا أشرقتِ الأنـوارُ على الأسـوار [322] ، ولا جَرَتْ بِحـارُ الخَلْقِ على الأطوار ؛

لولاكَ ما عُبِدْتُ ، ولا وُجِدْتُ ولا عُلِمْت ، ولا دَعَـوْتُ ولا أُجِبت ، ولا دُعيتُ ولا أَجَبْت [323] ، ولا شُكِـرْتُ ولا كُفِرْت ، ولا بَـطَنْتُ ولا ظَهَرْت ، ولا قَـدَّمْتُ ولا أخَّـرت ، ولا نَهَيْتُ ولا أَمَرْت ، ولا أَعلَنْتُ ولا أَسْـرَرْت[324] ، ولا أَخْبَرْتُ ولا أوْضحت ، ولا أشرت .

---

(١٨٠) لولاكَ : أي لولا الجنس البشري ؛ فالجنس البشري هو وحده الحامل لكل تدرجات ألوان القرب والتقرب وما ينتج عنه عبر السلوك الروحي الى الله . (١٨١) ذهاب : الاشارة الى ذهاب النفس وفنائها . (١٨٢) غين : سوى . (١٨٣) رين : حجاب .

أنتَ قـطبُ الفَلَك ، ومُعَلِّـمُ المَلَك[١٨٤] ؛ رهـينُ المَـحْبس ، وسـلطانُ المَقام الأقدَس .

أنتَ كيميائي ، وأنتَ سيميائي ، أنتَ اكسيرُ القلوب ، وحياضُ رِيـاضِ الغُيُوب ، بِكَ تَتَقلبُ الأعيان ، أيُّها الإنسان .

أنتَ الـذي أردت ، وأنتَ الـذي اعتَقـدْت : ربُّـكَ مِنْـكَ إلَيْـك[١٨٥] ، ومعبودُك بينَ عَيْنَيْك ، ومَعَارِفُكَ مردودةٌ عَلَيْك ، ما عرفتَ سِواك ، ولا نـاجَيْتَ إلا إيّـاك .

---

(١٨٤) معلم المَلَك : الانسان هو معلم الملائكة ؛ وذلـك أن آدم عليه السـلام علَّـم الملائكـة الأسماء كلها . (١٨٥) هذه الفكرة تتردد كثيراً عند ابن عربي ، فالله على الحقيقة لا يقترب من اعتاب أطلاقه مخلوق ، وغاية ما يعلم الانسان عن ربه هو صورة عقلية يكونها مستوى الانسان الكلي في رؤيته لله عبر النصوص الدينية ،ويسمي ابن عربي هذه الصورة العقلية باسم «إله المعتقدات » ، وإله المعتقد ليس الله عزّ وجلّ في الحقيقة بل هو صورة المعبود وهي من الإنسان وإليه . . . لذلك قال ابن عربي : ربك منك اليك . . راجع ، « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « إله المعتقدات » .

مُنَاجَاةُ التَّقديس

وأنـا[325] الواحـدُ الذي لا تُحيطُ[326] بي[327] الأفكـار ، ولا يَنْتَهي[328] إليَّ الإسرار(١٨٦) ، ولا تُدرِكُني البَصائرُ ولا الأبصار .

وأنا اللطيفُ الخَبير ، الحكيمُ القَدير ؛ وأنا كما كنت(١٨٧) ، عُـدِمْتَ(١٨٨) أو وُجِدْت ، أشركتَ أو وَحَّدْتَ[329] ؛ ما طـرأ حالٌ كنتُ عَـدِمْتُه ، ولا فَقَـدْتُ شيئاً ثم وَجَدْتُه .

عِلْمي محيطٌ[330] بِبَسيـطِك ، وقُدْرتي ظـاهرةٌ في تَخْـطِيطِك . تَنـزَّهْتُ عن التَّنْزيه ، فكيفَ[331] عن التَّشبيه ؛ في العَجْزِ مَعْرفتي على الكمال ، فَهِيَ حضرةُ الجَلال .

لَيْسَ لي مَثَلٌ مَعْقُول ، ولا دَلَّـتْ عليه[332] العُقول ؛ الألبـابُ[333] حائـرةٌ في كبريائي ، والأسرارُ مُطِيفون(١٨٩) بِعَرْشِ رِدائي .

---

(١٨٦) الإسـرار : أسرَّ الأمـر إسـراراً . والمعنى هنـا ان أحـاديث إسراركم انتم البشر لا تـدركني ، وكلامكم لا يحيط بوصفي . (١٨٧) نجد هنا إشارة الى الحديث الشريف « كان الله ولا شيء معه » . ويزيد الصوفية « وهو تعالى الآن على ما عليه كان » ، أي لا شيء معـه . انظر ، فهـرس الأحاديث ، حـديث رقم ٦ . (١٨٨) عدمت : أي أنت ايهـا الانسان . (١٨٩) والاسـرار مـطيفـون : الأولى ان يقول ، والاسرار مطيفة ؛ ولكن حيث انه قصد اسرار السالكين الواصلين (ج س) لذلك أتى بالصفـة على صيغة جمع المذكر السالم .

أنْتَ وأنا حرفٌ ومعنى[334]، بَلْ معنىً ومعنى ؛ أنتَ المِثْلُ الخَفِي ، المَنْقُولُ اللُّغَوِي ، وأنا الواحدُ الجَلِيّ .

أنتَ الواحدُ وأنا الواحد ، والواجِدُ في الواجِد بالواجِد ؛ فإذا ضُرِبَ الفَرْدُ في الفَرْد ، بَقِيَ الربُّ وَفَنِيَ العَبْد .

وهـذا السرُّ الخارج ، لـكَ لا[335] لأصحابِ المَعَـارج ؛ لا تَضَاعُفَ (١٩٠) يَلوحُ لِذي عَيْنَين ، ولا تَكَـاثُف إلاَّ مِنْ حيثُ البَيْنُ(١٩١) .

---

(١٩٠) تضاعف : تضاعف الشيء صار ضعف ما كان ، بحيث يصبح الواحد اثنين . (١٩١) ولا تكاثف : من الكثيف ؛ الا من حيث البين : أي الفرق ؛ والمراد هنا أنه لا رؤية للكثيف إلا في عالم الفرق .

4

مُناجاةُ المِنَّة

عَبدي [١٩٢] ، خَرَقْتُ لك الحِجَاب ، وأظهرتَ لكَ الأمرَ العُجاب ، حتى أتَيْتَ قومَكَ بالكِتاب[336] ، ﴿ فقالوا : ساحرٌ كَذّاب ﴾[١٩٣] .

عبدي ، وهبتُـكَ أسـرارَ الأخـلاق ، ومَلَّكْتُـكَ مفتـاحَ اسميَ الخَـلاّق ، فقالَ[337] الكافرون : إنْ هذا إلاّ اختِلاق .

عبـدي ؛ مَلَّكْتُكَ سِرَّ النـون ، مِنْ قولِ ﴿ كُنْ فَيَكُـون ﴾[١٩٤] فقالـوا : ساحرٌ[338] مجنون .

عبـدي ؛ أتيتَهم بـأسـرارِ الكـوثـر ، فقـالـوا : ﴿ إنْ هـذا إلا سِحْـرٌ يُؤثَر ﴾[١٩٥] .

عبـدي ؛ أعْطَتْـكَ القـوافي زِمَـامَهـا ، ورَفَعَتْ لـكَ المعـاني معـارِفَهـا[339] وأعلامَها ، فَجَرَيْتَ سابقاً في حَلْبَةِ[340] الناظِمِ والنّـاثر ، فقالوا : ما هذا رسولٌ بل هو شاعر .

---

(١٩٢) المناجاة هي للواصل المحمدي وحيث المرآة تنعكس عليها الصفات المحمدية ، لذلك كثيراً ما يتجاوزه الخطاب إلى صاحب المقام بالأصالة أي إلى النبي ﷺ . (١٩٣) سورة غافر ، آية ٢٤ .
(١٩٤) سورة البقرة ١١٧ ؛ آل عمران ٤٧ ، ٥٩ ؛ النحل ٤٠ ؛ مريم ٣٥ ؛ يس ٨٢ ؛ غافر ٦٨ . (١٩٥) سورة المدثر ، آية ٢٤ .

عبدي ؛ كَشَفْتَ لهم عَنِ النُّورِ المُبينِ ، وأَطْلَعْتَهُم على عِلْمِ اليقينِ ، فقالوا : ﴿ إن هو إلا زُبُرُ الأوَّلين ﴾(١٩٦) .

عبدي ، أبْرَزْتُكَ في الحضرةِ الآلـهية ، ومَحَوْتُكَ عن الكيفيّةِ والماهية ، ولو كنتُ مُطْلِعاً عليها أحداً اطلَعْتُك ، أو مُوقفاً(341) عليها غيرَك(342) أوقفتُك ؛ والغيرُ لا يصحُّ فكيفَ ذكرُه ، أو مَنْ ذا(343) الذي نَهْيُهُ وأَمْرُه .

عبدي؛ أَوْقَفْتُكَ على أنَّ العرشَ ظِلُّك ، وَوَبْلَ الأسرارِ طَلُّك(١٩٧)(344) ، وأنكَ العرشُ المَجيد ، الغَنِيُّ الحميد ؛ فما ظَنُّ الظَّانِ بِوَبْلِكَ ، وأينَ هُوَ من مَوَاقِعِ نَبْلِك .

لقد أَيَّدْتُكَ بالأسماء ، وعَرَجْتُ بكَ إلى السَّماء ، وجَاوَزْتُ بكَ(345) على الرَّفْرَف ، وأَطْلَعْتُكَ على كُلِّ مقامٍ ومَوْقِف . وكنتَ بها السَّيِّدَ المُعْلَى ، والمَوْرِدَ العذْبَ الأحلى ، والصارمَ العضبَ(١٩٨) المُجْلى .

وكُلُّ من ادَّعى لك الإمامَةَ (346) في الطريق ، فأنتَ سِرُّهُ على التَّحقيق . وهو ما أوقرتُهُ في نفسي (347) الصِّدِّيق ، وهو التوراةُ المجيد ، عِنْدَ أهلِ الجمعِ والوجود .

قَدْرُكَ أرفعُ مِنَ الإمامة ، فإنَّها مَوْقُوفةٌ على مَنْ نَظَرَ(348) خلفَهُ وأمامَه ، والجهاتُ مَوْضِعُ الزيادةِ والنُّقصان ، ومَحَلُّ الرِّبحِ والخُسْران ؛ وأنت مُنَزَّهٌ عن ذلك ، إذ أنتَ المَلِكُ والمالِك .

ثُمَّ(349) تَجَلَّيْتُ لَكَ في « قابِ قوسين » ، ومَحَوْتُ عنكَ فيهِ(١٩٩) الأثرَ والعين ، وأعْدَمْتُكَ النَّجْدَيْن ، حتى لم يبقَ(350) لَكَ من العينِ إلا انسانُها ، وأبرزتُكَ في الموجوداتِ انسانَها ، وانتظمَ الشَّمل ، والتحقَ الفرعُ بالأصل ، واتَّحدتِ الأمور ، وَذَهَبَتِ القُشُور ، فلاحَ (351) كمالُ الوجود ، ورأيتَ أنَّ العابدَ هو المعبود(٢٠٠) .

---

(١٩٦) سورة الشعراء ، آية ١٩٦ . (١٩٧) الوبل : المطر الشديد ؛ الطلّ : المطر الضعيف .

(١٩٨) العضب : الرجل الحديد الكلام . (١٩٩) فيه : أي في حضرة « قاب قوسين » . (٢٠٠) هنا

عبدي ؛ النعمُ كلُّها بينَ يَدَيْك ، ولُبَابُ التَّوحيد بين عَيْنَيْك . طَالَ وعِزَّتي ما كنتَ في الحضيض الأوهد[٢٠١] ، والليلِ المُحْلَوْلِكِ الأربد[٢٠٢] ، لا يَسْتَقِرُّ بِكَ قَرار ، ولا يَطْلَعُ عليكَ نَهار ؛ فأَرَدْتُ من أجنادِكَ[352] أن يُسْرِعوا ، إلى حضرةِ ﴿ يا أهلَ يثربَ لا مُقَامَ لكم فارجعوا ﴾[٢٠٣] ،

فَأطلَعْتُ البدرَ المرموزَ[353] في ليليتكَ الحندسيّة[٢٠٤] ، ومملكتِك النَّدسية[٢٠٥] ، فخرق غُدافيُّ[354] إهابها[٢٠٦] ، ونَزَعَ محلولِكُ[355] جِلْبَابَها ، فَصَارَتْ كأنَّها قطعةُ بلُّور ، تَرْفَلُ في غلائلِ النُّور . ثم جئتُ بكَ على ظِلِّكَ[356] من الغَمَام ، على هشائمَ دَنَّسَها القَتَام[٢٠٧] [357] ، فأمطرتُ القِيعانَ والآكام ، فتَعَمَّمَ[358] صُلْعُ هاماتِ الرُّبا وبارِزُ[359] الأهضام[٢٠٨] .

واخترقتُ بكَ[360] المقامات ، وجَلَّيْتُ[361] لقُدُومِكَ الحَضَرات ، اضربْ[362] لَكَ في كلِّ حضرةٍ فُسطاطاً ، وانشرْ[363] لَكَ فيه من الذِّكرِ الجميلِ بِساطا .

ولَمْ أَزَلْ أُرَقِّيكَ عن هذه النِّسَب ، حتى حَجَبْتُكَ بالمسبِّب عن السبب . وقلتُ لكَ أنا المُريد ، وأنا[364] المُبْدِئُ المُعيد[365] ، نَبَّهْتُكَ بذلك على[366] الرجوعِ مما وَصَلْت ، إلى المقامِ الذي عنهُ انفصَلْت ؛ رجوعَ رَاق[٢٠٩] ، لا رجوعَ فِرَاق .

يؤكد ابن عربي على معنى كثيراً ما يتردد عنده وخلاصته ، أن الانسان مهما ترقى في مدارج المعرفة الالهية فإنه لا يعرف الله على الحقيقة أبداً ، بل يعرفه دائماً عبر صورة عقلية ويسميها ابن عربي « اله المعتقدات » أو « الاله المجعول » ؛ وهذه الصورة هي في الواقع من صنع العابد ، واليها يتوجه في عبادته ، لذلك فإن العابد هو المعبود ، را. « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « إله المعتقدات » .

(٢٠١) الأوهد : المنخفض . (٢٠٢) الأربد : الأغبر . (٢٠٣) [الأحزاب / ١٣] . (٢٠٤) الحندسية : المظلمة . (٢٠٥) الندسية : الخفية . (٢٠٦) غدافي إهابها : أي جلدها المظلم : فالغداف الظلام ، والإهاب : الجلد ، وهنا قدّم ابن عربي الموصوف على الصفة .

(٢٠٧) هشائم : الشجر اليابس ؛ القتام : الغبار الأسود . (٢٠٨) الاهضام : الهضم هو بطن الوادي . (٢٠٩) راق : ترقي .

5

مُنَاجَاةُ التَّعْلِيم

عبدي ؟ أنْتَ من عرائسي الذينَ[367] خَبَّأْتُهم في خزائنِ الغُيوب ، غيرةً أنْ تَطَّلِعَ[368] عليهم[٢١٠] أسرارُ أرواحِ[369] القلوب[٢١١] ، فَهُمْ لَدَيْنا مُحْضَرون ، صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُون .

مَنِ استَمْسَكَ بزمامِهم[٢١٢] ، وَصَلَّى خَلْفَ إمامِهم[370] ، حَصَلَ في[371] عنايةِ خاتمةِ السُّطور ، وَوَقَفَ على معاني الكِتاب المَسْطُور ، وعلى اللهِ قَصْدُ السبيل .

مَنْ[372] شَاءَ أن يَقِفَ على حقائقِ المعاني ، فَلْيَتَخَلَّقْ بالقرآنِ العظيمِ والسَّبْعِ المثاني[٢١٣] ، ﴿ ما فَرَّطْنا في الكِتابِ من شيء ﴾[٢١٤] ؛

مَنْ أَحَبَّ أنْ يَفيضَ على[373] عالَمِ البسيطِ والتَّخطيط ، فَلْيَكُنِ القرآنَ المُحيط ، ﴿ يَمحُو اللهُ ما يشاءُ وَيُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الكِتاب ﴾[٢١٥] .

بينَ حَدِ العارفِ والوارث ، ما بينَ القديمِ والحادث ، ﴿ قُلْ كلٌّ يَعْمَلُ على شَاكِلَتِهِ ﴾[٢١٦] .

---

(٢١٠) عليهم : أي على عرائس الحق المخبوءة. (٢١١) القلوب : أي قلوب الخلق . (٢١٢) بزمامهم : أي بزمام عرائس الحق . (٢١٣) السبع المثاني : فاتحة القرآن . (٢١٤) سورة الأنعام ، آية ٣٨ (٢١٥) سورة الرعد ، آية ٣٩ . (٢١٦) سورة الإسراء ، آية ٨٤ .

اسمي الأعظمُ[374] الأمجد ، في العبدِ الأكرمِ[375] الأنجد[376] ، ﴿ وفي أنفسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ ﴾(٢١٧) هُوَ(٢١٨) السِرُّ الفعَّالُ الأوحد ، لا ينالُهُ إلاّ من ارتقى ثُمَّ أخْلَدَ[377] ، وكذلك[378] ﴿ آتيناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها ﴾(٢١٩) .

العارفُ مركزُه[379] القَطِيعَة(٢٢٠) ، وَخَرْقُ[380] حجابِ الشَّريعةِ ، فهو يقولُ ولا يَمَنّ(٢٢١) : ﴿ الحمدُ للهِ الذي أذْهَبَ عَنَّا الحَزَن ﴾(٢٢٢)

مَنْ تَسَلَّكَ[381] لِوَاذا(٢٢٣) ، واعْتَصَمَ عِيـاذا ، واتَّخذَ ﴿ لا مقـام ﴾ مُلاذا[382] ، وَصَيَّرَ الأصنـامَ جُـذاذا ، وأمْطَرَ وابِلاً وَرَذَاذا[383] ، وَجَبَ أَنْ يَقولَ : ﴿ الحمدُ للهِ الذي هَدَانا لهذا ﴾(٢٢٤) .

مَنْ قامَ باللامِ وَحْدَه ، وَحَصَلَ[384] عنده ، وجاوَزَ الى مَطْلَعِهِ حَدَّه ، ولم يَرَ مِثْلَهُ ولا ضِدَّه ، وَمَلَكَ وعيـدَهُ وَوَعْدَه ، وأمِنَ قُرْبَهُ وبُعْدَه ، وعَرَفَ أنّـهُ لا يأتي أحدٌ بَعْدَه ، قال : ﴿ الحمدُ للهِ الذي صَدَقَنا وَعْدَه[385] ﴾(٢٢٥) .

مَنِ اتَّبَعَ الخليفةَ أمِنَ من كُلِّ[386] خِيفَة ، وصارتِ الأسرارُ بـه مُطِيفـة ، وَحَصَلَ بالرُّتبةِ المُنيفة ؛ وأولي الأمرِ منكم لا تَنْسِبُهُ الى العُدوان ، فلا فاعِلَ إلاّ الدَّيّـان ، ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله ﴾(٢٢٦) .

مَنْ طَعَنَ في الـوزيرِ وردَّ أمْرَه ، سَفَّهَ الأميرَ وَجَهِلَ قَدْرَه ، ﴿ مَنْ أطـاعَ الرسولَ فَقَدْ أطاعَ الله ﴾(٢٢٧) ، هو صاحبُ الصِّفاتِ[387] والأسماء .

واعلَمْ أنَّ الـوصفَ يُـريـدُ[388] الموصوفَ والاسمَ يُـريـدُ[389] المُسَمّى ،

---

(٢١٧) سورة الذاريات ،
آية ٢١ . (٢١٨) هو : أي اسمي الأعظم ؛ وهنا الإشارة إلى اسم الله الأعظم الذي شاع السؤال عنه بين الصوفيين . راجع ، « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « الاسم الأعظم » . (٢١٩) سورة الأعراف ، آية ١٧٥ . (٢٢٠) مركزه : مستقرّه مقامه ؛ القطيعة : المقصود هنا ، الفَرْق . (٢٢١) يمن : يتعب . (٢٢٢) سورة فاطر ، آية ٣٤ . (٢٢٣) لواذاً : خفية (٢٢٤) الأعراف ، ١٧٥ . (٢٢٥) سورة الزمر ، آية ٧٤ . (٢٢٦) سورة النساء ، آية ٧٨ . (٢٢٧) قال تعالى : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللهَ ﴾ [النساء / ٨٠] .

« وعَلَّـمَ آدمَ الأسماء ﴾[٢٢٨] ، وأُوتيتَ جوامعَ الكلِم[٢٢٩] .

لا يـأبَىٰ عن أكـلِ الشَّـجـرَة ، إلاّ الكَفَـرَة[٢٣٠] ، مَنْ أكَـلَ مِنَ[390] الشَّجَرَة[391] ، حُرِمَ مقاماتِ البَرَرَة[٢٣١] . شجرتـانِ تُسقى بماءٍ واحـد ، ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هؤُلآءِ وهؤلاء مِنْ عَطَآءِ رَبِّـكَ ﴾[٢٣٢] .

في الوفاءِ بالعَهْدِ الأَزَليّ ، مفتـاحُ العَهْدِ الأَبَـدِي ، ﴿ هل جـزاءُ الإِحْسَانِ إلاَّ الإِحْسَان ﴾[٢٣٣] .

---

(٢٢٨) سورة البقـرة ، آية ٣١ . (٢٢٩) الاشـارة الى حديث « أوتيت جوامع الكلم » راجع ، فهرس الأحاديث ، حديث رقم ٣ . (٢٣٠) الشجرة التي لا يأبى عن أكلها إلا الكفرة ، لعلها الواردة في قولـه تعالى : ﴿ أَلَمْ تَـرَ كَيفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَـلاً كَلِمَةً طَيِّبَـةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤتِي أُكُلَهَا كُـلَّ حِينٍ بِـإِذْنِ رَبِّـهَا ﴾ [ابـراهيم / ٢٤ ـ ٢٥] . (٢٣١) الشجرة التي يتسبب الأكل منها بالحرمان ، لعلها الشجرة التي حَجَرَ الله تعالى على آدم وزوجه الأكل منها في الجنة ، قال تعالى : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّـةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ... فَلَمَّـا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ تُهُمَا ﴾ [الأعراف / ١٩ ـ ٢٢] . (٢٣٢) سورة الاسراء ، آية ٢٠ . (٢٣٣) سورة الرحمن ، آية ٦٠ .

6

مُنَاجَاةُ أسرارِ مبادِئِ السُّوَر

عبدي ؛ بَلِّغْ إليَّ عَنِّي وَقَوْلِيَ الحقّ ، وخاطِبْ بلسانِ[392] أهلِ الجَمْعِ والفَرْق ، فأنا المُتَكَلِّمُ وأنت اللافِظ ، وأنا[393] المُبَلِّغ وأنتَ[394] الحافِظ . قُلْ عَنِّي ، وأنا المُخاطِبُ إليّ مِنّي :

إنَّ مبادىءَ السُّوَرِ المجهولة ، لأهلِ الصُّوَرِ المعقولة ، ﴿ ذلك فضلُ اللهِ يُؤتيه مَنْ يشاء ﴾[٢٣٤] ، جُمْلَتُها تسعةٌ وعشرون سُورة[٢٣٥] ، وذلكَ كمالُ الصُّورة ، ﴿ والقمرَ قَدَّرناه مَنَازِل ﴾[٢٣٦] .

أكملتُ فيها[٢٣٧] العالَمَ بأسره ، وفَرَّقْتُ بيني وبينَهُم[٢٣٨] بما لَوَّحْتُ به من نَهْيِهِ وأمرِه[٢٣٩] ﴿ انني أنا الله لا إله إلا أنا [395] ﴾ ﴿ فاعبدون[396] ﴾[٢٤٠] .

---

(٢٣٤) سورة المائدة ، آية ٥٤ . (٢٣٥) ان السور القرآنية التي نجد في بدايتها حروفاً عددها : تسع وعشرون سورة ؛ وهي : البقرة : الم ؛ آل عمران : الم ؛ الأعراف : آلمّص ؛ يونس : الر ؛ هود: الر؛ يوسف : الر ؛ الرعد : المر ؛ ابراهيم : الر ؛ حجر : الر ؛ مريم : كهيعص ؛ طه : طه ؛ الشعراء : طسم ؛ النحل : طس ؛ القصص : طسم ؛ العنكبوت : الم ؛ الروم : الم ؛ لقمان : الم ؛ السجدة : الم ؛ يس : يس ؛ ص : ص ؛ غافر : حم ؛ فصلت : حم ؛ الشورى : حم ، غسق ؛ الزخرف : حم ؛ الدخان : حم ؛ الجاثية : حم ؛ الاحقاف : حم ؛ ق : ق ؛ القلم : ن . (٢٣٦) سورة يس ، آية ٣٩ . (٢٣٧) فيها : أي في السور . (٢٣٨) بيني وبينهم : أي بين الحق تعالى وبين مخلوقاته . (٢٣٩) نهيه وأمره : أي بما وجّهتُ إلى العالم من الأوامر والنواهي : (٢٤٠) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء / ٢٥] ؛ ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه / ١٤] .

فمنها(٢٤١) (397) مفردٌ ومُثَنّى ، ومنها ما(398) جُمِعَ لِمَعْنى(٢٤٢) ﴿ ولئن(399) شكرتم لأزيدنكم ﴾(٢٤٣) .

منها(٢٤٤) ما زِيدَ فيه فاستَغْنى ، ومنها ما نَقَصَ مِنْهُ فَتَعَنّى ﴿ أولم يروا أنّا نأتي الأرض نُنقصها(400) من أطرافها ﴾(٢٤٥) .

مِنْها(٢٤٦) (401) مُتَماثِلَةُ الصُّوَرِ ومُخْتَلِفَة ، كما منها مُفْتَرِقَةٌ(402) ومؤتلِفة ، ﴿ ولو شاء ﴾ الله ﴿ لجعلَ الناسَ(403) أمةً واحدة ﴾(٢٤٧) .

غايتُها خمسةُ حُروف(٢٤٨) ، وبقي اثنانِ للواصِفِ(404) والمَوْصوف ، من مقام آدم(405) وحَوّا [ء] في جنةِ الاقامة ، ومأوى الإمامة ، ﴿ فَكُلا من(406) حيث شِئْتُما ﴾(٢٤٩) .

مَبْلَغُها ثمانيةٌ وسبعون(٢٥٠) ، فَمَنْ كُوشِفَ بحقائِقِها مَلَكَ(407) الأعلى والدُّون ، ﴿ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾(٢٥١) .

لِكُلِّ بابٍ منهم(408) جزءٌ مقسوم ، فما أفردتُ (409) منها(410) فلِفَناءِ(411) الرَّسمِ أزَلا ، وما ثَنَّيتُ(412) فلوجودِهِ حالا ، وما جمعتُ فللأبَدِ استمرارا ، ﴿ يُرسل السماءَ عليكم مدرارا ﴾(٢٥٢) ؛ فالإفرادُ للبحرِ الأزَلِيّ ، والتَّثْنِيَةُ(413) للبَرزخِ المُحَمَّدِي ، والجَمْعُ للبحرِ الأبدي .

عبدي(414) ، انْحَصَرَ لكَ وجودُ هذه الحروفِ بالجَزْم(415) ، إلى ثلثةِ(416)

---

(٢٤١) فمنها : أي فمن مبادىء السور . (٢٤٢) المفرد من مبادىء السور : هي الحرف الواحد ، مثل ق ، ص ؛ والمثنى : هي حرفين ، مثل طه ، يس . . والجمع من مبادىء السور : هي التي تفوق الحرفين ، مثل : الم ، كهيعص . . . (٢٤٣) سورة ابراهيم ، آية ٧ . (٢٤٤) منها : أي من مبادىء السور . (٢٤٥) سورة الرعد ، آية ٤١ . (٢٤٦) منها : أي من مبادىء السور . (٢٤٧) سورة هود ، آية ١١٨ . (٢٤٨) غايتها خمسة حروف : أي أطول جمع لحروف مبادىء السور يبلغ خمسة حروف ، وهي : كهيعص . (٢٤٩) سورة الأعراف ، آية ١٩ . (٢٥٠) إن مبادىء السور ان جمعناها فحاصل جمعها : ثمانية وسبعون حرفاً ، ارجع الى الحاشية ٢٣٥ ، واجمع حروف مبادىء السور . (٢٥١) سورة الحاقة ، آية ٣٢ . (٢٥٢) سورة نوح ، آية ١١ .

آلافٍ وخمسمائةٍ واثنينِ وثلثينَ على غايةِ البحثِ والحَزْمِ(٢٥٣) ، وأوَّلُ التفصيلِ من نوحٍ ، الى شُروقِ (417) يوحَ(٢٥٤) ، ثُمَّ الى آخرِ التركيبِ الذي تَنْزِلُ فيه الكلمةُ والرُّوح . فبَعْدَ عددٍ تَضْرِبُهُ وتَجْمَعُه ، وتَحُطُّ مِنْه طرحاً وتَضَعُه ، يَبْدو لَكَ تَمامُ الشَّريعة ، حتى إلى انخرامِ (418) الطبيعة ، وهي التي بَقِيَتْ من ﴿ نون والقلم ﴾(٢٥٥) ، إلى آخرِ الكتابِ العَزيزِ الأكرم .

فَمَبْعَثُ محمدٍ ﷺ من سورةِ النَّجْمِ الى كافةِ العَرَبِ والعَجَم .

ومِنْ سُورةِ البَقَرَةِ إليها(419) ، بَعْثُ(420) الرُّسُلِ لديها(421) ، وليس لَهُم(٢٥٦) في الفاتحةِ نَصِيب ، ولا رَمَوْا فيها(٢٥٧) بسَهْمٍ مُصيب ، فاختصَّ(442) بها محمدٌ عليه الصلاة والسَّلام ، على جميعِ (423) الرُّسُلِ الكِرام ، فهي قَوْلُهُ : متى كنتَ نَبِيّاً ؟ قالَ : وآدمُ بَيْنَ الماءِ والطِّين(٢٥٨) .

فَكانَ(٢٥٩) مِفتاحَ النَّبِيِّين ، وقَدْ مَلَكَ مِنْ سُورَةِ النَّجمِ إلى آخِرِ القرآنِ العظيم ، وتَرَدَّدَ(424) ما بَيْنَهُما في أصلابِ(425) المَقاماتِ إلى عصرِهِ(426) الكريم .

فَصَحَّ لهُ الوجودُ أجْمَع ، واختَصَّ بالمَحَلِّ الأمنع . أُوتيتَ جَوامِعَ الكَلِمْ فَما بَقِيَ لَكَ بعدَ الوضعِ والطَّرْح ، فذلك(427) أوانُ النُّزولِ والفَتْح(428) .

---

(٢٥٣) أراد ابن عربي هنا بهذا الرقم حاصل حساب الثمانية والسبعون حرفاً التي هي في مبادىء السور بحساب الجمل ، ولكن بعد أن قمنا بحساب الأحرف تبين لنا أن الفارق بين حسابنا وحساب ابن عربي هو ٥ أعداد فقط . والحساب هو التالي : ٧١ (الم) + ٧١ (الم) + ١٦١ (المص) + ٢٣١ (الر) + ٢٣١ (الر) + ٢٣١ (الر) + ٢٧١ (المر) + ٢٣١ (الر) + ١٩٥ (كهيعص) + ١٤ (طه) + (١٠٩)طسم+(٦٩) طس+ ١٠٩ (طسم) + ٧١ (الم) + ٧١ (الم) + ٧١ (الم) + ٧٠ (يس) + ٩٥ (ص = صاد) + ٤٨ (حم) + ٤٨ (حم) . + ٢٧٨ (حم . عسق) + ٤٨ (حم) + ٤٨ (حم) + ٤٨ (حم) + ١٨١ (ق= قاف) + ١٠٦ (ن = نون) = ٣٥٢٧ وهذا الحساب هو على الترتيب العربي ، وهو أقرب الى الرقم الذي أورده ابن عربي من الرقم الذي يحصل لدينا لو قمنا بالحساب على الترتيب المغربي للحروف الأبجدية . (٢٥٤) يوح : الشمس . (٢٥٥) سورة القلم ، آية ١ . (٢٥٦) لهم : أي للرسل عليهم السلام . (٢٥٧) فيها : أي في الفاتحة . (٢٥٨) اشارة الى الحديث : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » ، راجع ، فهرس الأحاديث ، حديث رقم ٧ . (٢٥٩) فكان : أي محمد ﷺ .

وهُوَ نظيرٌ [429] المُقَدَّس ، من القرآنِ[430] الذي يَلِيه الأَقْدَس، تَقْدِيسُهُ(٢٦٠) بالنَّازلِ فيه ، وَقَدْ أَشَرْتُ لَكَ إلى[431] معانيه ، وما يَعْقِلُها إلا العالِمون .

عبدي[432] ؛ هذا بابٌ(٢٦١) يَدِقُّ وَصْفُه ، ويُمْنَعُ كَشْفُه . الأعداءُ حُجُبٌ على عَيْنِكَ أيُّها الإنسان ، وإنَّما هِيَ أسطارُ نورٍ خُضْرٌ[433] خَلْفَ حجابِ الرَّحمان[434] ، تَلُوحُ لِمَنْ سَبَقَتِ[435] المشيئةُ بِوُقُوفِهِ عَلَيْها ، حتى تُودِعَهُ ما لَدَيْها ، فاستعْمِلِ المُجاهدة ، وتَجَلَّ بالموافقةِ والمساعدة ، عَسَاكَ تَلْتَذُّ بهذه المُشاهدة .

عبدي [436] ، جعلتُ ما بعدَ[437] هذه الحروفِ(٢٦٢) في مَوْضِعِ التَّفْسير ، ومَجْلى لِلتَّعْبير[438] ، وَمَبْحَثاً للناقِدِ البَصير ، صاحبِ السرِّ والاكسير ، وَمَنْ[439] لا يَقْنَعُ من الوجودِ بالنَّزْرِ اليَسِير .

وجعلناها(٢٦٣) [440] على ضَرْبَيْنِ ، لِذِي عَيْنَيْنِ ، ضربٌ لا ينقسم ، وضَرْبٌ آخَرَ يَنْقَسِم .

عجباً للظاهرِ ينقسمُ[441] ولبَاطِنِهِ [442] لا يَنْقَسِمُ
فالظاهرُ شمسٌ في حَمَلٍ والباطِنُ في أسدٍ جَلَمٌ(٢٦٤)
حَقِّقْ وانْظُرْ مَعْنَى سُتِرَتْ مِنْ تَحْتِ كشائِفِهَا الظُّلَمُ
إنْ كانَ خَفِيَ هُوَ ذاكَ بَدَا عَجَباً واللهِ هُمَا[443] القَسَمُ(٢٦٥)
فافْزَعْ[444] للشمسِ ودَعْ قَمَراً في الوِتْرِ يَلُوحُ وَيَنْعَدِمُ
واخْلَعْ نَعْلَيْ قَدَمَيْ[445] كَوْني ، عِلْمِي شَفْعٌ ، يَكُنِ الكَلِمُ

---

(٢٦٠) تقديسه : أي تقديس القرآن الكريم . (٢٦١) هذا باب : أي مبادىء السور هي باب . (٢٦٢) ما بعد هذه الحروف : أي آيات القرآن الواردة بعد حروف مبادىء السور . (٢٦٣) وجعلناها : وجعلنا ما بعد هذه الحروف ، أي الآيات الكريمة . (٢٦٤) الجَلَم : الهلال ليلة يُهَلّ . والجَلَم : القمر . (٢٦٥) هما القسم : اشارة الى أن الشمس والقمر هما قسمان قرآنيّان ؛ قال تعالى : ﴿ والشمسِ وضحاها ، والقمرِ إذا تلاها ﴾ .

لكنَّ انقسامَه على ثلاث[٢٦٦] [446] ، وهي حقائقُ الموائِدِ الثلاث[٢٦٧] . فأمّا الضَّرْبُ الذي لا يَنْقسِمُ بالبُرهان ، فسورةُ آلِ عِمران ؛ والضَّرْبُ الذي يَنْقَسِمُ الموصوف ، ما عداها [447] من سُوَرِ[448] الحُروف[٢٦٨] . والثلاثُ الذي يَنْقَسِمُ[449] إليها[٢٦٩] : مُخاطِبٌ ومُخاطَبٌ[450] ومُخاطَبٌ به ، فاستيقِظْ أيُّها الراقِدُ مِنْ سِنَةِ الغَفْلَةِ وانْتَبِه .

ثُمّ تَتَفَرَّعُ[451] [٢٧٠] على اثنتي عشرةَ عيناً وهُوَ كمالُ العالَمِ الرُّوحاني والجِسْمَاني ، لِكُلِّ عالمٍ إلـهي ، والثالثَ عَشْرة الضربُ الذي لا يَنْقَسِم ، وفيه عُلِّـمْتَ الأسماءَ وجَوامِعَ[452] الكَلِم .

فمِنْها[٢٧١] ما هـو لِـرَفْـعِ[453] الشَّكِّ والرَّيْب، فيما ظَهَرَ من الغَيْب ، وهي : البقرة ، وآلـم ، والسجدة .

ومنها[454] لِرَفْعِ الحَرَج ، عَمَّن يـأتي ودَرَجَ ، وهِيَ : الأعرافُ ، وطـهَ ، والشعراء .

ومنها للتعريفِ بالعِنَايةِ أزَلا ، أولياءَ وأنبياء[455] ورُسُلا ، وهي : يُونُسَ ، ومريمَ ، عليهما السلام .

ومنها للمُفْتَرِق[456] والمُجْتَمِع ، والحَجَرِ الذي لا يَنْصَدِع ، وهي : هُـود ، وفُصِّلَتْ ، والشُّورى ، والدُّخان ، والمؤمن .

ومنها لتـأكيدِ التَّبْيـين في المعقـولات ، والاخبـارِ بـالمُفْترقـات ، وهي :

---

(٢٦٦) انقسامه على ثلاث : أي ان انقسام الضرب الذي لا ينقسم هو على ثلاث اقسام ، بكلام آخر ينقسم الضرب الذي لا ينقسم إلى ثلاثة أنواع . (٢٦٧) الموائد الثلاث هي المشار اليها آنفاً في القسم الثالث حضرة الكرسي ، حاشية رقم ١٢٤ . وهي مائدة مريم ومائدة عيسى ومائدة موسى عليهم السلام . را. القسم الثالث ، حاشية ١٢٤ . (٢٦٨) أي ما عدا سورة آل عمران من سور الحروف . (٢٦٩) أي ينقسم اليها الضرب الذي لا ينقسم . (٢٧٠) تتفرع : أي السور التي تبدأ بالحروف . (٢٧١) فمنها : أي من مبادىء السور ؛ وهنا سيفصل ابن عربي نظريته في مبادىء السور .

يوسفَ ، والزُّخْرُف ، والقَصص ، والرُّوم .

ومنها لاعتبارِ التركيب ، لأهلِ النَّظَرِ والتهذيب ، وهي : قاف ، والجاثِية .

ومنها لِتَحقِيقِ الهداية ، في النُّبُوَّةِ والولاية ، وهي : ابراهيمُ ، والنملُ ، ولُقْمان .

ومنها لتحقيقِ النزولِ في الإيمان ، بالعَهْدِ[457] الغائب عن العِيان ، وهي : الرعد .

ومنها لتأكيدِ [458] التَّوْجِيه ، والعِصْمة بالقَسَمِ في مَحَلِّ التنزيه ، وهي : يسٓ[459] ونون ، وصاد .

ومنها لِطَلَبِ الدليل ، في مُقابلةِ خَصْمِ الثقيل[460] ، وهي الأحقاف .

ومنها لتأكيدِ تَبْيِينِ التهديد بالوعيد ، وهي : الحجر ، والعنكبوت .

فَسَلِّمِ الألفَ من هذهِ الحروفِ للذات ، وعُدَّ ما بَقِيَ لكَ منها من الصفات[461] ، ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قائمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بما كَسَبَت ﴾[٢٣٢] .

---

(٢٧٢) سورة الرعد ، آية ٣٣ .

7

مُناجاةُ جَوامِعِ الكَلِم

مُناجاةُ السِّمْسِمَة

عبدي ؛ سَمَتْ بكَ سِمْسِمَةٌ[٢٧٣] سُمُوَّ أسماءِ أسبابِ سماءِ السِّمات ، على لُطْفِ[462] لَطافَةِ ذاتِها المُسَخَّرةِ ذاتَ أفلاكِ الذَّوات[463] ، فأينَ أنتَ[464] من هذه النِّسبة ، لَقَدْ جادَتْ [465] بأسنى طالعٍ هذه النُّصبة[٢٧٤] ،

على أنَّها[٢٧٥] قد خَفِيَتْ على الأوْهام ، وغايةٌ[466] أنْ يُعَبِّرَ عن جَليِّ ظاهرِ أمرِها صاحبُ وحيٍ أو إلهام[467] ؛ فَلَوْ تاهَ التائهونَ مِدادَ الكَلماتِ في مفاوزِ العَجْزِ والحِيرة[468] ، وقَطَعَ العارفونَ بِحارَ الهِمَمِ على سُفُنِ الغِيرة ، في ظاهرِ فِعْلِكَ يَقِفُون[٢٧٦] ، وما يَصْدُرُ[٢٧٧] عنكَ فقط يَعْرِفون .

سِمْسِمَةٌ جَلَتْ[469] وجَالَتْ جَوَلَانَ الحائِم ، وقُلْتُ[470] وقَالَتْ مقالةَ ذي اللَّوْعَةِ الهائِم ، فَنِيتُ شوقاً لا اشتياقا ، وقَطَعْتُ مَفاوزَ خَفِيّاتِ الغُيوب حثيثاً[471] وإعْناقا[٢٧٨] ، ولم[472] أبلغْ من بَعْدُ شَفعيّةً[473] مَغْناك ، فمَنْ لي بوَتْرِيَةِ مَغْنَاك .

---

(٢٧٣) سمسمة : بذر أو ثمرة نبات سنوي ، ازهاره انبوبية الشكل ؛ ولكنها عند ابن عربي تتحول الى رمز لكل ما يكتنفه الخفاء ، ويَدِقُّ عن العبارة ، ولا تدركه حتى الاشارة ؛ ويرمز بها أحياناً الى الانسان الكامل ؛ وأحياناً لعلوم هذا الانسان . راجع : « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « السمسمة » .

(٢٧٤) النصبة : العلامة ، الشجرة . (٢٧٥) انها : أي السمسمة . (٢٧٦) يقفون : أي يقف العارفون في ظاهر فعلك فقط أيها السالك . (٢٧٧) يصدر : يرجع ، يبقى ؛ والصادر عكس الوارد .

(٢٧٨) حثيثاً وإعناقاً : نوعان من السير ؛ سير سريع ، وسير أقل سرعة .

سمسمةٌ تلِفتْ فكشفت[474] ، وراحتْ[475] فلاحت ، وأومضتْ فغمضت ، وهفتْ فشفت[476] ، وسكنتْ فتمكّنت ، وطالتْ فصالت ،

فلمّا قيل لها(٢٧٩) : أنّى لكِ هذا ؟ قالتْ : إنّها تخلّقتْ بهمّةٍ صدرتْ من أثرِ فعلِ اسم[477] صفةِ ذاتِك[478] ، فرقتْ إلى ما شاهدَ[479] السائلُ مِنْ أثرِها عن وجودِ صفاتِك ، فغابتْ عن الأينِ والكيْف ، ومطالعةِ العدْل والحيْف .

فأينَ[480] ولا أينَ في عِلْمِه[481]	وكيْفَ ولا كيْفَ في حِلْمِهْ[482]
سِمْسِمَةٌ ربّةٌ(٢٨٠) أمثالها	جلّتْ فما تُدْرِكُها سِمْسِمَةْ
لمّا رأتْ سِرَّكَ يسري لنا[483]	قالتْ لهُ : يا سيدي ، سِمْ سِمَةْ(٢٨١)[484]
فحادت[485] العينُ إلى دُرَّةٍ	تقولُ إعجاباً إلى الشمسِ : مَهْ[486]

(٢٧٩) لها : أي للسمسمة . (٢٨٠) ربة : سيدة . (٢٨١) سم سمة : صفِ صفة ، علّم علامة .

8

مُناجاةُ الدُرَّة البَيْضاء

عبدي [487] ، دُرَّةٌ عَذْراء ، غَضَّةٌ[488] بيضاء ، أبرزتُها من قَعْرِ بحرِ غيبِ[489] ذاتي ، ما عَرَفَتْ قَطُّ صفةً من صفاتي .

ثم خبأتُها في سوادِ العين ، وما عَرَفَتْ الوصلَ ولا البَيْنَ ، غَيْرةً من[490] أنْ تُنالَ أو تُسَمّى[491] ، أو تُعْرَفَ كشفاً أو مُعَمّى .

فلما جَذَبْتُكَ إلى عنايةِ القَدَمِ السابقة ، ورَقّيتُ[492] بكَ إلى جوامِعِ الكَلِمِ الصّادقة ، وحططتُ « كن »(٢٨٢) [493] عن قِواك ، وأدخلتُكَ مَحَلّي وَجَبَ عَلَيَّ قِراك(٢٨٣) ، حتى تُعَبِّرَ[494] عنك شواهدُ التحقيقِ بلسانِ حالِها وأنتَ ساكِت ، وتنفعلَ[495] عنك المكوّناتُ وأنتَ مائِت .

ومدركُ[496] هذه الرتبةَ العليّةَ الفرديّة ، باتصالِ الحياةِ الأزليّةِ بالحياةِ [497] الأبديّة ، مَعَ وجودِ الحَبْس ، في قيدِ اليومِ والأمس ، وهذه بين يَدَيْك موائدُ الأقصى ، عليها صحن الأمدِ الأمضى[498] ، فتناولْ منها إحصاءَ ما لا يُحصى ، فكُلْ مِنْ طعامِ الذاتِ[499] بالذات ، فكثيرٌ مِنَ الطالبين أرادوا بقاءَ الرسومِ لوجودِ اللّذات[500] ، فاسبحْ وَحْدَكَ في نَهرك ، واقرأْ ما سَطَّرْتَهُ في مَهْرك .

---

(٢٨٢) كن : اشارة الى عالم الكون ، أي الخلق . (٢٨٣) قراك : ضيافتك .

أَنْكَحْتُكَ درةً بيضاء ، فَرْدَانِيَّةً عـذراء ، لم يَطْمِثْهَـا إنسٌ ولا جَان ؛ ولا أذهـانٌ ولا عِيان[501] ، ولا شـاهَـدَهـا عِلْمٌ ولا عِيـان ، ولا انتقلَتْ قَطُّ من سِرِّ الإحسـان ، لا كيفَ ولا أين ، ولا رَسْمَ ولا عَـيْنْ ، اسمُهـا في غيبِ الأحـد ، نُعمى الخُلْدِ ورُحمى الأبد ، فادخلْ بخيرِ عروسٍ قبة[502] التقديس ، فهذا البِكْرُ الصهباء ، واللُّجَّةُ العمياء ، خُذْها من غيرِ مَهْرٍ عَمَلِيّ[503] ، ولا أَجْرٍ نَبَوِيّ .

قَالَ السَّالِكُ :

فافْتَضَضْتُها في مَجْلِسِ سِرِّ غيبِ ذاتِـه بِسِرِّ الوَهْمِ البَشَرِيِّ ، فإذا بهـا مُهْرَةُ النَّبِي ؛ فتِهتُ فَرَحا ، وسَحَبْتُ ذَيْـلي مَرَحـا ، وتَلَوْتُ[504] « إنَّني [505] أنَا اللهُ لا إلهَ إلّا أنَا » « فَاعْبُدُون »(٢٨٤) فَخَرَّتْ غوامِضُ الاسرارِ[506] ساجِـدات ، وقامَتْ صِفاتُ الصَّمَدِيَّةِ مُتَهَجِّـدات ، وَصَحَّ[507] لي في ذلك الإفـلاس ، المقامُ الـذي نَبَّـهَ عليه[508] قولُه عزَّ وجَلَّ ﴿ مَلِكِ النَّاس ﴾(٢٨٥) .

***

---

(٢٨٤) قوله تعالى : ﴿ إنَّنِي أنَا اللهُ لَا إلَـهَ إلَّا أنَا فَـاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّـلَاةَ لِـذِكْرِي ﴾ [طـه / ١٤] ؛ ﴿ أَنَّـهُ لَا إلَهَ إلَّا أنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء / ٢٥] . (٢٨٥) المراد أن السالك عندما يصل الى مناجـاة الدرة البيضاء يصبح له مقام « ملك الناس » أي السيادة . والسيادة هي في الأصل لمحمد ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام : « أنـا سيد ولـد آدم ولا فخر » ؛ وهي بـالتبعية للكـاملين من المتبعين أثـر أقدامـه الشريفة ، والمتحققين بالمقام المحمدي .

القِسْمُ الخَامِسُ

١ ـ إشَارَاتُ أنفَاسِ النُّور
٢ ـ الإشَارَاتُ الآدَمِيَّة
٣ ـ الإشَارَاتُ المُوسَوِيَّة
٤ ـ الإشَارَاتُ العيسَوِيَّة
٥ ـ الإشَارَاتُ الإبراهيميَّة
٦ ـ الإشَارَاتُ اليُوسُفِيَّة
٧ ـ الإشَارَاتُ المُحَمَّدِيَّة

= هذا القسم هو بمثابة امتحان ـ إن أمكن القول ـ يدخله السالك بعد أن حصّل كل العلوم السابقة . وهذا الامتحان يتوج بفوز السالك الذي يُطلب منه في النهاية أن يقف مكانه ولا يبرح .

I

مُنَاجَاةُ إِشَارَاتِ أَنفَاسِ النُّور وَهِيَ تمحِيصُ مُفتَرقَاتِ الأسْرَار

بسم الله الرحمن الرحيم (1)

قَالَ السَّالِكُ :

ثم قالَ لي : ما يقولُ(2) مَنْ(3) أنا في أنا ؟ قُلْت : وجودُ البُغْيَةِ والمُنى(4) ، والخَيْبَةِ والعَنَا .

قال : فما تقولُ في هُو وذلك ؟ قلت : كِلاهما(5) صِفَتَا السالك(6) ، غيبةٌ وحُضور ، وظلامٌ ونَوُر ، ومُخَدَّراتٌ وخُدُور .

قال : فما تقولُ في التِحَامِ الجسمانية(7)؟ قلت : نتيجةُ التحامِ الروحانية .

قال(8) : فما تقولُ في التوالُدِ والتناسل؟ قلت : أدِلَّةُ (9) التواصُلِ والتفاصل(10) .

قال : فما تقولُ في النشأةِ البرزخيَّة ؟ قلت : تلكَ الإلَهية ،

قال : فَهَلِ الاعادةُ أشرفُ منها ؟ قلت : لَا يَصِحّ(11) الاعادةُ فيها ولا(12) يُتَحَدَّثُ بذلك عنها ، إنّما ذلك في(13) برزخِ الحافِرة(١) ، المنصوب بين الدُّنيا والآخرة .

---

(١) الحافرة : العودة .

قال : يَصِحّ[14] العَوْدِيَّةُ على البدئية[٢] [15] ؟ قلت : لا يكونُ غير[16] ذلك في الحكمةِ العَدْلِيَّة .

قال : هل تَعْقِلُ على أوانِ إخراجِ الذَّرِّ من الظَّهْر[٣] ؟ قلت له : وكيفَ لا أعقِلُ وأنا أوَّلُ الشُّهُودِ في المَهْر .

قال : وهل[17] تعرفُ قَبْلَ ذلك ميثاقاً ثاني[٤] ؟ قلتُ له[18] : في[19] أوَّلِ وجودِ التَّداني[٥] .

قال : فَأَرَى ميثاقَيْنِ[٦] ، قلت : لا يكونُ غيرُ هَذَيْن .

---

(٢) نجد أصل هذا السؤال في قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف / ٢٩] . (٣) أوان اخراج الذر من الظهر واضح في آية الميثاق ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا : بَلَى ﴾ [الأعراف / ١٧٢] . (٤) أي هل تعرف ميثاقاً غير ميثاق الذر ؟ (٥) يشير ابن عربي هنا إلى ميثاق الانبياء وهو وارد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ . قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران / ٨١] . (٦) أي ميثاق الأنبياء وميثاق الذر .

II

الإشَارَاتُ الآدَمِيَّة

قَالَ السَّالِكُ :

ثم خاطَبني بلغةِ آدمَ عليهِ السلام ، وقالَ لي : أيُّها الغُلام ، مِنْ أينَ قالتِ الملائكةُ بالفَسادِ في حالِ شهودِها(٧) ، قُلت : مِنْ نَفْسِ وُجُودِها .

قال : فَلِمَ جَهِلَتِ[20] الأسماء(٨) ؟ قلت : لأنَّهُم ما بَرِحُوا في[21] السماء .

قال : فلم[22] وقعوا له ساجدين(٩) ؟ قلت : لتصحيح مبايعة[23] التعيين(١٠) .

قال : فَلِمَ أبى مَنْ أبى واسْتَكْبَر(١١) ؟ قلت : لِحجابِهِ[24] بالطِّينيَّةِ[25] عن النُّورِ الأزهر .

---

(٧) نجد أصل هذا السؤال في اعتراض الملائكة على آدم قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة / ٣٠] . (٨) اشارة الى عدم معرفة الملائكة للاسماء ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ [الله عزّ وجلّ] آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إن كُنتُم صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [البقرة / ٣١ ـ ٣٢] . (٩) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ [البقرة / ٣٤] . (١٠) اي أن السجود هو علامة مبايعة آدم عليه السلام على الخلافة . (١١) إشارة الى رفض ابليس السجود لادم ، قال تعالى : ﴿ إلاَّ إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾ [البقرة / ٣٤] .

قال[26] : لِمَ لَمْ يَكُنْ النَّجمُ[27] وكانَ[27] الشَّجَر(١٢) ؟ قلت : لوجودِ الخِلافِ الذي ظَهَر .

قال : أَلَمْ نُسْقِهِا[28] مِن ماءٍ[29] واحد ؟ قلت : بَلَى وَلَكِنْ فَضَّلَ بعضَها على بعض في الشَّاهِد[30] .

قال : فَلِمَ اقْتَحَمَ(١٣) النَّهي مع العِصْمة(١٤) ، قلت : لِظُهُورِ[31] هذه الحِكْمة(١٥) .

قال : فما سِرُّ ظُهُورِ[32] سوءاتِهما(١٦) ؟ قلتُ : مُعَايَنَةُ مَكْمَنَاتِ[33] غاياتِهِم .

قال : فَلِمَ طَفِقَا(١٧) يَخْصِفَان عليهما من وَرَقِ الجَنَّة(١٨) ، قلت : لِيَكُونَ[34] لهما عَنْ ملاحظةِ الأغيارِ جُنَّة .

قال : فما نَظِيرُهُما(١٩) في الوجود ؟ قلت : القَلَمُ واللوحُ[35] المَشْهود .

قال : فَلِمَ أفردَ آدمَ بالمعصيةِ دونَ أهله(٢٠) ؟ قلت : لأَنَّها بَعضٌ مِنْ كُلِّه .

قال : لِمَ[36] حَجَرَ النعيمَ(٢١) عليهما ؟ قلت : لِيُثْبِتَ عُبُودِيَّتَهما .

---

(١٢) اشارة الى أن الحَجْر وَقَعَ على آدم في الشجرة ، قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة /٣٥] . (١٣) اقتحم : أي آدم عليه السلام . (١٤) أي لماذا عصى آدم ربه وهو معصوم بعصمة الأنبياء . (١٥) أي لظهور عالم الحكمة ، وهو الأرض ، والخلافة فيها . (١٦) أي سوءات آدم وحواء ، وهنا الاشارة الى قوله تعالى : ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ [الأعراف / ٢٢] . (١٧) أي آدم وحواء عليهما السلام . (١٨) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف / ٢٢] . (١٩) نظيرهما : أي آدم وحواء عليهما السلام . (٢٠) اشارة الى إفراد آدم بالمعصية دون حواء في قوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه / ١٢١] . (٢١) يرى ابن عربي أن الجنة هي دار نعيم لا موقعا للحجر ، أي للأمر والنهي ، فيها ، لذلك كان وقوع الحجر فيها إشارة الى وقوع المعصية . راجع ، « المعجم الصوفي » ، للمحققة ، مادة « مقدمات التكوين » .

قال : لِمَ[37] أُضيفَ الزَّلَـلُ إلى الشيطان[٢٢] ، وَقَـد عَلِمَ أنَّهُ ليسَ لهُ [38] على ذلـك سُلطان ؟ قلت : لِجَعْلِكَ إيّـاهُ في الشـاهِـدِ[39] صِفَـةَ نَقْصٍ ودَليـلَ خُسْران .

قال[40] : لِمَ جَعَلَ بَعضَهُـمَا لبعضٍ[٢٣] عدواً في هـذه الدار[٢٤] ؟ قلت : لِيَسْتَغْنِيـا[41] بِتَأييـدِكَ فيصح منهمُ [42] الافتقـار ، وَيَتَفَرَّدَ[43] جـلالُـك بـالعـزيـزِ القَهّـار[44] .

قـال : لِمَ تـابَ[45] عليـه بِتَلَقِّيـهِ الكَلِمَـاتِ العَلِيّـة[٢٥] ؟ قلت : لأنَّـهُ تَلَقّـاهَا من حضرةِ الرُّبُوبيّـة .

قـال : لِمَ قَبِلَ قُـرْبَـانَ الابنِ[46] الـواحـدِ دونَ أخيـه[٢٦] ؟ قلتُ : لأنَّـك جَعَلْتَهُما [47] أصليَّ[48] بَنِيه ، وهما قَبْضَتان ، فلا بُـدَّ أنْ يَخْتَصَّ أحدُهُـما بالـرِّضى والآخرُ[49] بالخُسران .

قال : لِمَ كانَ الغُرَابُ له مُعَلِّـماً[٢٧] ؟ قلت : لأنَّـك ألبَسْتَهُ ثوباً مِنَ الليلِ مُظْلِماً ، فأعطاهُ العِلمَ[50] فعلاً وحالا ، فَكَسَاهُ[51] مِنْ ظلامِ القَبْرِ سِرْبالا .

قال : لِمَ أضافَ خَلْقَهُ لِيَدَيْه[٢٨] [52] ؟ قلت : لَمَّا لَمْ[53] يتقدمْ مثلُه عليه .

قال : لِمَ أتى ابليسُ ابنَ آدمَ من جميعِ جهاتِه إلا[54] مِنْ أعلاه ؟ ، قلت : لئلا يحترقَ بنورِ[55] تَنَزُّلِ [56] الأمرِ مِنْ مولاه .

---

(٢٢) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كانا فيهِ﴾ [البقرة / ٣٦] . (٢٣) بعضهما لبعض : أي الجنس البشري والشيطان . (٢٤) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [البقرة / ٣٦] . (٢٥) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة/ ٣٧] . (٢٦) اشارة الى قبول الحق عزَّ وجلَّ قربان هابيل دون أخيه قابيل . قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ [المائدة / ٢٧] . (٢٧) اشارة الى تعلم قابيل دفن الميت من الغراب ، قال تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللهُ غُراباً لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة / ٣١] .

(٢٨) أضاف الحق تعالى خلق آدم ليديه ، قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص / ٧٥] .

قال[57] : فَهلّا أتاهُ[58] مِن أسفلِهِ فيُغْويه ؟ قلت : إليه[59] يَدْعُوهُ فلا فائدةَ فيه .

قال : لِمَ تَمَكَّنَ ابليسُ مِنْ آدَمَ في دارِ الاتصال[٢٩] ؟ قلت : لأنّ في آدم جزأ من الصَّلْصَال .

قال : والحمإ المسنون ؟ قلت : اشارةُ سِرٍ بَرْزَخِيٍ بينَ الأعلى والدُّون .

قال : فلأيّ معنى قال : « لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال » وهو حقيقتُه[60] ؟ قلت : لامتزاجه ببَقِيَّةِ العناصرِ فاختلّت[61] عندَهُ طريقَتُه[62] .

قال : لِمَ جَمَعَ لهُ بَيْنَ لا تَجُوعُ[63] ولا تَعْرى ولا تظمأ[64] ولا تَضْحى[٣٠] [65] ، والترتيبُ على خِلافِ ذلك ، فما الحكمةُ أيُّها السَّالك ؟ قلت : الحرارةُ سَبَبُ الظَّما فلِذَلك قَرَنَهُ مع الضُّحى ، والجوعُ تَعْرِيَةُ باطِنِ[66] الحيوان[67] ، فلذلك قَرَنَهُ بتعريةِ ظاهرِ الأبدان .

قال : فلِمَ اجتُبِيَ قَبْلَ أنْ يُتَابَ عليه[٣١] ؟ قلت : سابِقَةُ قَدَمِهِ[68] سَبَقَتْ إليه .

قال : مِنْ أينَ صَحّ له[٣٢] أحسنُ تقويم[٣٣] [69] ؟ قلت : لأنّه على صُورَةِ القديم ،

قال : فلِمَ رُدَّ[٣٤] إلى أسفلِ سافلين[٣٥] ؟ قلت : اشارةٌ إلى الطين .

قال : فلِمَ استثني تَرَقِّيهُ[70] بالصَّلاح[٣٦] ؟ قلت : إشارة إلى صِفَةِ

---

(٢٩) دار الاتصال : أي الجنة . (٣٠) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ إنَّ لَكَ ألاّ تجوعَ فِيهَا [أي في الجنة] وَلاَ تَعْرَى وَأنَّكَ لاَ تَظْمأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى ﴾ [طه / ١١٨ ـ ١١٩] . (٣١) اشارة الى اجتباء آدم السابق لتوبته ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [طه / ١٢٢] . (٣٢) له : أي للانسان . (٣٣) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين / ٤] . (٣٤) رد : أي الانسان . (٣٥) إشارة الى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [التين / ٥] . (٣٦) أي لماذا استثنى الله الصالحين من الرد الى أسفل سافلين ؟ قال تعالى :

الأرواح ، الواهبةِ عِلّـةَ الصَّلْصَالِ القائمةِ بالأشباح .

قال : نِعْمَ ما بِهِ أجبت[71] ، قلت له : بِكَ تَكَلَّـمْتَ .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين / ٦] .

III

الإشَارَاتُ المُوسَوِيَّة

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ خاطَبَني بلُغَةِ موسى صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّم[72] ، وقال : ما يقولُ العبدُ المُسْتَسْلِم ، لِمَ[73] فُتِنَ قَوْمُ موسى من بَعْدِه(٣٧) ؟ قلت : ضيافةُ السَّيِّدِ لِعَبْدِه .

قال : لِمَ ظَهَرَ من قَبْضَةِ[74] الأثَرِ في العِجْلِ خُوار(٣٨) ؟ قلت : تَنْبيهٌ على أنَّ الحياةَ في سلوكِ[75] الآثار .

قال: لِمَ ضُرِبَ له مِيْقات(٣٩) ؟ قلت : لِيَعْلَمَ أنَّهُ تَحْتَ رِقِّ الأوقات ،

قال : لِمَ جاءَ العَدَدُ بالليلِ ولم يَجِيء بالنَّهارِ(٤٠) ؟ قلت : لاحتجابِكَ عن الابصار ، فجَعَلْتَهُ يَسلُكُ أربعينَ مقاماً من مُغَيَّباتِ الأسرار ، فَصَحَّ لهُ الاتصالُ عندَ[76] الاسحار ، وانتظَمَ بِها في شَمْلِ أُمَّةِ محمدٍ ﷺ الدّاعي من مَقامِ

---

(٣٧) هذه الفتنة نجد مصدرها في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ [طه / ٨٥] . (٣٨) هذا السؤال يجد مصدره في فعل السامري ، الذي قبض من أثر جبريل قبضة ورمى بها العجل المسوّى من الحلي فصار له خوار ، قال تعالى : ﴿ قَالَ [أي موسى عليه السلام] فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ . قَالَ [أي السامري] بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا به فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِن أَثَرِ الرَّسُولِ [أي جبريل] فَنَبَذْتُهَا [أي على العجل المسوّى من الحلي] وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه / ٩٥ ـ ٩٦] . (٣٩) اشارة الى قوله : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف / ١٤٢] . (٤٠) اشارة الى أنه تعالى ذكر الرقم بالليالي فقال تعالى « ثلاثين ليلة » و« أربعين ليلة » ، ولم يقل مثلاً ثلاثين يوماً أو ثلاثين نهاراً .

الأرواح ، في تخلُّقِهم بالأربعين صَبَاح[٤١] ، وهو ميقاتُ الوارثين ، فَشَرُفَ بذلكَ كليمُ رَبِّ العالَمين ، ولذلك كانَ منه مَعَ محمدٍ عليهما السلام في أمرِ الصَّلاة ما شَهَر[٤٢] ، لأنّه في أُمَّتِهِ فَطَلَب الرِّفْقَ بإخوتِه[77] كما ذَكَر ، وذلك لَمّا وَقَعَ هُنالِكَ في حَدْسِه ، أنّ محمداً ﷺ سيقول : « لا يُكْمِلُ عَبْدُ الايمانَ حتّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ[78] لِنَفْسِه »[٤٣] ، ألا تَراهُ ﷺ قَدْ قالَ في[79] موسى : لَوْ كَانَ حَيّاً ما وَسِعَهُ إلاّ أنْ[80] يَتْبَعَني[٤٤] . فَأَوْضَحَ لنا المَعْنى ، وبَيَّنَ[81] لَنا حقيقةً[82] أنّهُ مِنّا .

قال : لِمَ ضَرَبَ بعَصاهُ الحَجَرَ فَٱنْفَجر[٤٥] ، والبَحْرُ المُغْلَقَ فَانْفَلَق[٤٦] ؟ قلت : سِرُّ الحياةِ [83] في العَصا ، فلذلكَ انفجرَ الحَجَرُ ماءً ، وسِرُّ القَيُّومِيَّةِ فيها[84] ، فلذلك أَظْهَرَتْ في البَحْرِ يَبَسا[85] .

قال : فلِمَ خُلِعَتِ النَّعلان[٤٧][86] ؟ قلت : إشارةٌ لِزَوَالِ شَفْعِيَّةِ الانسان[87] .

قال : فلِمَ خُصَّ بالكَلام[٤٨] ؟ قلت : لِيَتَقرَّرَ في نَفْسِهِ نَيْلُ حَظِّهِ مِنْ ميراثِ مُحَمَّدٍ عليهِ السلام ، ولذلك كانَ في الواحِهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شيءٍ عُلِم ، في مقابلةِ جَوامِعِ الكَلِم .

---

(٤١) اشارة الى خلوة الأربعين عند الصوفية . (٤٢) المشهور من أمر موسى عليه السلام انه طلب من النبي أن يراجع ربه للتخفيف عن أمته في الصلاة ، وذلك يوم المعراج .

(٤٣) حديث: لا يكمل عبد الايمان ، راجع ، فهرس الأحاديث ، حديث رقم ٨ . (٤٤) حديث « لو كان موسى حياً . . » لم أجده فيما اطلعت عليه من دواوين الحديث .(٤٥) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ منه اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [الأعراف / ١٦٠] . (٤٦) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى موسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء / ٦٣] . (٤٧) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه / ١٢] . (٤٨) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء / ١٦٤] .

قال : فلِمَ سألَ الرؤيةَ وهُوَ يَعْجِزُ عن النَّظَرِ(٤٩) ؟ قلت : حَتّى لا يَبْقى له من الميراثِ أثر .

قال : فلِمَ أمرناه أنْ يكونَ من الشاكرين(٥٠) ؟ قلت : لِيَزِيدَه[88] في القُرْبِ والتَّمكين ، حتى يراكَ بعين مُحَمَّدٍ ﷺ ليلةَ إسرائه[89] في عِلّيِّين .

قالَ : فلِمَ ألقيناهُ في التّابوت(٥١) ؟ قلت : وهَلْ ظَهَرَتِ الحِكْمَةُ إلاّ بوجودِ النّاسوت ،

قال : فلِمَ [90] ألقيناهُ في اليَمّ ؟ قلت : إشارةٌ إلى العِلْم .

قال : وكيفَ يَصِحُّ اليَمُّ معَ العِلْم ؟ قلت : وَلَوْلاهُ ما صَحّ عِنْدَ ذوي الفَهْم .

قال : فلِمَ طَلَبَ العَوْن بأخيه(٥٢) ؟ قُلت : رحمةً بمُخاطَبيه ، لِئَلاّ يذهبوا عندَ مُشاهدةَ الكَلامِ مِنْ فيه ، إذْ مَنْ كَلَّمَكَ(٥٣) بِرَفْعِ الوَسائِط ، كيفَ يَحْمِلُ خِطَابَهُ كَثَائِفُ أو بَسائط[91] .

قال : فلِمَ قُلِبَتْ[92] العصا ثُعبان(٥٤) ؟ قلت : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾(٥٥) ﴿ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾(٥٦) .

---

(٤٩) نجد أصل
السؤال في قوله تعالى : ﴿ قالَ رَبِّ أرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إلى الجَبَلِ فإنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف / ١٤٣] . (٥٠) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ قالَ يَا مُوسَى إنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا ءاتَيْتُكَ وكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف / ١٤٤] .

(٥١) نجد أصل السؤال في وحي الله عزّ وجلّ لأم موسى أن تقذفه في اليم قال تعالى : ﴿ أنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ ﴾ [طه / ٣٩] . (٥٢) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسلهُ معي رِدءاً لي ﴾ [القصص / ٣٤] . ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾ [الشعراء / ١٣] . (٥٣) مَنْ كَلّمك : أي مَنْ كَلّم الله تعالى . (٥٤) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَى [موسى] عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء / ٣٢] ؛ الأعراف / ١٠٧] . ونلاحظ أن المؤلف هنا أسكن ثعباناً لضرورة السجع . (٥٥) سورة الشورى ، آية ٤٠ . (٥٦) سورة الرحمن ، آية ٦٠ .

قالَ : لِمَ[93] خافَ وهُوَ مَعَنا[94] في [95] حالِ التَّمْكينِ ؟ قلت[96] : لِقَـوْلِهِ إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين(٥٧) .

قال : لِمَ أَخْرَجَ يَـدَهُ مِنْ جَيْبِهِ بيضَـاءَ مِنْ غَيْرِ سُـوءٍ(٥٨) ؟ قلت : تَنْبيهٌ[97] للانسانِ أنَّـه عِنْدَ خُروجِهِ من غَيْبِهِ مِنَ العِلَلِ بَريء .

قـال : فَلِمَ قالَ سَنُعيدُها سيرَتَها الأولى(٥٩) ؟ قلت[98] : بُشْرى لِموسى بمقامِ الفَنا وَتَصْحيحِ اللِّـقا .

قال : فلِمَ أَلْقى الألْواحَ(٦٠) ؟ قلت : إذا فُتِحَ البابُ ما يُصْنَعُ بالمفتاح .

قال : فلِمَ[99] كانَتْ البقرةُ جَبَرُوتِيَّـة(٦١) ؟ قلت : لأنها سَرَحَتْ في[100] مروجِ الحَضْرَةِ البَرْزَخِيَّـة .

قال : وهَلِ الشرفُ إلا في الملكوتِ الأعلى ؟ قلت : جَمْعُ الـطَّرَفَيْنِ في حَقِّ الانسانِ أشدُّ وأعلى[101] .

قـال :- فلِمَ حيِيَ الميتُ[102] بِبَعْضِهـا(٦٢) ؟ قلت : إشـارةٌ إلى[103] شَـطْرِ الجنَّـةِ مِنْ جهةِ عَرْضِها .

قـال : فلِمَ كانت الحيـاةُ بالضَّـرْبِ ؟ قلت : حِجَابٌ عـلى القَلْبِ ، عن معايَنَةِ القُرْبِ .

---

(٥٧) اشارة الى قوله تعالى : ﴿قال [موسى] كلاَّ إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء / ٦٢] . (٥٨) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [النمل / ١٢] ؛ ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الشعراء / ٣٣ ؛ الأعراف / ١٠٨] . (٥٩) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ [طه / ٢١] .

(٦٠) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى [موسى] الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف / ١٥٠] . (٦١) هي البقرة المشار اليها في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة / ٦٧] . (٦٢) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ [أي القتيل] بِبَعْضِهَا [ببعض البقرة] كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى ﴾ [البقرة / ٧٣] .

قال : كيفَ استشاطَ غيظاً على أخيهِ وفي نُسْخَتِهِ الهُدى والرَّحمة(٦٣) (104) ؟
قلت : إنما أعطيتُها(105) إيَّاهُ بعدها سَكَتَ(106) عَنْهُ الغَضَبُ لطَلَبِ النِّعْمَة(107) .

(٦٣) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً . قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُم أَمْرَ رَبِّكُمْ . وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيهِ ﴾
[الأعراف / ١٥٠] .

VI

الإشَارَاتُ العِيسَوِيَّة[108]

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ خاطَبَنِي بِلُغَةِ رُوحِهِ(٦٤) ، وأَمَدَّنِي بفَيَضَانِ نُوحِه[109] ، وقالَ لِي : لِمَ كانَ عيسى كَمَثَلِ[110] آدمَ عليهما السلام(٦٥) ؟ قلتُ لأنَّ[111] الآخِرَ نظيرُ الأولِ في أكثرِ الأقسام .

قال : لِمَ لَمْ يَكُنْ لهُ(٦٦) والِد ؟ قلتُ : لأنه مِنْ أركانِ الدَّليلِ على المُفتَرِي الجَاحِد ،

قال : كيفَ قلتَ إنّه الأخرُ وبعدَهُ[112] محمدٌ[113] خاتمُ النَّبِيِّين ؟ قلت : تلكَ بَداءةُ[114] نشأةِ[115] السيادةِ على العالمين ، إذ قد كانَ[116] وآدمُ بين الماءِ والطين ، فلا مناسَبَةَ بينَ السَّيِّدِ والعبيد[117] إلا مِنْ حيثُ العِنَايَةُ[118] والوُجود .

قال[119] : لِمَ أُيِّدَ عيسى[120] بالروح(٦٧) ؟ قلت[121] : ما رَقَمَهُ قَلَمٌ في لوح ، فقُذِفَ[122] في الرَّحِمِ مِنْ غيرِ شَهْوة ، فلَمْ تكنْ[123] لَهُ عَنْ طرحِ الأكوانِ سَلْوَة .

---

(٦٤) روحه : روح الله . أي المسيح عليه السلام . (٦٥) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ إنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران / ٥٩] . (٦٦) له : لعيسى عليه السلام . (٦٧) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة / ٨٧ - ٢٥٣] .

قــال : فَمِنْ أينَ صَـدَرَ هــذا الـروح ؟ قلت : من حضـرةِ قُــدّوسٍ سُبُّوح[124] .

قال : فلِمَ تَكَلَّـمَ في المَهْد[٦٨] ؟ قلت : شاهدٌ ثانٍ على أهلِ الجَحْد .

قـال : وهَلْ تَقَـدَّمَ[125] قَبْلَهُ شاهِدٌ في العِلّـة ؟ قلت : هَـزُّ مريمَ جِـذْعَ النَخْلة[٦٩] .

---

(٦٨) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ [المائدة / ١١٠] . (٦٩) اشارة الى قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ﴾ [مريم / ٢٥] .

الإشَارَاتُ الإبْرَاهِيمِيَّة

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ خاطَبَني بِلُغَةِ خليلِهِ[٧٠] ، وقالَ عَلَيْكَ بحُسْنِ الجوابِ وَقيله ، إيهِ ما وُجُودُ الكوكَبِ [126] والقمرِ والشمس ؟ قلت : إطلاعه[127] على الرُّوحِ والعقلِ والنَّفس .

قال : فلِمَ[128] أثْبَتَ لَهُمُ[٧١] الرُّبُوبِيّة[٧٢] ؟ قلت : لَمّا لَحَظَ لهمُ القَهرَ على النشأةِ[129] التُّرابيّة .

قال : فلِمَ قالَ وَجَّهْتُ وجهي لِلّذي فَطَرَ السمواتِ والأرض[٧٣] ؟ قلت : لَمّا رَأى بعضهم يَفْضُل على بَعْضٍ .

قال : تُراهُ قَدْ[130] نَظَرَ في النُّجُوم فقالَ[131] إنّي سقيم[٧٤] ؟ قلت :

---

(٧٠) اي ابراهيم عليه السلام . (٧١) لهم : أي للكواكب والقمر والشمس . (٧٢) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ : هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً ، قَالَ : هَـذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ ، قَالَ : لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً ، قَالَ : هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ ، قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام / ٧٦ ـ ٨٧] . (٧٣) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي [ابراهيم] وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام / ٧٩] . (٧٤) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ فَنَظَرَ [ابراهيم] نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات / ٨٨ ـ ٨٩] .

إشارةً إلى حِكمةٍ عُلْوِيّـة صَدَرَت له من [132] اسمِهِ الحَكيم .

قال : لِمَ طَلَبَ رؤيةَ الإحياءِ مع ثُبـوتِ الإيمان[٧٥] ؟ قلت : لِيَجْمَـعَ بينَ العِلْمِ والعِيَان ، وفي مِثْلِ هذا قال الحسن[٧٦] ، وَقَدْ أَحْسَنَ :

ألا فـاسقِني خمراً وَقُـلْ لي هِيَ الخَمْـرُ ... ولا تَسْقِنِي سِرّاً إذا أمْكَـنَ الجَـهْـرُ
وَبُحْ باسْمِ مَنْ تَهْوَى ودَعْني من الكُنَى ... فـلا خَـيْرَ في اللـذاتِ مِنْ دُونِها سَتْرُ

قال : لِمَ دَلَّلْنَاهُ على أربعةٍ من الـطَيْرِ[٧٧] ؟ قلت : إشارةٌ للعناصرِ[133] لا غـير ،

قال : فَلِمَ [134] اتّـخَـذَ ابنَهُ قُـرْبَـاناً[٧٨] ؟ قلت : لِيَصِـحَّ كَـرَمُـهُ حقيقـةً وبُرْهاناً .

قال : ما قَصَدَ بذلك ؟ قلت : قِرَى[135] الواحدِ[٧٩] المَالك ، وذلـكَ أنّـه لَمـا نَزَلَتْ [136] إلى قَلْبِه[٨٠] ، تَعَيَّـنَتْ[137] عليه ضِيافَةُ رَبِّـه .

قال : فَهَـلاَّ أَضافَهُ[138] بِنَفْسِهِ دُونَه[٨١] ؟ قلت : لَمْ يَكُنْ له[139] فيهـا[٨٢] مُنازِعُون يُنازِعُونه .

قال : فَلِمَ كانَ الـوَحْي في المَنَام[٨٣] ؟ قلت : حتى[140] لا يكـونَ للحِسِّ بساحَتِهِ إلْمَام .

---

(٧٥) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة / ٢٦٠] . (٧٦) الحسن : هو الحسن بن هانىء ، أبو نواس . (٧٧) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَخُذْ [الخطاب لابراهيم] أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [البقرة / ٢٦٠] .

(٧٨) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا . . . . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات / ١٠٢ ـ ١٠٧] . (٧٩) قرى الواحد : ضيافة الله . (٨٠) قلبه : قلب ابراهيم عليه السلام . (٨١) دونه : دون ابنه . (٨٢) لم يكن له فيها : أي لم يكن للحق تعالى في نفس ابراهيم عليه السلام . (٨٣) اشارة الى أن وحي ابراهيم عليه

قال : فلِمَ ابْتَلَيْنَاهُ[٨٤] بالكلمات[٨٥] ، وقد تَلَقَّاها لِلتَّوْبِ صاحبُ السِّمات[٨٦] ؟ قلت لهُ : أَلَمْ يَقُلْ[141] إنّ الابتلاءَ أفضلُ الكرامات[142] .

قال : لِمَ أَمَرَ اسمعيلَ وابراهيمَ[143] بتطهيرِ البيتِ لِلطَّائفين[٨٧] ؟ قلت : ـ عنايةُ محمدٍ سَيِّدِ المُرْسَلين .

قال : لِمَ[144] لَمْ يَكُنْ[145] اسحاقُ دونَ غيرِهِ[٨٨] ؟ قلت : لَمّا لَمْ يَكُنْ محمدٌ عليه السلام في ظَهْرِهِ .

قال : فلِمَ دَعَا[٨٩] لِمَكّة بالبَرَكات[٩٠] ؟ قلت : إذا بُورِكَ في الأُمِّ[٩١] بُورِكَ في البَنَات .

قال : حينَ رَفَعَ ابراهيمُ القواعِدَ مِنَ البَيْتِ لِمَ دَعَا اسمعيلُ بالقَبُول[٩٢] ؟ قلت : أَظْهَرَ النَّقْصَ[146] لِيَصِحَّ كمالُ الخليل ، إذ الواجِبُ[147] على كُلِّ بَنِيه ، أنْ يَضَعَ[148] مِنْ قَدْرِهِ عِنْدَ قَدْرِ أبيه .

= السلام كان في المنام ، قال تعالى مخبراً عن ابراهيم عليه السلام . ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [الصافات / ١٠٢] . (٨٤) ابتليناه : ابتلى الحق تعالى ابراهيم عليه السلام . (٨٥) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة / ١٢٤] . (٨٦) صاحب السمات : هو آدم عليه السلام ؛ قال تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة / ٣٧] . (٨٧) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة / ١٢٥] . (٨٨) دون غيره : أي اسماعيل عليه السلام . (٨٩) دعا : أي ابراهيم عليه السلام . (٩٠) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة / ١٢٦] . (٩١) الأم : أي أم القرى ، مكة . (٩٢) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة / ١٢٧] .

VI

الإشَارَاتُ اليُوسُفِيَّة

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ خَاطَبَنِي بِلُغَةِ يُوسُفَ بنِ يعقوب ؟ قال[149] : ما يَقُول الفَطِنُ المُصيب ، لِمَ قَالَ النِّسْوَةُ ﴿ إن هذا الا ملك كريم ﴾[٩٣] ؟قلت: لاختصاصِهِ عموماً بأحْسَنِ تقويم ،

ثُمّ قال : لِمَ بِيعَ بثَمَنٍ بَخْس[٩٤] ؟ قلت[150] : ليَعْلَمَ أنّ الانسانَ مِنْ حيثُ هوَ صاحبٌ[151] نَقْص ، فإنْ غَلاَ ثَمَنُهُ وَعَلاَ ، فلِصِفَةٍ[152] زائدةٍ على ذاتِه خَصَّهُ بها المَلِكُ[153] الأعلى .

قال : لِمَ جَعَلَ الصُّوَاعَ[٩٥][154] حِجابا ، قلت : قَرَعَ بذلكَ الاتصالِ بالأحِبَّة[155] بَابًا .

---

(٩٣) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَ [أي النسوة] حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف / ٣١] . (٩٤) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ [أي يوسف عليه السلام] بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا [السيارة] فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف / ٢٠] . (٩٥) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ [يوسف / ٧٢] .

VII

الإِشَارَاتُ المُحَمَّدِيَّة

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمّ خاطَبَني بلُغَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وقالَ لِي : يا مَنْ طَلَبَ الطريقَ إليه ، لِيَرِثَ بِمَا كان في يَدَيْه ، ما تَقُولُ في الأُفُقِ المُبين ؟ قلت : مَحَلُّ كَشْفِ المُقَرَّبين .

قال : لِمَ كانَ التَّجلّي بالأُفُق(٩٦) ؟ قلت : تَنْبيهٌ[156] على عُلُوِّ الخُلُق .

قال : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾(٩٧) ، قلت : أسرارُ الاستواء[157] .

قال : وفي قِسْمَةِ الفاتحة(٩٨) ؟ قلت : العُبُودِيَّةُ الوَاضِحَة ،

قال : فلِمَ[158] اختُصَّتِ الرحمةُ بالثَّنا(٩٩) ؟ قلت : لِيَتَبَيَّنَ مَنْ أنتَ ومَنْ أنا .

قال : والمُلْكُ بالتَّمجيد(١٠٠)[159] ؟ قلت : لتصحيحِ[160] التَّوْحيد .

قال : فلِمَ وَقَعَ الشِرْكُ[161] في العِبادةِ والعَوْن(١٠١) ؟ قلت : لِتَمْييزِ القُدرة[162] مِن[163] عجزِ الكَوْن .

---

(٩٦) نجد أصل السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ ﴾ [التكوير / ٢٣] . (٩٧) أي لماذا كان محمد ﷺ لا ينطق عن الهوى . راجع ، سورة النجم ، آية ٣ . (٩٨) اشارة الى الحديث الشريف : قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي » ، راجع ، فهرس الأحاديث ، حديث رقم ٥ . (٩٩) اشارة الى حمد الرحمة الإلهية في قوله عز وجل في الفاتحة « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » . (١٠٠) اشارة الى قوله تعالى في الفاتحة « مالك يوم الدين » . (١٠١) اشارة الى قوله تعالى في الفاتحة : « إياك نعبد وإياك نستعين » .

قـال : لِمَ اختُصَّ العَبدُ بِنِصْفِهـا الثاني(١٠٢) ، قلت : لِيَصِـحَّ عليهـا اسمُ[164] المَثاني .

قال : قد ساوى موسى لمحمدٍ[165] في الفُرقـانِ(١٠٣) فكيفَ صَحّـت[166] له السِّـيادة (١٠٤) ؟ قلت : لاختصاصِهِ(١٠٥) بالقرآنِ والعبادة .

قال[167] : قَدْ شـارَكَهُ بـالعبادةِ[168] نـوحٌ وزَكَرِيّـا الـوَجِيه(١٠٦) ، قلت : الواحدُ عَبْدُ نِعْمةٍ والآخرُ عَبْدُ رُبُوبِيّـةٍ ومحمَّـدٌ عَبْدُ تَنْزِيه .

قـال : قد شـارَكَهُ يحيى في السيـادةِ الفاخِـرة(١٠٧) ، قلت : تلكَ السيادةُ الـظّاهرة ، وهـذا صَرَّحَ بهـا في الكِتابِ المُبِـين ، وأخْفَى فيـه(١٠٨) سيادةَ مُحَمَّـدٍ سَيِّـد الغـائبِـين[169] ، ثُمَّ صَرَّحَ بهـا[170] عـلى لسـانِـه في الشّـاهِــدين(١٠٩) ، فهذا(١١٠) سَيِّـدُ عُموم ، وهذا(١١١) سَيِّـدُ رُسُوم .

قَالَ السَّالِكُ :

ثُمَّ قِيلَ لي : قِفْ هُنا ولا تَبْرح ، وقَدْ[171] أُعطِيتَ[172] المِفتاحَ فَمَنْ[173]

---

(١٠٢) النصف الثاني من الفاتحة الذي اختص بالعبد هو حيث يطلب العابد الهداية من المعبود في قوله تعالى : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم . . ﴾ .

(١٠٣) محمد وموسى عليهما السلام أوتيا الفرقانَ بنصِّ القرآن . قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّـذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ [محمد] لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَـذِيراً ﴾ [الفرقان / ١] ؛ ﴿ وَإِذْ آتَيْنَـا مُوسَى الكِتَـابَ وَالفُرْقَـانَ لَعَلَّـكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة / ٥٣] . (١٠٤) صحت له السيادة : أي صحت السيادة لمحمد ﷺ على موسى عليه السلام . (١٠٥) لاختصاصه : أي لاختصاص محمد ﷺ على موسى عليه السلام . (١٠٦) ان نوحا وزكريا عليهما السلام شاركا محمداً ﷺ في صفة العبودية ؛ ولكن نوحا عليه السلام هو عبد نعمة لذلك كان شكوراً . قال تعالى ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّـه كانَ عبداً شَكُورا ﴾ [الاسراء /٣] ؛ وزكريا عليه السلام هو عبد ربوبية لقوله تعالى ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّـا ﴾ [مريم / ٢] . ومحمد ﷺ هو عبد تنزيه لقوله عزّ وجل : ﴿ سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المسجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقصى ﴾ [الإسراء / ١] . (١٠٧) يحيى عليه السلام سيداً بنص القرآن ، قال تعالى : ﴿ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً ﴾ [آل عمران / ٣٩] . (١٠٨) فيه : أي في الكتاب المبين ، وهو القرآن .

(١٠٩) اشارة الى الحديث الشريف : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ، راجع ، فهرس الأحاديث ، حديث رقم ١ . (١١٠) فهذا : أي محمد ﷺ . (١١١) وهذا : أي يحيى عليه السلام .

شاءَ فَلْيَفْتَح [174] ، والحمدُ للهِ على ما مَنَح ، وصَلَّ اللهُ[175] على مُحَمَّدٍ الأغرِّ الأَصْبَح[112] .

* * *

---

(١١٢) قال المؤلف : جميع ما في هذا الاسرا من النظم لي ، سوى أربع أبيات : بيتان في مناجاة الرياح ، وهما :

تسترت عن دهري بظل جناحه … فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت … وأين مكاني ما درين مكاني

والبيتان الآخران في الاشارات الابراهيمية ، وهما :

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر … ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر

وبح باسم من أهوى ودعني من الكنى … فلا خير في اللذات من دونها ستر

الفهارس

فهرس مقابلة نسخ المخطوطات
فهرس الأحاديث
ملحق نصوص لابن عربي

فهرس مقابلة نسخ المخطوطات

المقدّمة

(1) ورد في مقدمة «ب» : «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال العبد الفقير الى الله تعالى مسترق الحضرة الالهية ومملوك الحضرة الربانية ختم الله له بالحسنى» ؛ ورد في مقدمة «ج» : «بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الظالمين قال سيدنا وامامنا وقدوتنا الى الله سبحانه الشيخ الإمام العالم العارف المحقق الكبير وامام المحققين محيى الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي الاندلسي رضي الله عنه ونفعنا الله ببركته أمين» ؛ ورد في مقدمة «د» : «بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . قال سيدنا ومولانا وقدوتنا الى الله سبحانه الشيخ الإمام العارف العالم . المحقق الوارث الكامل سيد العارفين وقطب الزاهدين وامام المحققين محيى الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي ختم الله له بالحسنى» . (2) ب، د : النيرة . (3) ج : دليلاً . (4) ب : أولياً . (5) ج : يربوا . (6) ج : إجلال إجمال . (7) د : كماله . (8) ورد في هامش الأصل : كون . (9) ب، ج : المنزهة . (10) ج : سقط «رتق» . (11) في الأصل : «القدم» والتصحيح من الهامش . (12) في الأصل : «باللام لا بالباء» والتصحيح من الهامش ؛ ب ، د : باللام لا بالباء . (13) ب، د : هنالك . (14) ب : فسمى . (15) الأصل ، د : يَنْقَسِم . (16) د : تضيف «السميع العليم» . (17) ب ، ج : واستسلم . (18) ج : بذا . (19) ب : مقام . (20) د : واختصار ؛ ج : واختصاص . (21) ب : سقط «الكوني» . (22) ب : الأزلي . (23) ب : الكتاب . (24) ب : الأبواب . (25) ب : من . (26) ج : بالكشف . (27) ب : وهذه معارج . (28) ب : وسنن . (29) ب : لا معراج . (30) ب : رؤية . (31) د : توكلت .

***

القِسْمُ الأوّل

(1) ب ، ج ، د : المقدس . (2) ب : الاسلام . (3) ب ، د : اتبرّز . (4) د : العين . (5) ب : يومىء إلي بالالتفات . (6) ج : عاصم . (7) ب ، ج ، د : قلت . (8) ب : من عند رأس ؛ د : من عين رأس . (9) ب ، ج : قلت ؛ د : سقط « له » . (10) ب : أنا . (11) ب : مفقود . (12) د : أنا . (13) ج : فقلت . (14) ج : سقط « إلى » . (15) ج : أمر . (16) ج : فقال . (17) ب : سقط « في » . ؛ د : يرقى . (18) به ، د ، : يرقى ؛ ج : يراه . (19) ج ، د : تعلم . (20) في الأصل « يشاهده » وكتب فوقها « يناجيه » ، ولعلها الأصح ؛ ب : أشاهده . (21) د : عند (22) ب ، ج ، : بالمعاني . (23) ج : وأسرار .(24) ج :طالب .(25) ب : تقصده .(26) ب : ففيك السر أجمعه (27) ج ، د : ثلاث . (28) ب : سقط « الحجاب » . (29) د : « الأول » ، وفي الهامش : « الواحد » . (30) ب : الثاني . (31) ب : والثالث . (32) ب : سقط « الثاني » (33) ب ، ج ، د : اعتمد عليه . (34) ج : سقط « أهل » . (35) ب : البرزخ . (36) ب : فهل أوقفك ؛ د : أوقفك . (37) ج : المقام . (38) ب ، ج : لكني . (39)ب،ج: أمامي . (40) ب: إمامي . (41)د: يرامي ، (42)د: تضيف في الهامش«ولا يسمعه سوائي» .

(43) ب: قال قلت؛ ج ، د: قلت. (44) ج ،د: ترى. (45) ج ، د : الأنية . (46) ب : سقط «الامانة» . (47) ب : ودخولك في الطينية . (48) ب : وهناك . (49) ج : عنك . (50) د : سجد . (51) ب : وهو . (52) ب : الحقائق لشريفة . (53) ب : سقط « لما » . (54) ج : بسيطاً . (55) د : بمركب . (56) د : التجزى . (57) ب : ميراً . (58) د : يفارق . (59) ج : اليك اليها . (60) ج : البياب . (61) د : احرق . (62) ب : علة . (63) ج : مدة . (64) ج : « وقد أرشد

حين أنشد » ؛ د : سقط « فأنشد وقد أرشد » . (65) ب ، ج : فتبصره . (66) ج : صوبا . (67) ج : سر . (68) ب : الى . (69) ب : والثاء . (70) ج : سقط « ان » . (71) ب ، ج ، د : ثقل . (72) د : المعلى . (73) ب ، ج : إليّ . (74) د : يغنيك . (75) ب ، د : قال . (76) د : ما الصادر . (77) ب : شاءه . (78) و(79) ب : الحلة . (80) ج : ذا الفلك . (81) ب : الصورة (82) ب : عابر ؛ ج ، د : غائر . (83) د : شأنه . (84) ب : يصرف . (85) ب : في ؛ د : عن . (86) ب : ذا القمر ؛ ج : بالقمر . (87) د : عليه . (88) د : الناظر . (89) ب : ري ؛ ج : زبو . (90) في الأصل صححت « فساد » بكلمة « فينا » ب : فساد حجل طاهر (؟) ؛ ج ، د : فساد . (91) ب : اين الى أين . (92) ج : العين . (93) ب ، د : هذا البيت ساقط . (94) ب : استبق . (95) ج : واحتجبت .(96) ب ، د :الاخلاص .(97) د : حلاً .(98) الأصل : الأمن .(99) ب ، ج ، د : طست .

(100) د : في موارد . (101) ج ، د : والايمان والتفريد . (102) ج : نضاح . (103) ب : درن . (104) د : بخلقة . (105) د : سقط « من » ، « صفات » . (106) ج : أوتيت . (107) ج : سقط « ميراث » . (108) ج : سقط « ويعمى » . (109) ب ، د : أتيت . (110) ب ؛ سقط « فان » . (111) د : أشرقت . (112) ب ، د : ارتحلت . (113) ب ، ج : فاستمعت . (114) ب : بالدال (115) د : الضاد . (116) ب : وأنت . (117) ب : بناة . (118) ب : وقلت ؛ ج ، د : وقمت (119) ب ، ج ، د : وهو البحر . (120) ج : و سرفت . (121) ب : للوارثين . (122) ب: ارحلها (123) د : سكان .

(124) ب : فراها ؛ د : قرائها . (125) ب : صوراتها . (126) « ب» بعد «المواقف» تورد : « لفظتها المعارف ، ثقتها » ؛ ج : يقينها . (127) ب : مرساها . (128) ج : جبالها . (129) ب : مجازف . (130) د : الألباب . (131) ب ، ج : رئيسها . (132) ب : مقدمه . (133) «ب» تورد بدلاً عن « بحريوها الانفال ، انكيليتها » : « سحر لوها الأفعال انكلها » ، وتضع في الهامش : « كذا » . (134) د : الأنكال . (135) ب : بحارها . (136) ب : وسفنها . (137) د : التقدس . (138) د : بحره . (139) د : مجريها ومريسها . (140) ج : الجهاد . (141) ج : المجاهدة . (142) ب : فهي . (143) ب : وحال . (144) ب ، ج ، د : حسن . (145) ب : يراه . (146) ب ، ج : سقط «لي». (147) د : حتى فارقت المال .

* * *

القِسْمُ الثَّاني

(1) ب ، د : سقط « بسم الله الرحمن الرحيم » . (2) ب : لي (3) ب : الغرب . (4) ب : مطرف . (5) د : يعتمد . (6) د : سقط « لي » . (7) ب : هنـاك . (8) ب : فهبطت كمنتشط . (9) د : أعيـا . (10) ج : واستنزلت . (11) ب : شيخـاً . (12) ب : وقـال . (13) ج ، د : سقط «لـه» (14) ج ، د: فقـال . (15) ب : فانك ؛ د : أنت . (16) ج : عني . (17) ج : فقلت ؛ د : سقط « له » . (18) ب : اتخذنا . (19) ج ، د : سقط « اله » . (20) ب ، د : يا سيدي . (21) ج : قالت . (22) د : وجعل على ما كان . (23) ب : مني . (24) ب : اميرا . (25) ب : من الزمان ؛ ج ، د : الآن . (26) د : وصيّرني (27) ب : نوح ورفع . (28) ج : لاني .(29) ج : أوجدتك لك . (30) ب : وأنا . (31) د : أنشدني . (32) د : معشوقاً ترى . (33) ج : يبس ؛ د : ييّس . (34) ب : خناساً من . (35) ب ، ج : تضيف « لي » . (36) ب : عين . (37) ج . د : سقط « بسم الله الرحمن الرحيم » . (38) ب : الصور . (39) ج : سقط « ذاتي » . (40) ب : غمر به ؛ د : عمّرت . (41) ب : هيآته وسجاياه ؛ ج ، د : سجاياه . (42) ج ، د : أيها . (43) د : وأنا (44) ج : سقط « بي » . (45) د : سمائه ، والأصح أن يقال « سماءه » باعتبار « فتق » فعلاً أو « سمائه » باعتبار « فتق » مصدراً ، ويجوز أن تكون « سماؤه » باعتبار الفعل « فتق » مبنياً للمجهول . (46) ج : عهده (47) ب : وقال لي ؛ ج ، د : قال لي . (48) ج : يسلك . (49) د : كتابته . (50) ج : أيها . (51) د : فربك المعلى . (52) ب : واكتب . (53) ب : يستأمن . (54) ب ، ج : المطلب . (55) ب : سقط « سيدنا محمد » . (56) ج : تورد بدل « الكريم » عبارة « وآله الكـرام » . (57) ب : روح سيد الأرواح . (58) د : يوحي . (59) د : سقط « وأكمـل » . (60) د : الصحيح . (61) ب : عاهده . (62) ج : سقط « على » . (63) د : وفائه . (64) ب :

انتفاضه . (65) ب : توزع . (66) ج : ولاية ؛ د : ولايته . (67) ب : وطلبنا له . (68) ج : سقط « الله » . (69) ج : صميدعا . (70) ب : سقط « وعزيزاً ممّنعا » . (71) ب : وقصدناه . (72) ب : يتحفكم . (73) ب : ويؤيدكم . (74) ب : « باجرأسهم » ، وتضع في الحاشية رقم ١ : لعله « باجزل » . (75) ب : يكلم . (76) ب : ووادعناه . (77) ب : بناتكم . (78) د: تضاعف . (79) ب : تكونوا كمن ؛ ج : كمن . (80) د : فعرفناهم . (81) ب : بالأهضاب . (82) ب ، ج ، د : فدمرناهم . (83) د : بلائها . (84) د : تستنبطوا (85) ب : خلت . (86) د : لات . (87) ب : وهو . (88) ب ، د : المتوكلون . (89) ب : سقط « محمد » . (90) ج : سقط « وصلى الله على محمد خاتم النبيين » . (91) ب : مملكته ؛ د : ملائكة . (92) ب : عدني . (93) ج : تضيف « به » (94) ب : يوازنك . (95) ج : فان . (96) ب : لكمال الجمال .

(97 ب : الاجلال . (98) د : لاحتراق . (99) ب : وسلك . (100) ب : أمتها . (101) ب ، ج ، د : اربابها . (102) ب : فسألته . (103) ب : دخلت . (104) ب : واسبلت دوننا ، ج : وأرسلت دوننا ؛ د : دوننا . (105) د : سقط « سترها » . (106) د : أسماء . (107) ب : سقط « الأسنى » . (108) ب : سر . (109) ب : لستور . (110) د : نيقه . (111) ب : واقتران . (112) ب ، ج ، د : اقترن . (113) ج : واتصاف ؛ د : وانصاف . (114) ب : تقدم الصلاة على الحمد فيرد : « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ، والحمد لله رب العالمين » ؛ د : خاتم النبيين . (115) ج : عرس . (116) د : أنا . (117) د : سقط « قال السالك » . (118) ج : الغريب الغريب والظريف الظريف ؛ د : الغريب الغريب والظريف الطريف . (119) ب : بالطالب . (120) ب : نجدتها . (121) ج : لي . (122) ب : وحال البناء ؛ ج : البناء . (123) ج : أو بعل . (124) د : وكاد . (125) د : نقمته . (126) ب : الزهر ؛ ج : له زهر . (127) ج ، د : لماضيات . (128) ج : مطارفها تاليدها ؛ د : مطارفها ومطاليدها . (129) ب ، ج ، د : فلم يحضر . (130) ج : شمسها ؛ د : شمس .(131) ج : سقط « لا يبصر شيئاً خارجاً عن ملكه » . (132) ب : فرؤيته جلاء ؛ د : فرواوته ؟ (133) ب : عماء . (134) ب : لها ؛ ج : له . (135) ب : تضيف « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . (136) ب ، ج ، د : لي . (137) « لي » أضيفت من « ب » . (138) ب : الاعصام . (139) ب : والسيد ؛ ج ، د : الطيب . (140) ب : السر . (141) ج : تايقاً . (142) ب : يحفل بنور ؛ د : بيوتاً . (143) ب : النعل والعرش . (144) ج : يانعاً . (145) ب : لجان . (146) ب : الوهم واللبس ؛ د : الجن والأنس . (147) ب : وخضت . (148) د : واياك . (149) د : يا نفس

نفسي . (150) ج : وقالت . (151) ج : وذللت . (152) ب : واسرت . (153) ج : سقط « معالم » . (154) ب : أراد . (155) ب : استددته . (156) د : تورد في الهامش : « وفيه سر روحانية هارون عليه السلام » . (157) ب : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . (158) ج : استفتح . (159) ب ، ج ، د : اعترضني . (160) ب ، ج : ورفع عني حجابها . (161) ب ، ج ، د : فقطع . (162) ج : قدوة . (163) د : ولولاه . (164) ب : شاءت . (165) ب : تجريد . (166) د : وأنا . (167) ب : الى . (168) ج : بهاء . (169) ج ، د : الشديد . (170) ب : لحاجة . (171) ب : وأوقفني . (172) ب : على . (173) ب : سقط « بي » . (174) «ب» و«د» : تضيفان البيت التالي :

هذي اليمينُ قد امتدّت لبَيْعَتِها　　　فيا أئمةَ هَدْيِ الله فاستلموا

(175) ج : أقوها ؟ (176) د : فال . (177) د : المتبع . (178) ج : علموا . (179) ب : سقط « سر » . (180) ب : أتاني . (181) ج : اليه . (182) ب : سقط « إليه » . (183) ج : أوضح . (184) ب : فقال . (185) د : سقط « مع » .

(186) ب : معرب ؛ د : مشرق . (187) ب : نعته . (188) د : العارف كلامه مشرق وبعثه بالمغرب والمشرق مغرب وبعثه بالمغرب . (189) ج : بالمشرق والمغرب . (190) ب : الأسرار . (191) ب : معمور وبشاهد ؛ ج : وشاهد . (192) ب : أسماؤه ؛ د : أسمائه . (193) ب : سماؤه ؛ د : سمائه . (194) ب : استوى . (195) ب : عرش . (196) ج : تضيف « ان » (197) د : العبودية . (198) ب : رسمه . (199) ج : بحر المنة . (200) د : ذلك الحائط . (201) ب : فلا . (202) ب : سقط « وسل » . (203) ب : لا . (204) د : للكون . (205) ج : فطالما . (206) ب : والزم . (207) ج : وأجيزك . (208) ب : أووعت ؟ (209) د : المكمل . (210) ب : بها . (211) ج : الغار . (212) ج : ويشاء . (213) ب : أوجد الأكوان في سبح . (214) ج : مجموعها . (215) ج : أرض وبدر . (216) ب : على . (217) ب : وأبصر . (218) د : أو . (219) ب : عن . (220) ب : « انية » ، يقول الناشر في الهامش : لعله « روحانية » . (221) د : الاسراء . (222) د : تورد في الهامش « وفيه سر روحانية ابراهيم عليه السلام » . (223) ب : تضيف « علي » . (224) ب : يا أبا . (225) ب : أمن ؛ ج : سقط « أمر » ؛ د : من . (226) ج : شروطي . (227) ب : فقلت . (228) د : في كيوان . (229) ج : تضيف « منها » . (230) ج : تضيف « له » . (231) الأصل : يمينه . والتصحيح من بقية النسخ : ب ، ج ، د . (232) د : تفحصت . (233) ب : أعلامه . (234) ب : على صاحب كل ؛ ج ، د : على كل صاحب . (235) ب : محمدي الاجتبا .

(236) ج ، د : سقط « به » . (237) ج ، د : تجتمع . (238) ج : أوهم . (239) ب : جنة . (240) ب : بغيره ؛ د : سقط « لغيره » . (241) ج : بعدم . (242) د : في الهامش « حضرة الكرسي » (243) ج : فاستمسك . (244) ب : فامتحن . (245) ب : موجودهم . (246) ج ، د : يكون . (247) ب : تضيف « سلام » . (248) ب : وعالم . (249) ب : وآه . (250) ج : صدري . (251) ج : يدي . (252) ج : على . (253) ب : الخفد ؛ ج : البلد . (254) الأصل ، ج ، د : فقلت . ولقد رجحنا قراءة « ب » لاعتبارات لغوية من جهة وللمحافظة على الصورة الفنية التي تمثل قيام الشاعر بين الطي والنشر . (255) ب : الصف ؛ ج : الضيق . (256) د : سقط « لي » . (257) ج : سقط « بهـذا » ؛ د : بهـذه . (258) ب ، د : قلت . (259) ب : المحبـة . (260) ب : وسـري ؛ د : بسـرك . (261) ب : فعنكم . (262) ب : سقط « أو » . (263) د : تضيف « أنت من » . (264) يورد الشارح ابن سودكين في هامش الأصل ؛ « تزداد » . (265) الأصل : تحتجب ؛ والتصحيح في هامش الأصل ومن النسخ ب ، ج ، د . (266) الأصل : تحتجب ، والتصحيح من هامش الأصل ومن النسخ ب ، ج ، د. (267) ب : تورد البيتين الأخيرين قبل البيتين الأولين ؛ د : تسقط البيتين الأخيرين . (268) ج ، د : تضيف ان « قد » . (269) د : سقط « حبيب » (270) ب : المومى ؟ (271) ج : مثل . (272) ب :اجعل . (273) ب : فرجع ؛ د : ففرح . (274) د : للرسول .

***

القِسْمُ الثَالِث

(1) د : هذه . (2) ب : كما يشاهد ؛ ج : حتى تشاهدا . (3) د : شاهدت . (4) ب : سقط « على » (5) ب : ولا رمز . (6) ج : ورد « فإذا » بدلاً عن « فإنه إذا » . (7) ج : هناك . (8) ج : لا . (9) د : التراقي . (10) ج : تضيف « العظيم » . (11) ب : يعرف به . (12) ب : تضيف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما » . (13) ب : سقط « به » . (14) الأصل : « الرضى » ، والتصحيح من النسخ ب ، ج ، د ؛ وقد أثبتنا « الوصى » لا لإنسجامها مع السجع المعتمد في هذه الرسالة . (15) د : شخصاً . (16) ج : فسلم . (17) ب : مقتضى . (18) ب : قيل . (19) ج : سقط « ان » . (20) د : وردته . (21) د : فقلت . (22) ج : ليس . (23) ب : عند ؛ ج : غدا . (24) ب : يهدي ؛ د : تهد . (25) ب : عند ؛ ج : غد ؛ د : غدا . (26) ب : تعدى ؛ ج : تغدى ؛ د : نغدى اليك . (27) ج ، د : فقلت . (28) د : يا سيدي . (29) د : سقط « يعرف » . (30) ج : أربعة . (31) ب : تجري . (32) ب ، ج ، د : البركات . (33) د : احتكمته . (34) ج : سقط « الشك » . (35) ج : سقط « وسدد أقوالك ، فإنها عند المناجاة أقوى لك » . (36) ب : يعر . (37) ج : سقط « فاه » . (38) ج : الحكيم العليم ؛ د : سقط « الحكيم » . (39) د : سقط « رسل » . (40) ج : واعطف . (41) الأصل : نعاليك ، والتصحيح من « ج » . (42) د : أحسن . (43) ب : المدنية . (44) د : السر . (45) ب : أخل . (46) ب : العلم . (47) ب : مع ما . (48) ب : والأمهات . (49) ب : المدنية . (50) ج : النون . (51) ب : لمن (52) د : ولا . (53) د : سقط « ولم كان ذلك » . (54) ج : الحوت . (55) ج : برداء . (56) ب : الآمتين . (57) د : زوج . (58) د : تحرق . (59) ب : اجعل . (60) ب : اهدم . (61) ب : مجاب . (62) ب : سقط « الصواع » . (63) ب : تعطلها . (64) ج :

تتميز . (65) د : تبصره . (66) ب : اذا . (67) ج : « تكون » ، وقد سقط من هذه النسخة العبارة التالية : « نعم الحدث ، وار العزيز الجدث ، اعرف قدر » . (68) ب : الحدث ؛ د : بالجدث . (69) ب : ودارك بالتسبيح التكثير » وصحح في الهامش « بالشيخ الكبير » . (70) ب ، ج ، د : واترك . (71) ج : ومهسدها (72) ب : واخفض . (73) ب : حاجباك . (74) ب : ابتغ . (75) ب : الحلة ؛ د : الجلية . (76) ج ، د : أثرهما . (77) د : اليهما . (78) ج ، د : سقط « منهم » . (79) ج ، د : نام . (80) ج : سند . (81) د : وانقطع . (82) ب : يكتمك . (83) ب : سقط « ما » . (84) ج : ظهر . (85) ب ، د : الفلوح . (86) ب : سقط « من » . (87) ب ، ج : تظهر . (88) ب : تنبعث . (89) ب : الأصوات . (90) ج : في . (91) ج ، د : يوجد . (92) ب ، ج : يلتفت . (93) ب : تعجز عن البنية ؛ ج : تعجز . (94) د : والبرهان . (95) ب : أوجبت . (96) ج : سقط « واتركهم بين مهب الشمال والصبا » . (97) ج : يشغلنك . (98) ب : أو امسح . (99) ب : اليها . (100) ب : ما دام ؛ ج : ما نال . (101) ج : ترفع . (102) ج : سقط « في حالتي الايمان والكفران » . (103) ب : وان كان ذاك . (104) ج : سقط « لا تقدم اسمك . . . هناك » . (105) ب : المشرع . (106) د : ولا . (107) ب : ترغبين ؛ ج : تقرب . (108) ب : القبض . (109) ب ، د : يأتيك . (110) ج : عند . (111) ب : يحجبك . (112) د : الناس . (113) ب : فكشفنا . (114) د : من . (115) ب : رداءً . (116) ب ، ج ، د : الرده . (117) ج : سقط « فإنه لا بد من اللقا » . (118) ب ، ج : الحال . (119) ب : الفسوق . (120) ب : ظهر . (121) ب : فتح . (122) ج : تطرب . (123) ب : لا بد . (124) ب : علمت . (125) د : لقومك . (126) د : فوق . (127) ب : ملقى . (128) د : أسد . (129) د : أوضح . (130) ب : عليك بالنوم . (131) ب : فتحد على . (132) الأصل : تصيرك ؛ ب : تصير ، والتصحيح من « ج » . (133) ب : واترك . (134) ب ، ج : إلى ما . (135) ب ، د : الكواكب . (136) ب ، ج ، د : حلت . (137) ب : رفعك . (138) ج : بدا لي . (139) ب : طاف . (140) د : الحق . (141) د : عدم . (142) ب : لو كان قدر فيا . (143) ج : توخر هذا البيت عن البيت التالي . (144) ب : ففقد . (145) د : ملكت . (146) د : النهاية . (147) ب : ما على . (148) ج ، د : غير عاشقها . (149) د : يا رجلا . (150) ب : طلبوها ؛ ج : غيرنا طلبوا . (151) ج : سانح في العلا . ز(152) ب ، ج ، د : وجدا بنا يرتمي . (153) ب : تنتمي . (154) ب : حمل . (155) ب : لم يزل ولا يزال ؛ ج : لم تزل ولا تزال ؛ د : هذا الشطر ساقط . (156) ب ، ج ، د . : تضيف بيتين من الشعر هما : يا اله الخلق يا أملي

// وسميري في دجى الظلم . جد على صب حليف ضنى // يا كثير الفضل (ب : الجود) والنعم . (157) ج : للمستوى . (158) ب : في القدم . (159) ب : السر ؛ ج : ستر الستر . (160) د : فظهر . (161) ج : سقط « ومفارقة ذاك المكان المنيع » . (162) ب : وسرى . (163) ب ، ج ، د : محك . (164) ب : الغير . (165) د : ان . (166) ج : إلا . (167) ب : بلسان . (168) د : وأكثر . (169) د : جنابه . (170) د : لسانه . (171) د : وانتهى . (172) د : السماع . (173) د : الأسرار . (174) ب : لكم . (175) ب : تضيف « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . (176) د : تضيف « كالبرق الخاطف » . (177) ب : فإذا هي مسائة رفرف . (178) ب : شجى . (179) ب : كواكب . (180) ب : الخبا . (181) ب : ضجت على أرضنا . (182) ب : الطريق . (183) ب ، ج : من سما . (184) ب : بحقيقة . (185) ج : بدا . (186) ب : نراه . (187) ج : غيره . (188) ب : للبقا . (189) ج ، د : ترجوه . (190) ب ، ج ، د : أديب . (191) د : تلقاه . (192) د : الرياسة . (193) ب ، ج ، د : متحل . (194) ج : حاو . (195) ب: وارتدا . (196) ب : يفق بالغير . (197) ج : بالحق بالحق ؛ د : بالحق للحق . (198) ب : والقنا . (199) ب : واحد . (200) ب : زهى . (201) ب : بالعلم . (202) ب ؛ فيسري . (203) ب ، د : القبض . (204) ب : مهابة . (205) د : سقط « من » .

* * *

القِسْمُ الرّابِع

(1) ب : تضيف « وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين » . (2) ب ، ج : بالسلام . (3) ب : تضيف « فيه » ؛ ج ، د : تضيفان « به » . (4) د : تضيف « في » . (5) ب : فلما لقيت قيل لي : سلم . (6) د : لك . (7) ب : كما . (8) ج : جوت ؛ د : جثوت . (9) د : لهم . (10) ج : تجب . (11) ج ، د : الحضرة . (12) ب ، ج ، د : وتخلقوا . (13) د : البرهان . (14) ب، ج ، د : الفرقان . (15) ب : سماع . (16) ب : وسمالهم ؛ ج : وسمى لها . (17) ج : جسم ، وفي الهامش : نفس . (18) ب : مالوا . (19) ج : الكليم . (20) ج : سجدوا . (21) ب : لديهم . (22) د : متخلل . (23) ب : حضرة . (24) به ، د : مسيرهم . (25) ب : اخروا عن . (26) د : سقط « جل » . (27) ب ، ج ، د : اهتداء . (28) ب : للتتميم ؛ د : لتمام . (29) د : وينابع . (30) ج : ولحظت . (31) ب ، ج : فنظرت . (32) د : أسوة . (33) د : أسوة . (34) ب : الأنبياء . (35) ج ، د : فطلبت . (36) د : على . (37) ب : وتكشف ؛ د : وينكشف . (38) ب : على . (39) ب : تشاهدها . (40) ج : لما . (41) د : تعرج . (42) ج : من . (43) ب : « في الصور » وسقط « الروح » . (44) د : فأظهرت . (45) ب : فالحقني . (46) ب : وطلبت . (47) ب : عن الامام . (48) ب : سقط « لي » . (49) ب : ما جرى . (50) ب : فأخذ بلحية . (51) ج : ورأيت . (52) ج : الرفرف . (53) د : سقط « لي » . (54) ب : المكلم . (55) ج : ولو . (56) ج : سقط « له » . (57) ب : تضيف « السماء » . (58) د : وهلك . (59) ب : تضيف « لي » . (60) ب ، ج : قراءة . (61) ب : ووصل . (62) ج : المنتهى . (63) ب : وله . (64) ج ، د : اطني . (65) ب : تحدحد . (66) ب : فانني . (67) د : المتكلم . (68) ب ، د : يحمل ؛ ج : تحمل . (69) ب : لا . (70) ج : تسعني . (71) ب :

تضيف « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما » . (72) ب ، ج ، د : فطرت . (73) د : ثم قال . (74) ب : وان جرت . (75) د : سقط « أمرك » . (76) د : سقط « أريد أن » . (77) ب : ان نخصك بحضرة ؛ د : أخصك . (78) ج : جوهر (79) ب : ودروه الاسنا . (80) ب : « كمناجاة » سقط « للامام » . (81) ب : المنهج . (82) د : فعزلنا . (83) ب : نسبة . (84) ب : نبا . (85) ج : تفرغ . (86) ب : بينهما . (87) ب : انضمام . (88) د : سلك . (89) د : سقط « له » . (90) ب : ولقد يرى . (91) ب : سواء .

(92) ب : الترجمان بلسان الرحمن . (93) ج : عن . (94) ب : وسلوك الملوك . (95) د : واجلى . (96) د : وحد . (97) د : على . (98) د : تحصناً . (99) ج : بك به . (100) د : سقط « لك » . (101) د : كالقلب مع الجسم . (102) ج : بحضرة . (103) د : سقط « الله إلا وحياً أو من وراء حجاب » . (104) ج ، د : وسبل . (105) ج ، د : وتحلى وتجلى . (106) ب : ونهاية . (107) د : وعرش . (108) ب ، ج ، د : الحقيقية . (109) ج : يا مولاي . (110) د : فبصرك اليوم . (111) د : تورد قبل قال السالك : « بسم الله الرحمن الرحيم » . (112) ب : عنان . (113) د : سقط « الترجمان » . (114) ج : والكنوز . (115) ب : ألانظر . (116) د : وفرعها . (117) د : استغنائنا . (118) ب : الطرق ؛ د : للطريقة . (119) ب ، ج ، د : فما . (120) ج : اكتمل . (121) ب : المحاظرة . (122) ب ، ج : لي ؛ سقط « في » . (123) ج : الهمام ، د : والهمم . (124) د : يديه . (125) د : يوحي . (126) ب : تضيف « وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » . (127) في الأصل : الله ، والتصحيح من حاشية الأصل ومن النسخ : ب ، ج ، د . (128) ب ، د : التحميد . (129) د : مسطوراً . (130) ب : تضيف « لي » ؛ وهذه النسخة « ب » تضيف « لي » بعد كل كلمة « فلاح » سترد في هذا الفصل . (131) د : سقط « ثم رفعت حجاب الأنوار ، فلاح توحيد الأسرار » . (132) ب : النسبة ، ج ، د : النسية . (133) ب : الاعلام . (134) ب : الاسباب . (135) ب ، ج ، د : الاختيار . (136) ج : الاستمتاع . (137) ب : الثناء . (138) ج : سقط « ثم رفعت حجاب المنة ، فلاح توحيد المنة » . (139) ب ، ج : خذ العفو . (140) د : تضيف « حجاب » . (141) د : الاخلاص . (142) د : السلام . (143) ب : سقط « ثم رفعت حجاب السلم ، فلاح توحيد العلم » . (144) ب : قلت ما بينهما ؛ ج : قلت بينهما ؛ د : قلت له ما بينهما . (145) ج : تضيف « لي » ؛ د : سقط « قال » . (146) ب : تضيف « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا » . (147) ب : الدقائق واللطائف . (148) د : الحان . (149) ج : سقط « كل » . (150) ب :

فسترتني . (151) ج : سقط « النسور » . (152) ب : سقط « الحاكم » . (153) ج : أهلي . (154) د : يرانيا . (155) د : سقط « الأيام » . (156) ب : مكان . (157) د : مكانيا . (158) ب : تنصد . (159) ب : قال . (160) ب : وتدمره . (161) ب : ولا . (162) ب، ج، د: الحكيم . (163) ب : فتتعلق . (164) ج : سلت . (165) ب : أو سقط . (166) ب : يتنشدون . (167) ب : لقد رماني . (168) ب : الحب والكلف ، ج : الحب وقولهم . ان عبارة « الحب وسهم » تشكل إن بقيت في الشطر الأول خللاً في الوزن لذلك نرى رفعها من الشعر ولعلها قد أضيفت من النسّاخ للتوضيح . (169) ب : يتعلق ؛ د : تعلق . (170) ب : بطلت . (171) ب : الوحي . (172) ب : فأنزلناه أسرح . (173) ج : وجعلنا . (174) ب : بينه وبينها . (175) د : ينقطع . (176) ب : باعناق . (177) د : الركاب . (178) ب : يتهيئون . (179) ب : أحد منهم . (180) ج : يقول . (181) ب : ينتظرون .

(182) ج : فلا . (183) د : سقط « فيها » . (184) د : يتكلمون . (185) ب ، ج ، د : هم الظالمون . (186) ب ، د : تضيفان « السالك » . (187) ب : نفشت عليهم ؛ د : فسقت عنهم . (188) ب، ج: وسقتهم ؛ د : وسقتهم الرياح . (189) ب ، ج ، د : سقط « جنان » . (190) ب : سقط «ذلك» . (191) د : سقط « اليه » . (192) ب : تورد « فخذه ثم وافهمه » بدلاً عن « مسلطاً ، على نار أشواق بها قلبه اكتوى » . (193) ب : ههنا . (194) ب : وشأنك . (195) ج : سقط « ليل » . (196) ب : موصلك . (197) د : سقط « الان زال غمي . . . ومقر لبك » . (198) الأصل : سقط « يومئذٍ » . (199) ب : توحيد ؛ ج : توحد . (200) د : سقط « لي لقد » ، ج : سلك بل طريقة . . . (201) ج : تضيف « تلك » . (202) د : أحرقته . (203) ب : فينادي . (204) ب ، د : فيغني . (205) ب : بمنزل . (206) ب : أنا أناجي بالتبليغ . (207) د : سقط « انما » . (208) ب : حضرة (209) ب ، ج ، د : ثم . (210) ب : همسه . (211) ج : سقط « لا » . (212) ب : ولا تخبط ولا تجمع . (213) ج : ويقول . (214) ب : هذا صار من تحوير ، فقليل . (215) ب : العبد . (216) ب : مولى . (217) ب : لولا ، العبد . (218) ب : الرجوع والشهادة . (219) ج : وان . (220) ج ، د : بي . (221) ب ، ج : آباد . (222) ب : هذا . (223) ب : وما كنا نشترط ؛ د : وما تشترط . (224) ب ، ج : الغمة . (225) ب ، ج : يجدون . (226) ب : الأين . (227) د : ولا . (228) ب : فيكثر همهم ؛ د : فتكبرهم لهم . (229) ب : ويقوى اسمهم ؛ ج ، د: ويتقوى . (230) ب : واخترق وإلى تخترق ؛ د : يحترق . (231) د : كما نطلب ولا نلحق ؛ ج : سقط « كما تطلب فلا تلحق » . (232) ب : واستقوى لي . (233) د. سقط

« إلى » . (234) ج : فيها . (235) ب : يقول . (236) ب : تضيف « وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . (237) ج : على . (238) ب : سقط « زال » . (239) د : المقال . (240) د : ملك . (241) ب : البحارة . (242) ب : الحقائق . (243) ب : آمله . (244) د : السواء . (245) ب : قد . (246) د : سقط « اشترطته . . والعقد » . (247) ج : يخرقها . (248) ب : إلى اسمى . (249) د : أحدهم . (250) د : كان . (251) ب : قعر . (252) ب : أخرج ممن ؛ ج : أخرج لمن . (253) ب : يحصل . (254) د : سقط « أن آذن » . (255) د : هي . (256) د : اياكم . (257) ب : الايجاد . (258) ب : يلحقها . (259) ب : الحنان . (260) ب : لمن له هو فيها . (261) ج : هام فيها عشقاً . (262) ج : عريان . (263) ب : لأرغب . (264) ب : وتنكسر . (265) ج : صدري . (266) ب ، د : التخطيط ؛ ج : بالتخطيط . (267) ج، د: الفرط . (268) ب : لوعة . (269) د : ويتغصص . (270) ب : نعم ، دعى ، ج ، د : له معي . (271) د : تفجعي وتوجعي . (272) ج : في مضجعي . (273) د : فظاهر . (274) ب : بعض ؛ د : يعصى . (275) ب : نحوى الأغر الأمتع . (276) ب : من . (277) د : الأودع . (278) ج : انساني . (279) ب : حميث . (280) ب : وكذا العيون . (281) ج : ياعيني . (282) ج ، د : سرك . (283) ب : ووفر في ، ج : ووقف .

(284) ب : سقط « لي » . (285) ب : وقال . (286) ب : الحق . (287) ب ، ج : سقط « تنزيل » . (288) ب : اليها . (289) ج : النهي في . (290) ب ، د : البين ، ج : بأعلى التين . (291) ب : النبس ، وفي الهامش : اليبس . (292) ب : « كان » ، وسقط « بعض » . (293) د : الزبرجد . (294) ج ، د : شأنك . (295) ب : تكون . (296) ب : ووحشة . (297) ج : العاملين . (298) د : وشرف . (299) ب : سقط « مشهد » . (300) د : موضوع . (301) ب : سقط « تعريفك » . (302) ب : لعلوك . (303) ب ، ج : ملك وملكوت ؛ د : ملوك وملكوت . (304) الأصل : تكوين ، والتصحيح من هامش الأصل ومن النسخ : ب ، ج ، د . (305) ب : خطاب . (306) ج : سقط « ولا فرس » . (307) ب ، ج : ولا تحلى ولا تجلى ؛ د : ولا تخلي ولا تجلي . (308) ج ، د : لا وجود . (309) د : ولا دان ولا عين . (310) ب : ولا جمع ولا بين . (311) ب ، ج : ولا جمع فرق (312) ب : ولا ومض برق . (313) ب : ولا حق ولا خلق ؛ ج : سقط « ولا جمع ولا فرق » . (314) د : واصاخة . (315) ج : ولا عين . (316) د : ولا فرش . (317) د : ولا غمام . (318) ج : ولا خرق . (319) د : بقاء ولا فناء . (320) د : سقط « غير » . (321) ب : سقط « ولا أحرق اصطلام . . . . الأسرار » . (322) د : الأسرار . (323) د : سقط ولا علمت . . . ولا أجبت » ؛ ج :

سقط « ولا دعيت ولا أجبت » . (324) ب : ولا أسررت ولا أعلنت . (325) د : أنا . (326) د : يحيط . (327) ج : به . (328) ج ، د : تنتهي . (329) ب : سقط « أشركت أو وحـدت » . (330) ب : سقط « محيط » . (331) ب : وكيف . (332) د: ودللت على . (333) ب : والألباب . (334) ج : معنى . (335) ب : ولا . (336) ب ، ج ، د : باللباب . (337) ب: تضيف «لك» . (338) د: هذا ساحر. (339) ب: معالمها . (340) ب: حضرة . (341) ب: وموقفاً . (342) د: سقط «غيرك» . (343) ب، د: سقط « ذا » . (344) د : سقط « وويل الأسرار طلك » . (345) ب : وجاوزتك . (346) ب : الدمانة . (347) ج : صدر . (348) ج : سقط « نظر » . (349) ج : في . (350) د : سقط « يبق » . (351) ب ، ج : ولاح . (352) د : اخيارك . (353) د : الرموز . (354) ب : « محرف أعداقي » ، وفي الهامش يعلق الناشر بقوله : كذا . (355) د : عالك . (356) ب ، ج ، د : ظلل . (357) ب : الختام ؟ د: القيام . (358) ب : فتعممت . (359) ب : بارزت ؛ ج ، د : تازرت . (360) ب : واحترقت بتلك . (361) ب : وحليت . (362) ب : سقط « اضسرب » . (363) ب : « أشسرت » ، وفي الهامش « انشر » . (364) ج : وأنت . (365) د : والمعيد . (366) ج : عن . (367) د : الذي . (368) ب : يطلع . (369) ج : سقط « أرواح » . (370) د : امامه . (371) ب : تضيف « غـاية » . (372) ب : فمن . (373) ج : تضيف « العـالم » . (374) ج : العظيم . (375) ج : الكـريم . (376) ب : الأمجـد . (377) ب : خـلد . (378) ج : سقط « وكذلك » . (379) ب ، ج ، د : من كره . (380) د : سقط « وخرق » . (381) ب : سلك . (382) ب : سقط « واعتصم . . . ملاذاً » . (383) د : وزدادا ؟ (384) ب ، د : ووقف على ما حصل ؛ ج : ووقف ما حصل عنده . (385) ج : سقط « وعده » . (386) د : كل من . (387) د : صفات صاحب . (388) ب : يريـك . (389) ب : يريك . (390) د : سقط « من » . (391) ب : شجرة .

(392) ج ، د : بلساني . (393) ب ، ج : وأنت . (394) ب ، ج : وأنا . (395) ج : إنه لا إله إلا أنا . (396) ب ، ج ، د : فاعبدني . (397) ب ، د : منها ؛ ج : منهم . (398) ب : سقط « ما » . (399) ب : وان . (400) د : نقصها . (401) ب : سقط « منهـا » . (402) ج : متفرقـة . (403) ج : لجعلكم . (404) ب ، ج : الواصف . . (405) د : سقط « آدم » . (406) ج : منهـما . (407) ب : مـلأ . (408) د : سقط « منهم » . (409) د : أردت . (410) ج : سقط « منها » . (411) ب : فلبقاء . (412) ب : ثبت . (413) ب : سقط « والتثنية » . (414) ج : سقط « عبدي » . (415) ب : بالحرم . (416) ب : ثلاثمائة . (417) د : اشراق . (418) د : انحرام . (419) ب :

الى . (420) د : مبعث . (421) د : لدينا . (422) ج : واختص . (423) ب : سقط « جميع » . (424) ب : وتفرد . (425) ج : أصل . (426) ب : عنصره . (427) د : فلذلك . (428) ج : نزول الفتح . (429) ج : القرآن . (430) ج : القرن . (431) ج : تضيف « أسرار » . (432) ج : سقط « ما يعقلها . . . عبدي » . (433) د : البيان . (434) ب : الترجمان ؛ ج : حجب البيان . (435) ب : سبقته . (436) ج : سقط « عبدي » . (437) د : ما بين . (438) ج : ومحل التعبير . (439) د : من . (440) ب : جعلها ؛ ج ، د : جعلتها . (441) د : سقط « ينقسم » . (442) ب : وللباطن . (443) ج : هو . (444) د : فاقرع . (445) د : عدمي . (446) د: ثلاثة أقسام . (447) ب : عداهما . (448) ب : تضيف « أسرار » . (449) د : والثالثة التي تنقسم ؛ ج : الثالث التي ينقسم . (450) ج : سقط « ومخاطب » . (451) ج ، د : يتفرع . (452) د : وجواهر . (453) ج : لدفع . (454) ب : تضيف « ما هي » ؛ د : تضيف « ما هو » . (445) ج : أنبياء وأولياء . (456) ب : للمتفرق . (457) ب ، ج : بالعمل ؛ د : بالعمد . (458) ب : « لنا . . » والتعليق في الهامش : بياض . (459) ب : يونس . (460) ب : « الصل » وفي الهامش : « كذا » ؛ ج : النقل . (461) ج : للصفات . (462) ب : سقط « لطف » . (463) ج : الدواة . (464) ج : سقط « أنت » . (465) ب : جاءت . (466) ب : وغابت . (467) ب : والهام . (468) د : والحيوة . (469) ب : حلت . (470) ب : وعلمت . (471) ب : حيا . (472) د : سقط « ولم » . (473) ب : « سقة » وفي الهامش : وشفعته . (474) ب : تلعب فكسفت . (475) د : وأراحت . (476) ب : فسفت . (477) ب : سقط « اسم » ؛ د : سمر . (478) ب : ذلك . (479) ب : ما شاء هذا . (480) ج : وأين . (481) د : حكمه . (482) ب : حكم مه ؛ د : علمه . (483) ب : لها . (484) ج ، د : سمسمة . (485) ج : فجادت . (486) د : سقط « مه » . (487) ب : عندي . (488) د : عضبة . (489) ب : سقط « غيب » . (490) د : مني . (491) ب : أن تشتهي . (492) ب : ورقت . (493) ج ، د : سقط « كن » . (494) د : سقط « تعبر » . (495) ب : وتفعل وتنفعل . (496) ج ، د : وتدرك . (497) ب : سقط « بالحياة » . (498) ب : سقط « عليها صحن الأمد الأمضى » ؛ ج ، د : الأقصى . (499) ج : اللذات . (500) ج : الرسوم بالذات . (501) ب ، ج ، د : أعيان . (502) ج ، د : قبة . (503) د : علمي . (504) ب : وقرأت . (505) الأصل ، ج : اني . (506) د : الاسراء ؛ ج : الأفكار . (507) ب ، د : فصح . (508) الأصل يضيف « بعد » ، والتصحيح من « ب » .

* * *

القسم الخامس

(1) ب : تضيف « وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » . (2) ب : تقول . (3) ب :تضيف « هو » (4) ج : الغنا . (5) د : كلتاهما . (6) ب : المالك . (7) ب : الأجسام . (8) د : فقال . (9) ب : نتيجة ؛ ج : سقط « أدلة » ؛ د : له أدلة . (10) ج : سقط « فيا تقول في التوالد . . . والتفاصل » . (11) ب : فهل تصح ؛ ج ، د : تصح . (12) ج ، د : فلا . (13) ج : سقط « في » . (14) ب ، ج ، د : فهل تصح . (15) ب : البداية ، ج : العودة الأبدية . (16) ب ، ج : سقط « غير » . (17) ب : فهل . (18) ج : سقط « له » . (19) د : من . (20) ج ، د : جهلوا . (21) ج ، د : من . (22) د : لم . (23) ب : «لصحة » وسقط « مبايعة » . (24) د : بحجابه . (25) ج : سقط « بالطيفية » . (26) ج : قلت . (27) ب : وكانت . (28) ب ، د : نسقها . (29) د : بماء . (30) د : بعض شاهد . (31) د : لوجود . (32) ب : تضيف « غاية » . (33) ب ، ج : ممكنات . (34) د : لتكون . (35) د : اللوح والقلم . (36) د : فلم . (37) ج : قلم فلم ، د : سقط « لم » . (38) ب : ولم يكن له . (39) د : المشاهدة . (40) ج : قلت . (41) ج ، د : ليستعينا . (42) الأصل ، د : منهم ، والتصحيح من «ب» و«ج» . (43) ب ، ج ، د: وينفرد . (44) د : الجبار . (45) ب : فلم تبت ؛ د : تيب ؟ (46) ج : الأخ . (47) د : جعلتها . (48) ج : أصل . (49) د : تضيف « بالآخر » . (50) د : الله . (51) د : وكساه . (52) د : بيديه . (53) د : سقط « لم » . (54) ب : لا . (55) ج : سقط « بنور » . (56) ب : سقط « تنزل » . (57) ج : قلت . (58) ب : أتى . (59) ب : لانه . (60) ب : حقيقة . (61) ج : فاختلط . (62) ب : طريقة . (63) ج : تضيف « فيها » . (64) ج : تضيف « فيها » . (65) ب : لا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى . (66) د : الباطن . (67) ج : الانسان . (68) ج : قدم . (69) ب :

سقط « سابقة قدم . . . . تقويم » . (70) ب : يرفعه . (71) ج : سقط « أجيت » .
(72) ب : عليه السلام . (73) ج : لمن . (74) ب : لقبضة ؛ ج : قبضته . (75) ب :
اتباع . (76) ج : وقت . (77) ج : بأخوانه . (78) د : يحبه . (79) د : سقط « في » .
(80) ب : سقط «ان» . (81) ب ، د : وتبين . (82) د : حقيقته . (83) ب : سر
ذلك . (84) د : سقط « فلذلك انفجر . . . فيها » . (85) د : سبباً . (86) ج : خلع
نعليه . (87) ج : سقط « الانسان » . (88) ب ، د: لتزيده . (89) ب : حين أسري
به . (90) د : لم . (91) ب : الوسائط . (92) ب : قلب . (93) ب : ولم . (94) د :
معنى . (95) ج : سقط « في » . (96) د ، ج : تضيفان « عقاباً » . (97) د : تنبيهاً .
(98) ج : قال . (99) ج : سقط « فلم » . (100) ب : من . (101) ب : أغلاى وأولى ؛
ج ، د : أسدّ وأولى . (102) ج ، د : الموق . (103) ب : ان . (104) د : نسختها هدى
ورحمة . (105) د : اعطيناها . (106) ج : سكن . (107) ب : النعمة ؛ ج : والنقمة ؛
د : النقمة . (108) د : سقط العنوان ، وهي تورد الاشارات الابراهيمية قبل الاشارات
العيسوية. (109) د : يوحه . (110) د : مثل . (111) ب : ان . (112) ج : سقط
« وبعده » . (113) د : سقط « محمد » . (114) د : سقط « بداءة » . (115) ج : تلك
يد . (116) ب ، ج ، د : إذ كان نبياً . (117) ب : والعبد ؛ د : وبين العبد . (118)
د : الغاية . (119) ج : قلت . (120) ج : عليه . (121) ج : قال . (122) ب ، ج :
فقذفَ . (123) ب ، ج ، د : يكن . (124) د : سبوح قدوس . (125) د : سقط
« تقدم » . (126) ج : الكواكب . (127) ب : اطاعة . (128) ب : لم . (129) د :
سقط « النشأة » . (130) ب : لم . (131) ب : وقال . (132) ب : قد صدرت من ؛
ج : سقط « له » . (133) ب ، ج ، د : إلى العناصر . (134) د : لم . (135) د : قوى .
(136) ب ، ج ، د : نزل . (137) ج : تعين . (138) ج : ضيافة . (139) ج : سقط
« له » . (140) ج : سقط « حتى » . (141) ج ، د : تقل . (142) ب : المقامات .
(143) ب ، ج ، د : ابراهيم واسماعيل . (144) ب : فلم . (145) ب ، ج : تضيفان
« إلا » ، د : سقط « يكن » . (146) ج : البعض . (147) ب : إذا لواجب . (148) د :
نبيه ان نضع . (149) ب : فقال ؛ ج : وقال ؛ د : وقد قال . (150) ج : قال . (151)
د : سقط « صاحبه » . (152) ج : فلطيفة . (153) ب : ذاته حضرتها الملأ . (154) ج :
الصاع . (155) ب : لاتصال الأحبة ؛ ج : « للاتصال » وسقط « بالأحبة » . (156)
ج ، د : تنبيهاً . (157) د : تضيف « لما ظهر للمستوى » . (158) د : لم . (159) ب :
بالتحميد . (160) ب : ليصح . (161) ب : الشك . (162) ج : القدر . (163) ب ،
د : عن . (164) ج : أسرار. (165) ب : محمداً . (166) د : يصح . (167) د : قلت .

(168) ب : بالعبودية ؛ ج ، د : في العبودية . (169) ب : العبايدين ؟؛ د : العالمين .
(170) ب : سقط « بها » . (171) ب : وان . (172) د : أعطتك . (173) د : فيا .
(174) ب : فإن شئت فافتح . (175)د : والصلوة .

***

فهرس الأحاديث

١ ـ « أنا سيد ولد ادم ولا فخر »

ـ أورده كشف الخفاء ١/٢٣٤ الحديث رقم ٦١٦ بلفظ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » وقال رواه مسلم وأبو داوود عن أبي هريرة ؛ وهو عند أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد بزيادة « ولا فخر » .

١ مكرر ـ « أنا مدينة العلم وعلي بابها »

ـ أورده كشف الخفاء ١/٢٣٥ الحديث رقم ٦١٨ ، وقال رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير ، وأبو الشيخ في السنة وغيرهم ، كلهم عن ابن عباس مرفوعا . ﻫ ن الحاكم إنه صحيح الاسناد ، لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ووافقه الذهبي وغيره . وحسَّنه الحافظان العلائي وابن حجر .

* * *

٢ ـ « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر »

ـ رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ قال : قلت يا رسول الله : بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء . قال : يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك ، من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ، ولا قلم ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا ملك ، ولا سماء ، ولا أرض . . . فلما أراد الله أن يخلق الخلق ، قسم ذلك النور أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش . . . . ـ الحديث ، كذا في المواهب . [أنظر كشف الخفاء للعجلوني حديث رقم ٨٢٧ . ج ١ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦) .

* * *

٣ ـ « بُعِثْتُ بجوامع الكلم »

ـ رواه البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة ، حديث صحيح . [راجع الجامع الصغير للسيوطي حديث رقم ٣١٤٩] .

ـ روه البيهقي في الشعب ، وأبو يعلى عن عمر بن الخطاب . وقال ابن شهاب فيما نقله البخاري في صحيحه : بلغني في جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة ، التي كانت تكتب في الكتب قبله ، الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك . وقال سليمان النوفلي : كان يتكلم بالكلام القليل يجمع به المعاني الكثيرة . [راجع كشف الخفاء للعجلوني حديث رقم ٩١٣] .

- رواه ابن حنبل في مسنده عن أبي هريرة ج ٢ ص ٤١٢ « فضلت عن الأنبياء بست . قيل ما هي يا رسول الله . قال أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت الى الخلق كافة ، وختم بي النبيون . . » .

* * *

٤ - حديث « تمام اللبن . . »

- روى أحمد في مسنده عن أبي هريرة بجزء ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ « ومثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل ابتنى بنياناً فأحسنه ، وأكمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطيفون به ويُعجبون منه ويقولون : ما رأينا بنياناً أحسن من هذا إلا موضوع هذه اللبنة ، فكنت أنا هذه اللبنة» ورواه أحمد عن أبي هريرة بروايتين مشابهتين ج ٢ ص ٣٩٨ وص ٤١٢ .

- رواه مسلم في كتاب الفضائل باب رقم ٧ في خمس روايات يشابه نصها نص رواية ابن حنبل : ثلاث منها عن أبي هريرة ، ورواية عن أبي سعيد الخدري ورواية عن جابر .

- راجع البخاري كتاب المناقب باب ١٨ رواية عن جابر بن عبد الله ورواية عن أبي هريرة .

* * *

٥ - « قسمت الصلاة . . »

- « عن أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج [أي ناقصة] ، فقيل لأبي هريرة انا نكون وراء الامام . فقال : إقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى قسمت الصلاة [والمراد هنا الفاتحة] بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين . قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم . قال الله تعالى : أثنى علي عبدي . وإذا قال مالك يوم الدين . قال : مجدني عبدي ، وقال مرة : فوض إلي عبدي . فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين . قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل . فإذا قال : أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » . الرواية لمسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة حديث رقم ٣٨ و٤٠ .

- رواه أبو داوود عن أبي هريرة في كتاب الصلاة، باب رقم ٣٦ .
- الترمذي تفسير سورة ١ [أي الفاتحة]
- النسائي . افتتاح ٢٣ .
- رواه ابن ماجه عن أبي هريرة كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن رقم ٥٢ .
- رواه ابن حنبل عن أبي هريرة ، المسند جزء ٢ / ص ٢٤١ ، ٢٨٥ ، ٤٦٠ .

* * *

٦ - « كان الله ولا شيء معه »

- رواه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بُرَيْدَة ، وفي رواية « ولا شيء غيره » وفي رواية « ولم يكن شيء قبله » قال القاري ثابت .

ـ ورواه أحمد ابن حنبل والبخاري والترمذي عن عمران ابن حصين برواية « كان الله قبل كل شيء ، وكان عرشه على الماء » .

ـ راجع كشف الخفاء العجلوني ٢/١٧١ حديث رقم ٢٠١١ ، بخاري بدء الخلق حديث رقم ١ ؛ الترمذي تفسير سورة رقم ٥ ، ١١ ؛ أحمد ابن حنبل ٤/٤٣١ .

* * *

٧ ـ « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين »

ـ قال السخاوي : وأما الذي يجري على الألسنة بلفظ « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » فلم نقف عليه بهذا اللفظ . وقال الزركشي : لا أصل له بهذا اللفظ [أنظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/١٢٩] .

ـ « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد »

ـ قال العجلوني : وصححه الحاكم بلفظ « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » ، وفي الترمذي عن أبي هريرة أنه قال للنبي ﷺ متى كنت أو كتبت نبياً ؟ قال : « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الحاكم أيضاً . [أنظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/١٢٩] .

ـ رواه أبو نعيم في الحلية عن ميسرة الفجر ؛ ابن سعد عن أبي الجدعاء ؛ الطبراني في الكبير عن ابن عباس ؛ وصححه السيوطي في الجامع ؛ [راجع الجامع للسيوطي حديث رقم ٦٤٢٤] .

* * *

٨ ـ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

ـ رواه البخاري في كتاب الإيمان باب رقم ٧ ؛ ورواه مسلم في كتاب الإيمان ٧١/٧٢ ؛ الترمذي ، قيامة ، ٥٩ ؛ النسائي ، إيمان ١٩ ، ٣٣ .

* * *

٩ ـ « لكل آية ظهر وبطن وحد ومطلع »

ـ الحديث ورد في احياء علوم الدين للغزالي جزء ١/٩٩ بلفظ «ان للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً » ، وقال الحافظ العراقي في المغني : أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود .

* * *

١٠ ـ « ماء زمزم لما شرب له »

ـ ذكره ابن أبي شيبة وأحمد في مسنده وابن ماجه والبيهقي في السنن عن جابر ؛ والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عَمْرو . [راجع الجامع الصغير للسيوطي حديث رقم ٨٧٥٩] .

ـ وفي رواية ثانية « زمزم لما شرب له ، فإن شربته تستشفي شفاك الله ، وان شربته مستعيذاً أعاذك

الله ، وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه الله ، وان شربته لشبعك أشبعك الله . وهي هَزْمَةُ جبريل وسُقْيَا اسماعيل » . رواه الدارقطني عن ابن عباس ؛ والحاكم في المستدرك عن ابن عباس وقال الحاتم صحيح ؛ وقال ابن القطان في الفتح رجاله موثوقون ولكن اختلف في إرساله ووصله وإرساله أصح . [راجع الجامع الصغير للسيوطي حديث رقم ٧٧٦٠] .

- وفي رواية ثالثة « ماء زمزم لما شرب له ، من شربه لمرض شفاه الله أو لجوع أشبعه الله أو لحاجة قضاها الله » . رواه المستغفري أبو العباس جعفر بن محمد ، في كتاب الطب النبوي عن جابر بن عبد الله ، وحسنه السيوطي [راجع الجامع الصغير حديث رقم ٧٧٦١] .

* * *

١١ ـ « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه »
- رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة .
- رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير عن الحسين بن علي .
- رواه الحاكم في الكنى عن أبي بكر، وفي تاريخه عن علي بن أبي طالب .
- رواه الطبراني في الأوسط عن زيد بن ثابت .
- رواه ابن عساكر عن الحرث بن هشام .
- صححه السيوطي في الجامع الصغير ، راجع حديث رقم ٨٢٤٣ .

* * *

١٢ ـ « المؤمن مرآة أخيه »
- رواه الطبراني في الأوسط وحسنه السيوطي [راجع الجامع الصغير حديث رقم ٩١٤١ « المؤمن مرآة المؤمن »] .

- ورد في كشف الخفاء تحت رقم ٢٦٨٧ ، وقال رواه أبو داوود عن أبي رفعة ، والعسكري من طرق عن أبي هريرة ، وأخرجه الطبراني والبزار والقضاعي عن أنس .

* * *

ملحق نصوص لابن عربي

مِن مَعَاني المِعْرَاج النَّبَوِيّ

[الفتوحات المكية ج ٣ ص ص ٣٤٠ - ٣٤٢]

فما نَقَلَ اللهُ عبداً من مكانٍ الى مكانٍ ليراه ، بل لِيُرِيَه من آياتِه التي غابت عنه . قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الذي أسرى بعبدِهِ لَيْلاً من المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقصى الذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنَا ﴾ [الاسراء / ١] .

وكذلك إذا نَقَلَ اللهُ العبدَ في أحوالِه لِيُرِيَه أيضاً من آياتِه ، فَنَقْلُهُ في أحوالِه ، مثلَ قوله ﷺ : زُوِيَتْ لِي الأرضُ فرأيتُ مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ مُلْكُ أمّتي ما زُوِيَ لي منها . وكذلك قولُه تعالى عن ابراهيم عليه السلام : ﴿ وكذلك نُري ابراهيمَ ملكوتَ السمواتِ والأرضِ وليكونَ مِنَ الموقنين ﴾ [الأنعام / ٧٥] . وذلك عينُ اليقينِ ، لأنه عن رؤيةٍ وشهود . . .

وحديث الاسراء يقول ما أسريت به إلاّ لرؤيةِ الآيات ، لا إليّ ، فإنّه لا يَحويني مكان ، ونسبةُ الأمكنةِ اليّ نسبةٌ واحدة ؛ فأنا الذي وسعني قلبُ عبدِي المؤمن ، فكيف أسري به إليّ ، وأنا عنده ومعه أينما كان .

فلما أراد الله أن يُرِيَ النبيَّ عبدَه محمداً ﷺ من آياته ما شاء ، أَنْزَلَ إليهِ جبريلَ عليه السلام ، وهو الروحُ الأمين ، بدابَّةٍ يُقال لها البُراق ، إثباتاً للاسبابِ وتقويةً له ، لِيُرِيَه العلمَ بالأسبابِ ذوقاً ، كما جعلَ الأجنحةَ للملائكةِ لِيُعْلِمَنَا بثبوتِ الأسبابِ التي وضعها في العالمِ .

فركبه [أي البراق] صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وأخذَهُ جبريلُ عليه السلام ، والبراقُ للرسلِ مثل فرسِ النوبة الذي يُخرجه المرسِل للرسول ليركبَه تهمماً [أي اهتماماً وتشريفاً]، به في الظاهر ، وفي الباطن [يُنَبّهه] ان لا يصل اليه الا على ما يكون منه ، لا على ما يكون لغيره ؛ ليتنبَّه بذلك ؛ فهو تشريفٌ وتنبيه . . .

فجاءَ ﷺ ، الى البيت المقدّس ، ونزل عن البُراق ، وربَطَه بالحلقة التي تربطه بها الأنبياءُ عليهم السلام ؛ وكل ذلك إثباتاً للاسباب ، وإنما ربطه [ﷺ] مع علمه بأنّه مأمور ، ولو أوقفه دون ربطٍ بحلقةٍ لوقَف ، ولكن حكم العادة منعه من ذلك إبقاءً لحكم العادة التي أجراها الله في مسمَّى الدابة . ألا تراه ﷺ كيف وصف البراق بأنه شمس وهو من شأن الدواب التي تُركب ، وانه قَلَّبَ

بحافرِهِ القدحَ الذي كـان يتوضـأ به صـاحبُه في القـافلةِ الآتية إلى مكـة ، فوصف البـراق بأنـه يعثر ، والعثورُ هو الذي أوجبَ قَلْبَ الآنيةِ أعني القدح .

فلمّـا صلّى ، جاءه جبريلُ بالبُراقِ ، فركب عليـه ومعه جبـريل ، فـطارَ البراقُ بـه في الهواء ، فاخترقَ به الجوّ ، فعَطِشَ [ﷺ] واحتاجَ الى الشرب ، فأتاهُ جبريـلُ عليه السـلام بإنـاءين : إناءِ لبن وإناءِ خمر ، وذلك قبل تحريم الخمر ؛ فعرضهما عليه ، فتناولَ اللبنَ ، فقال له جبريل عليـه السلام : أصبتَ الفطرةَ ، أصابَ اللهُ بكَ أمتَك . . .

فلما وصل [ﷺ] الى السماءِ الدنيا ، استفتحَ جَبريـلُ ، فقال لـه الحاجب : مَنْ هـذا ؟ فقال : جبريل . قال : ومَنْ معك ؟ قال : محمدٌ ﷺ ، قال : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعثَ اليه .

ففتحَ فدخلْنا ؛ فإذا بآدمَ ﷺ ، وعن يمينه أشخاصُ بنيهِ السُّعداء ، أهلِ الجنـة ، وعن يساره نَسَمُ بنيهِ الأشقياء ، عَمَرَةِ النار .

ورأى ﷺ نفسَه في أشخاصِ السعداء ، الذين على يمين آدم ، فشكر الله تعالى ، وعَلِمَ عند ذلك كيف يكون الانسانُ في مكانين وهو عينُه لا غيرُه . .

فقال [آدم عليه السلام] : مرحباً بالإبنِ الصالح والنبي الصالح .

ثم عَرَجَ به البُراقُ وهو محمولٌ عليه في الفضاء الذي بين السماء الأولى والسماء الثانية ، فاستفتح جبريلُ السماءَ الثانية ، كما فعل في الأولى .

فلما دخل ، إذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه ، فإنه لم يمتْ الى الآن ، بل رفعَـه اللهُ الى هذه السماء ؛ وأسكنَه بها ، وحُكّمُه فيها . . . فرحّـب به وسهّـل .

ثم جاء السماءَ الثالثة فاستفتح ، وقال ، وقيل له ، ففُتِحَتْ وإذا بيوسف عليه السلام ، فسلّـم عليه ورحّـب وسهّـل ، وجبريلُ في هذا كلّـه يُسَمّي له مَنْ يراه من هؤلاء الأشخاص .

ثم عرجَ به إلى السماءِ الرابعة ، فاستفتحَ ففُتِحَت فإذا بادريسَ عليه السـلام بجسمه ، فـإنّـه ما ماتَ الى الآن ، بل رفعَه اللهُ مكاناً عليّـاً ، وهو هذه السماء ؛ فسلّـم عليه ورحّـب وسهّـل .

ثم عرجَ به الى السماء الخامسة ، فاستفتحَ ففُتِحَتْ ، فإذا بهارون ويحيى عليهما السـلام ، فسلّما عليه ، ورحّـبا به وسهّـلا .

ثم عـرجَ به الى السـماء السادسـة فاستفتـحَ ؛ ففتحت ، فإذا بموسى عليه السلام فسلّـم عليه ورحّـب وسهّـل .

ثم عرجَ به الى السماء السابعة ، فاستفتح ، ففُتِحَت ، فإذا بابراهيم الخليل عليه السلام مسنِداً ظهره الى البيت المعمور ، فسلّـم عليه ورحّـب وسهّـل ؛ وسمّى له البيتَ المعمور ، الضُّراح ، فنظر اليه وركعَ فيه ركعتين ، وأعْلَمنا أنه يَدخُلُه كل يومٍ سبعون ألف مَلَك من الباب الواحد ، ويخرجـون من الباب الآخر . . وأخبره أن أولئك الملائكة يخلقهم اللهُ كـل يوم من قـطراتِ ماءِ الحياة التي تسقطُ من جبريل حينَ ينتفض ، كما ينتفضُ الطائرُ عندما يخرجُ من انغماسِه في نهرِ الحياة ، فـإن له كـل يوم غمسةً فيه .

ثم عرجَ به الى سدرةِ المنتهى ، فإذا نَبْقُهَا [= ثمرها] كالقِلالِ ، وورقُها كآذانِ الفِيَلَة ، فرآها وقد غَشَاها الله من النورِ ما غَشَى ، فلا يستطيعُ أحدٌ أن ينعتَها . . . ورأى يخرجُ من أصلِها أربعةُ أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فأخبره جبريل : أن النهرين الظاهرين : النيل والفرات ، والنهرين الباطنين : نهران يمشيان الى الجنة ، وأنّ هذين النهرين ، النيلَ والفراتَ يرجعان يوم القيامة الى الجنة وهما نهرا العسلِ واللبن . . . .

وأخبره أن أعمال بني آدم تنتهي الى تلك السِّدرة ، وأنها مقرُّ الأرواحِ ، فهي نهايةٌ لِما ينـزل مما هو فوقَها ، ونهايةٌ لِما يعرجُ اليها مما هو دونَها . وبها مقامُ جبريلَ عليه السلام ، وهناك مِنَصَّتُه ؛ فنزل ﷺ عن البراق بها ،

وجيء اليه بالرفرف ، فقعدَ عليه وسلَّمَهُ جبريلُ إلى المَلَك النازلِ بالرفرف ، فسأله الصحبةَ ليأنس به . فقال : لا أقدرُ ، لو خطوتُ خطوةً احترقتُ ؛ فما منّا إلا له مقامٌ معلوم ، وما أسرى الله بك يا محمدُ إلا لِيُرِيَكَ من آياته ،

فودّعه وانصرف على الرفرف مع ذلك الملك ، يمشي به الى أنْ ظَهَرَ لمستوىً سَمِعَ منه صريفَ القلم . . .

ثم زُجَّ في النورزجةً ،فأفرده الملك الذي كان معه وتأخر عنه ؛ فاستوحشَ لَما لم يَرَه ، وبقيَ لا يدري ما يَصنع ، وأخذه هَيمانٌ . . . في ذلك النور ، وأصابه الوَجْد ، فأخذَ يَميلُ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِمال ، واستفزَعَهُ الحالُ ، وكان سبَبَه سماعُ ايقاعِ تلك الأقلامِ وصريفِها في الألواح . . .

فطلبَ الإذْنَ في الرؤيةِ بالدخولِ على الحق ، فسمعَ صوتاً يشبهُ صوتَ أبي بكر ، وهو يقول له : يا محمد ، قِفْ ، إن رَبَّكَ يُصلِّي . فراعَهُ ذلك الخطاب ، وقال في نفسه : أَرَبّي يصلي ؟ فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب ... تُلِيَ عليه : هو الذي يصلي عليكم وملائكته . فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق .

فأوحى الله اليه في تلك الوقفة ما أوحى ، ثم أُمِرَ بالدخول ، فَدَخَلَ ، فرأى عينَ ما علم لا غير ، وما تغيرتْ عليه صورةُ اعتقادِه . ثم فُرِضَ عليه في جملةِ ما أُوحي به اليه ، خمسينَ صلاةٍ ، في كلِّ يومٍ وليلة . فنزلَ حتى وصلَ الى موسى عليه السلام ، فسأله موسى عما قيل وما فُرِضَ عليه ، فأجابه ، وقال : ان الله فَرَضَ على أمتي خمسين صلاةٍ في كل يوم وليلة . فقال له : يا محمد قد تَقَدَّمْتُ الى هذا الأمرِ قبلَك ، وعرفتُه ذوقاً ، وتعبتُ مع أمتي فيه . وأني أنصحُكَ فإنَّ أمتَك لا تُطيقُ ذلك ، فراجعْ ربَّك وسَلْهُ التخفيف ؛ فراجعَ ربَّه فتركَ له عَشْراً ، فأخبرَ موسى بما تركَ له ربُّه ، فقال له موسى : راجعْ ربَّك ، فراجَعَهُ فتركَ له عشراً ، فأخبر موسى فقال له : راجع ربك ، فراجعه فترك له عشراً فأخبر موسى ، فقال له : راجع ربك . فراجعه فترك له عشراً فأخبر موسى ، فقال له : راجع ربك ، فراجعه . فقال له ربه : هي خمس وهي خمسون ﴿ ما يُبَدَّل القولُ لدي ﴾ [ق / ٢٩] فأخبر موسى ، فقال : راجعْ ربك ، فقال : أني أستحي من ربي ، وقد قال لي كذا وكذا .

ثم وَدَّعَه وانصرَفَ ، ونَـزلَ الى الأرضِ قبل طلوعِ الفجر ، فنَزل بالحِجْر فطافَ ومشى الى بيته ؛ فلما أصبحَ ذَكَرَ ذلك للناس ، فالمُؤمن به صَدَّقَه ، وغيرُ المؤمنِ به كَذَّبه ، والشاكُّ ارتابَ فيه . .

ولو كان الإسراء بروحه ، وتكونُ رؤيا رآها كما يراه النائم في نومه ، ما أنكره أحد ولا نازعوه ، وإنما أنكروا عليه كونَه أعلمَهم أن الاسراء كان بجسمِه في هذه المواطن كلِها ؛ أربعة وثلاثون مرة الذي أسري به ، منها اسراء واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها .

* *

الفرق بين عروج صاحب النظر الفلسفي وبين عروج التابع المقلد للنبي صلى الله عليه وسلم

[الفتوحات المكية ج ٢ ص ص ٢٧٢ - ٢٨٤]

الإنسان خُلِقَ للكمال ، فما صرفه عن ذلك الكمال إلاّ عللٌ وأمراض ، طرأت عليهم : إما في أصل ذواتهم ، وإما بأمور عرضية ، فاعلم ذلك ؛

فلنبتدىء بما ينبغي أن يليق بهذا الباب ، وهو أن نقول : ان النفوس الجزئية لَـمّا ملّكها الله تدبيرَ هذا البدن وأستخلفها عليه ، وبيّـن لها أنها خليفة فيه لتتنبه على أن لها موجداً استخلفها فيتعين عليها طلب العلـم بذلك الذي استخلفها ؛ هل هو من جنسها ، أو شبيه بها بضرب ما من ضروب المشابهة ، أو لا يشبهها ؟ فتوفرت دواعيها لمعرفة ذلك من نفسها .

فبينما هي كذلك على هذه الحالة ، في طلب الطريق الموصلة الى ذلك ، وإذا بشخص قد تقدمها في الوجود من النفوس الجزئية ، فأنِسوا به للشبه ، فقالوا له : أنت تقدمتنا في هذه الدار فهل خطر لك ما خطر لنا ؟ قال : وما خطر لكم ؟ قالوا : طلب العلم بمن استخلفنا في تدبير هذا الهيكل . فقال : عندي بذلك علم صحيح جئت به ممن استخلفكم وجعلني رسولاً إلى جنسي ، لأبيّـن لهم طريقَ العلمِ الموصلِ إليه الذي فيه سعادتهم .

فقال الواحد [التابع للنبي] : إياه اطلب فعرّفني بذلك الطريق حتى أسلك فيه .

وقال الآخر [الفيلسوف صاحب النظر] : لا فرق بيني وبينك ، فأريد أن أستنبط الطريق الى معرفته [تعالى] من ذاتي ، ولا أقلدك في ذلك ؛ فإن كنتَ أنتَ حصلَ لك ما أنت عليه وما جئتَ به بالنظر الذي خطر لي ، فلماذا أكون ناقص الهمة وأقلدك ؟ وان كان حصلَ لكَ باختصاصٍ منه ، كما خصّـنا بالوجود بعد ان لم نكن ، فدعوى بلا برهان . . . فهذا [صاحب النظر] بمنزلة من أَخَذَ العلمَ بالأدلّةِ العقليةِ من النظرِ الفكري ، ومثال الثاني مثال أَتْبَاعِ الرسولِ ومقلّـديه . . ومثال ذلك الشخص الذي اختلف في اتباعه هذان الشخصان مثال الرسول المعلم . .

السماء الأولى :

فَسَلَكَ الرجلان ، أو الشخصان إن كانا امرأتين أو إحداهمـا امرأة في الطريق ، الواحـد بحكم النظر والآخر بحكم التقليد ، وأخذا في الرياضة وهو تهذيب الأخلاق والمجاهدة ، وهي المشاق البدنية من الجوع والعبادات العملية البدنية كالقيام الطويل في الصلاة والدؤوب عليها والصيام والحج والجهاد

والسياحة ، هذا [الفيلسوف] بنظره ، وهذا [التابع] بما شرّع له أستاذه ومعلمه المسمّى شارعاً .

فلما فرغا من حكم أمر الطبيعة العنصرية ، وما بقي واحد منهما يأخذ من حكم الطبيعة العنصرية إلا الضروري الذي يحفظ به وجود هذا الجسم ، الذي بوجوده واعتداله وبقائه يحصل لهذه النفس الجزئية مطلوبها من العلم بالله الذي استخلفها خاصة ؛

فإذا خرجا عن حكم الشهوات الطبيعية العنصرية ، وفُتِحَ لهما باب السماء الدنيا ، تلقى المقلد آدمُ عليه السلام فقرح به وأنزله إلى جانبه ، وتلقى صاحبَ النظرِ المستقل روحانيةُ القمر فأنزله عنده ، ثم ان صاحب النظر الذي هو نزيل القمر في خدمة آدم عليه السلام ؛ وهو كالوزير له ، مأموراً من الحق بالتسخير له ؛ ورأى جميع ما عنده من العلوم لا يتعدى ما تحته من الأُكَر ، ولا علم له بما فوقه ، وانه مقصور الأثر على ما دونه . ورأى آدم أن عنده علم ما دونه وعلم ما فوقه من الأمكنة ، وانه يُلْقِي إلى نزيله مما عنده مما ليس في وسع القمر أن يعرفه ، وعلم أنه ما أنزله عليه إلا عناية ذلك المعلم الذي هو الرسول ؛ فاغتم صاحب النظرِ وندم حيث لم يسلك على مدرجة ذلك الرسول . واعتقد الإيمان به وأنه إذا رجع من سفرته تلك ، أن يتبع ذلك الرسول ويستأنف من أجله سفراً آخر .

ثم إن هذا التابع نزيل آدم علّمه أبوه من الأسماءِ الإلهيةِ على قدر ما رأى أنه يحمله مزاجه ؛ فإن للنشأة الجسمية العنصرية أثراً في النفوس الجزئية ، فما كلها على مرتبة واحدة في القبول ، فتقبل هذه ما لا تقبل غيرها ؛

وفي أول سماء يقف [سابع] من علم آدم على الوجه الإلهي الخاص الذي لكل موجود سوى الله ، الذي يحجبه عن الوقوف مع سببه وعلته ؛ وصاحب النظر لا علم له بذلك الوجه أصلاً ، والعلم بذلك الوجه هو العلم بالأكسير في الكيمياء الطبيعية ، فهذا هو إكسير العارفين ؛ وما رأيت أحداً نبّه عليه غيري ، ولولا أني مأمور بالنصيحة لهذه الأمة بل لعباد الله ما ذكرته ؛

فعَلِمَ كل واحد منهما [التابع والفيلسوف] ما لهذا الفلكِ من الحكم الذي ولاّه الله به في هذه الأركان الأربعة والمولدات ، وما أوحى الله في هذه السماء من الأمر المُختص بها ، في قوله : ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ [فصلت/ ١٢] ، وما علم صاحب النظر نزيل القمر من ذلك إلا ما يختص بالتأثيرات البدنية والاستحالات في أعيان الأجسام المركبة من الطبيعة العنصرية ؛ وحصل التابع ما فيها [السماء الأولى] من العلم الإلهي الحاصل للنفوس الجزئية مما هو لهذا الفلك خاصة ، وما نسبة وجود الحق من ذلك وما له فيهم من الصور ، ومن أين صحت الخلافة لهذه النشأة الانسانية ، . . . فعلم التابع صورة الاستخلاف في العلم الإلهي ، وعلم صاحب النظر الاستخلاف العنصري في تدبير الأبدان ، وعلى الزيادة والربو والنمو في الأجسام القابلة لذلك والنقص ؛ فكل ما حصل لصاحب النظر حصل للتابع ، وما كل ما حصل للتابع حصل لصاحب النظر ؛

فما يزداد صاحب النظر إلا غماً على غم وما يُصَدِّق متى ينقضي سَفَره ويرجع إلى بدنه ، فإنهم في هذا السفر مثل النائم فيما يرى في نومه ، وهو يعرف أنه في النوم فلا يصدّق متى يستيقظ ليستأنف العمل ويستريح من غمه ، وإنما يتقلّق خوفاً مما حصل له في سفره أن يقبضَ فيه فلا يصح له ترقٍ بعد ذلك ، فهذا هو الذي يزعجه . والتابع ليس كذلك ، فإنه يرى الترقي يصحبه حيث كان من ذلك

الوجه الخاص الذي لا يعرفه إلا صاحب هذا الوجه ، فإذا أقاما في هذه السماء ما شاء الله وأخذا في الرحلة وودّع كلُ واحدٍ منهما نزيلَه وارتقيا في معراجِ الأرواحِ إلى السماء الثانية .

السماء الثانية :

فإذا قرَعا السماءَ الثانية وفُتحت لهما ، صعدا ، فنزل التابع عند عيسى عليه السلام وعنده يحيى ابن خالته ؛ ونزل صاحب النظر عند الكاتب ؛ فلما أنزله الكاتب عنده وأكرم مثواه اعتذر اليه ، وقال له : لا تستبطئني فإني في خدمة عيسى ويحيى عليهما السلام وقد نزل بهما صاحبك ، فلا بد لي من الوقوف عندهما حتى أرى ما يأمراني به في حق نزيلهما ، فإذا فرغت من شأنه رجعت اليك . . .

فأقام التابع عند ابنيّ الخالة ما شاء الله ، فأوقفاه على صحةِ رسالةِ المعلمِ رسول الله ﷺ بدلالة إعجاز القرآن ، فإنهما حضرة الخطابة والأوزان ، وحسن مواقع الكلام ، وامتزاج الأمور وظهور المعنى الواحد في الصور الكثيرة ، ويحصل له الفرقان في مرتبة خرق العوائد ، ومن هذه الحضرة يعلمُ عِلْمَ السيميا الموقوفة على العمل بالحروف والأسماء ، لا على البخورات والدماء وغيرهما ؛ ويعرف شرف الكلمات وجوامع الكلم وحقيقة كن واختصاصها بكلمة الأمر ، لا بكلمة الماضي ولا المستقبل ولا الحال ؛ وظهور الحرفين من هذه الكلمة مع كونها مركبة من ثلاثة ، ولماذا حذفت الكلمة الثالثة المتوسطة البرزخية التي بين حرف الكاف وحرف النون ، وهي حرف الواو الروحانية . . ويعلم سر التكوين من هذه السماء ، وكون عيسى يُحيي الموتى . . .

ومن هذه الأسماء يحصل لنفس هذا التابع الحياة العلمية التي يُحيى بها القلوب ، كقوله : ﴿ أو مَنْ كان ميتاً فأحييناه ﴾ .

ومن هذه الحضرة يكون الإمداد للخطباء والكتاب ، لا للشعراء . . ومن هنا تُعْلَم تقليبات الأمور ، ومن هنا تُوهَب الأحوال لأصحابها . . فإن العالم المحقق يقول بالسبب فإنه لا بد منه ، ولكن لا يقول بهذا الترتيب الخاص في الأسباب ؛ فعامّةُ هذا العلم إمّا ينفون الكل ، وإما يثبتون الكل ، ولم أر منهم من يقول ببقاء السبب مع نفي ترتيبه الزماني فإنه علمٌ عزيز يعلم من هذه السماء ، فما يكون عن سبب في مدة طويلة يكون عن ذلك السبب في لمح البصر . . .

فإذا حصّل التابع هذه العلوم وانصرف الكاتب الى نزيله ، وردّ النظر اليه ، أعطاه من العلم المودع في مجراه ما يعطيه استعداده مما له من الحكم في الأجسام التي تحته في العالم العنصري ، لا من أرواحه . فإذا كمل ، فذلك قراه يطلب الرحيل عنه ، فجاء الى صاحبه التابع وخرجا يطلبان السماء الثالثة ، وصاحب النظر بين يدي التابع مثل الخادم بين يدي مخدومه ، وقد عرف قدره ، ورتبة معلمه وما أعطاه من العناية إتّباعه لذلك المعلم .

السماء الثالثة :

فلما قرعا السماء الثالثة فتحت فصعدا فيها ، فتلقى التابع يوسف عليه السلام ، وتلقى صاحب النظر كوكب الزهرة فأنزلته وذكرت له ما ذكره مَنْ تقدم من كواكب التسخير ، فزاده ذلك غماً الى غمّه ، فجاء كوكب الزهرة الى يوسف عليه السلام وعنده نزيله وهو التابع ، وهو يلقى اليه ما خصّه الله به من العلوم المتعلقة بصور التمثل والخيال ، فإنه كان من الأئمة في علم التعبير . فأحضر الله بين

يديه الأرض التي خلقها الله من بقية طينة آدم عليه السلام ، وأحضر له سوق الجنة ، وأحضر له أجساد الأرواح النورية والنارية والمعاني العلوية . . . فأراه السنين في صور البقر ، وأراه خصبها في سمنها ، وأراه جدبها في عجافها ، وأراه العلم في صورة اللبن ، وأراه الثبات في الدين في صورة القيد ، وما زال يعلّمه تجسد المعاني والنِسبِ في صورة الحس والمحسوس ، وعرّفه معنى التأويل في ذلك كله ، فإنها سماء التصوير التام والنظام ، ومن هذه السماء يكون الامداد للشعراء والنظم والإتقان والصور الهندسية في الأجسام . . .

ومن الأمر الموحى من الله في هذه السماء حصل ترتيب الأركان التي تحت مقعّر فلك القمر ، فجعل ركن الهواء بين النار والماء ، وجعل ركن الماء بين الهواء والتراب ، ولولا هذا الترتيب ما صح وجود الاستحالة فيهن ، ولا كان منهن ما كان من المولّدات ، ولا ظهر في المولدات ما ظهر من الاستحالات ، فأين النطفة من كونها استحالة لحياً ودماً وعظاماً وعروقاً وأعصاباً .

ومن هذه السماء رتّب اللهُ في هذه النشأة الجسمية : الأخلاط الأربعة ، على التنظّم الأحسن والاتقان الابدع . . فانظر ما أتقن وجود هذا العالم كبيره وصغيره !

السماء الوسطى وهي الرابعة :

فإذا حصلا هذه العلوم هذان الشخصان ، وزاد التابع على الناظر بما أعطاه الوجه الخاص من العلم الإلهي ، كما اتفق في كل سماء لهما ؛ انتقلا يطلبان السماء الوسطى التي هي قلب السموات كلها .

فلما دَخَلاها تلقّى التابعَ ادريسُ عليه السلام وتلقّى صاحبَ النظرِ كوكبُ الشمس ، فجرى لصاحب النظر معه مثل ما تقدم ، فزاد غماً الى غمّه . فلما نزل التابع بحضرة ادريس عليه السلام علم تقليب الأمور الإلهية ، ووقف على معنى قوله عليه السلام : « القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن » ، وبماذا يقلبانه ، ورأى في هذه السماء غشيان الليل النهار ، والنهار الليل . . .

ويعلم من هذه السماء علم الغيب والشهادة ، وعلم الستر والتجلي ، وعلم الحياة والموت ، واللباس والسكن ، والمودة والرحمة ، وما يظهر من الوجه الخاص من الاسم الظاهر في المظاهر الباطنة ، ومن الاسم الباطن في الظاهر من حكم استعداد المظاهر ، فتختلف على الظاهر الأسماء لاختلاف الأعيان .

السماء الخامسة :

ثم رحلا يطلبان السماء الخامسة ، فنزل التابع بهرون عليه السلام ، ونزل صاحب النظر بالأحمر ، فاعتذر الأحمر لصاحبه ونزيله في تخلفه عنه مدة اشتغاله بخدمة هارون عليه السلام من أجل نزيله ، فلما دخل الأحمر على هارون وجد عنده نزيله وهو يباسطه ، فتعجب الأحمر من مباسطته ، فسأل عن ذلك : فقال انها سماء الهيبة والخوف والبأس ، وهي نعوت توجب القبض ، وهذا ضيف ورد من أتباع الرسول تجب كرامته ، وقد ورد يبتغي علماً ويلتمس حكماً إلهياً يستعين به على أعداء خواطره ، خوفاً من تعديّ حدود سيده فيما رسم له ، فاكشفُ له عن محيّاها ، وأباسطه حتى يكون قبوله لما التمسه على بسط نفس ، بروح قدس .

ثم رد وجهه اليه ، وقال له : هذه سماء خلافة البشر ، فضعف حكم إمامها وقد كان أصلها أقوى المباني ، فأمر باللين بالجبابرة الطغاة ، فقيل لنا « قُوْلا له قولاً ليناً . . . فانظر يا ولي ما أثرت مخاطبة اللين وكيف أثمرت هذه الثمرة ، فعليك أيها التابع باللين في الأمور ، فإن النفوس الأبية تنقاد بالاستمالة ، ثم أمره بالرفق بصاحبه صاحب النظر . . . ثم أمره أن يجمل ما تقتضيه سماؤه من سفك الدماء في القرابين والأضاحي . . . ثم خرج من عنده بخلعة نزيله وأخذ بيد صاحبه . .

السماء السادسة :

وانصرفا يطلبان السماء السادسة ، فتلقاه موسى عليه السلام ومعه وزيره البرجيس ، فلم يعرف صاحب النظر موسى عليه السلام ، فأخذه البرجيس فأنزله ، ونزل التابع عند موسى ؛ فأفاده اثنى عشر ألف علم من العلم الإلهي ، سوى ما أفاده من علوم الدور والكور . . .

وأعلمه أن التجلي الإلهي انما يقع في صور الاعتقادات وفي الحاجات ، فتحفظ ، ثم ذكر له طلبه النار لأهله فما تجلى له الا فيها ، إذ كانت عين حاجته ،فلا يرى إلا في الإفتقار ، وكل طالب فهو فقير الى مطلوبه ضرورة .

وأعلمه في هذه السماء خلع الصور من الجوهر وإلباسه صوراً غيرها ، ليعلمه أن الأعيان أعيان الصور لا تنقلب ، فإنه يؤدي الى انقلاب الحقائق ؛ وإنما الإدراكات تتعلق بالمدركات ، تلك المدركات لها صحيحة لا شك فيها ، فيتخيل من لا علم له بالحقائق أن الأعيان انقلبت وما انقلبت . . وهنا بحور طامية لا قعر لها ولا ساحل ، وعزة ربي لو عرفتم ما فهْتُ به في هذه الشذور لطربْتم طربَ الأبد ، ولخفتم الخوف الذي لا يكون معه أمْنٌ لأحد ، تَدَكْدُكُ الجبلِ : عينُ ثباته ؛ وإفاقة موسى : عين صعقته . .

أيها التابع المحمدي لا تغفل عما نبهتك عليه ، ولا تبرح في كل صورة ناظراً إليه ، فإن المجلى أجلى . ثم أخذ بيده البرجيس ، وجاء به الى صاحب النظر ، فعرفه ببعض ما يليق به مما علمه التابع من علم موسى بما يختص من تأثيرات الحركات الفلكية في النشآت العنصرية لا غير ، فارتحلا من عنده : المحمدي على رفرف العناية ، وصاحب النظر على براق الفكر . .

السماء السابعة :

ففتح لهما السماء السابعة ، وهي الأولى من هناك على الحقيقة ، فتلقاه ابراهيم الخليل عليه السلام ، وتلقى صاحب النظر كوكب كيوان ، فأنزله في بيت مظلم قفر موحش ، وقال له : هذا بيت أخيك ، يعني نفسه ، فكن به حتى آتيك فإني في خدمة هذا التابع المحمدي ، من أجل مَنْ نزل عليه وهو خليل الله .

فجاء [كيوان] اليه [إلى ابراهيم عليه السلام] فوجده مسنداً ظهره الى البيت المعمور ، والتابع جالسٌ بين يديه جلوسَ الإبنِ بينَ يديّ أبيه ، وهو يقول له : نِعْمَ الولد البار ، فسأله التابع عن الثلاثة الأنوار ، فقال : هي حجتي على قومي آتانيها الله عناية منه بي ، لم اقلْها إشراكاً لكن جعلتها حبالة صائد أصيد بها ما شرد من عقول قومي .

ثم قال له : أيها التابع ميّز المراتب ، واعرف المذاهب ، وكن على بينة من ربك في أمرك ، ولا

تهمل حديثك ، فإنك غير مهمل ولا متروك سدى ، إجعل قلبك مثل هذا البيت المعمور بحضورك مع الحق في كل حال ، واعلم أنه ما وسع الحق شيء مما رأيت سوى قلب المؤمن ، وهو : أنت .

فعندما سمع صاحب النظر هذا الخطاب،قال:يا حسرتي،على ما فرطت في جنب الله،وأن كنتُ لمن الساخرين؛ وَعَلِمَ ما فاته من الايمان بذلك الرسول واتّباع سنته ، ويقول : يا ليتني لم أتخذ عقلي دليلاً ، ولا سلكت معه الى الفكر سبيلاً ، وكل واحد من هذين الشخصين يدرك ما تعطيه الروحانيات العلى ، وما يسبح به الملأ الأعلى بما عندهما من الطهارة وتخليص النفس من أسر الطبيعة ؛ وارتقم في ذات نفس كل واحد منهما كل ما في العالم ، فليس يخبر إلا بما شاهده من نفسه في مرآة ذاته ؛ فحكاية الحكيم ، الذي أراد أن يري هذا المقام للملك ، فاشتغل صاحب التصوير الحسن بنقش الصور على أبدع نظام ، وأحسن اتقان ؛ واشتغل الحكيم بجلاء الحائط الذي يقابل موضع الصور ، وبينها ستر معلق مسدل ؛ فلما فرغ كل واحد من شغله وأحكم صنعته فيما ذهب اليه ، جاء الملك فوقف على ما صوّره صاحب الصور ، فرأى صوراً بديعة يبهرُ العقولَ حُسنُ نظمِها وبديعُ نقشها ، ونظر الى تلك الأصبغة في حسن تلك الصنعة ، فرأى أمراً هَالَه منظره ؛ ونظر الى ما صنع الآخر من صقالة ذلك الوجه فلم ير شيأ ، فقال له : أيها الملك صنعتي ألطف من صنعته ، وحكمتي أغمض من حكمته ، إرْفَع الستر بيني وبينه ، حتى ترى في الحالة الواحدة : صنعتي وصنعته ؛ فرفع الستر ، فانتقش في ذلك الجسم الصقيل جميع ما صوره هذا الآخر بألطف صورة ، مما هو ذلك في نفسه . فتعجب الملك ، ثم ان الملك رأى صورة نفسه وصورة الصاقل في ذلك الجسم ، فحار وتعجب ، وقال : كيف يكون هكذا ؟ فقال : أيها الملك ضربته لك مثلاً لنفسك ، مع صور العالم ، إذا أنت صقلت مرآة نفسك بالرياضات والمجاهدات حتى تزكو وأزلت عنها صدأ الطبيعة وقابلتَ بمرآةِ ذاتِك صورَ العالم ، انتقش فيها جميعُ ما في العالم كله ؛

والى هذا الحد ينتهي صاحب النظر ، واتباع الرسل وهذه الحضرة الجامعة لهما ، ويزيد التابع على صاحب النظر بأمور لم تنتقش في العالم جملة واحدة ، من حيث ذلك الوجه الخاص الذي لله في كل ممكن محْدَث مما لا ينحصر ولا ينضبط ولا يتصور ، يمتاز به هذا التابع عن صاحب النظر ؛

ومن هذه السماء يكون الاستدراج الذي لا يعلم ، والمكر الخفيّ الذي لا يشعر به . . .

ومن هذه السماء يعلم أن كل ما سوى الانس والجان سعيد لا دخول له في الشقاء الأخروي ، الانس والجان منهم شقي وسعيد . .

ومن هنا يُعرف تفضيل خلق الانسان وتوجه اليدين على خلق آدم دون غيره من المخلوقات ، ويعلم أنه ما ثم جنس من المخلوقات ، إلاّ وله طريقة واحدة في الخلق ، لم تتنوع عليه صنوف الخلق تنوعها على الإنسان ، فإنه تنوع عليه الخلق : فخلقُ آدم يُخالف خلقَ حواء ، وخلقُ حواء يخالفُ خلقَ عيسى ، وخلقُ عيسى يخالفُ خلقَ سائر بني آدم ، وكلهم انسان . .

فإذا علم هذه المعاني ، ووقف على أبوة الاسلام أراد صاحب النظر القرب منه ، فقال إبراهيم للتابع : من هذا الأجنبي معك ؟ فقال : هو أخي . قال : أخوك من الرضاعة ، أو أخوك من النسب ؟ فقال : أخي من الماء . قال : صدقت لهذا لا أعرفه . لا تُصَاحب إلا من هو أخوك من

الرضاعة ، كما أني أبوك من الرضاعة ، فإن الحضرة السّمَادية لا تقبل إلا إخوان الرضاعة وآباءها وأمهاتها ، فانها النافعة عند الله . ألا ترى العلم يظهر في صورة اللبن في حضرة الخيال ، هذا لأجل الرضاع .

وانقطع ظهر صاحب النظر لما انقطع عنه نَسَبُ أبوّة إبراهيم عليه السلام ، ثم أمره أن يدخل البيت المعمور ، فدخله ، دون صاحبه وصاحبه منكوس الرأس ثم خرج من الباب الذي دخل . .

آخر الدخان

ثم ارتحل [التابع] من عنده [من عند ابراهيم عليه السلام] يطلب العروج ومسك صاحبه [صاحب] النظر هنالك ، وقيل له : قف حتى يرجع صاحبك ، فإنه لا قدم لك هنا ، هذا آخر الدخان . فقال : أسلم ، وأدخل تحت حكم ما دخل فيه صاحبي . قيل له : ليس هذا موضع قبول الاسلام ، إذا رجعتَ الى موطنك الذي منه جئتَ أنتَ وصاحبُك ، فهناك إذا أسلمتَ وآمنتَ واتّبعت سبيل من أناب الى الله إنابة الرسل المبلّغين عن الله ، قُبلت كما قُبلَ صاحبك ؛ فبقي هنالك .

سدرة المنتهى :

ومشى التابع فبلغ به سدرة المنتهى ، فرأى صور أعمال السعداء من النبيين واتباع الرسل ، ورأى عمله في جملة أعمالهم ، فشكر الله على ما وفقه اليه من اتباع الرسول المعلم .

وعاين هنالك أربعة انهار: منها نهر كبير عظيم ، وجداول صغار تنبعث من ذلك النهر الكبير ، وذلك النهر الكبير تتفجّر منه الأنهار الكبار الثلاثة ، فسأل التابع عن تلك الأنهار والجداول، فقيل له: هذا مثل مضروب أقيم لك ، هذا النهر الأعظم هو : القرآن ، وهذه الثلاثة الأنهار : الكتب الثلاثة التوراة والزبور والانجيل ، وهذه الجداول : الصحف المنزلة على الأنبياء ؛ فَمَنْ شرب من أيّ نهر كان أو أيّ جدول ، فهو لِمَنْ شرب منه وارثٌ ، وكلّ حقّ فإنّه كلام الله ؛ والعلماء ورثة الأنبياء بما شربوا من هذه الأنهار والجداول ، فاشرعْ في نهر القرآن تفزْ بكل سبيل للسعادة ، فإنه نهر محمد ﷺ ، الذي صحت له النبوة وآدم بين الماء والطين ، وأوتِيَ جوامع الكلم ، وبُعِثَ عامة ، ونُسِخت به فروع الأحكام ، ولم ينسخ له حكم بغيره .

وانظر إلى حُسْن النور الذي غشي تلك السدرة . . . وإليها تنتهي أعمال بني آدم السعداية ، وفيها مخازنها الى يوم الدين ، وهنا أول أقدام السعداء ؛ والسماء السابعة التي وقف عندها صاحبك ، منتهى الدخان . .

منازل السائرين :

ثم قيل لهذا التابع إرْقَ ، فَرَقى في فلك المنازل ، فتلقاه من هنالك من الملائكة والأرواح الكوكبية ، ما يزيد على ألف وعشرات من الحضرات ، تسكنها هذه الأرواح .

فعاين منازل السائرين الى الله تعالى بالأعمال المشروعة ، وقد ذكر من ذلك الهروى في جزء له ، سماه : منازل السائرين ، يحتوي على مائة مقام ، كل مقام يحتوي على عشرة مقامات ، وهي : المنازل . وأما نحن فذكرنا من هذه المنازل في كتاب لنا ، سميناه : مناهج الارتقاء ، يحتوي على

ثلاثمائة مقام ، كـل مقام يحتـوي على عشـرة منازل ، ففيـه ثلاثـة آلاف منزل . فلم يـزل [التابـع] يقطعها ، منزلة منزلة ، بسبب حقائق هـو عليها ، كـما يقطع فيهـا السبع الـدراري ، ولكن في زمان أقرب ، حتى وقف على حقائقها بأجمعها ؛ وقد كان أوصاه ادريس بذلك .

فلما عاين كل منزل منها رآها ، وجميع ما فيها من الكواكب تقطع في فلك آخر فوقهـا ، فطلب الإرتقاء فيه ليرى ما أودع الله في هذه الأمور ، من آلايات والعجـائب الدالّـة على قدرته وعلمـه ، فعندما حصل على سطحه حصل في الجنة الدهماء .

الجنة الدهماء :

فرأى ما فيها مما وصف الله في كتابه من صفة الجنات ، وعاين درجاتهـا وغرفهـا ، وما أعـدَّ الله لأهلهـا فيها ؛ ورأى جنتـه المخصوصـة به ، واطّـلع عـلى جنـات الميـراث ، وجنـات الاختصـاص ، وجنات الأعمال . . .

المستوى الأزهى :

فلما بلغ من ذلك أمنيته ، رقى به الى المستوى الأزهى والستر الأبهى ، فرأى صور آدم وبنيه السعداء ، من خلف تلك الستور . فعلم معناها وما أودع الله من الحكمة فيها ، وما عليها من الخِلَع التي كساها بني آدم ، فسلّـمتْ عليه تلك الصور فرأى صورته فيهنّ ، فعانقها وعانقته ، واندفعتْ معه الى المَكَانةِ الزلفى ،

المكانة الزلفى :

فدخل فلك البـروج الذي قـال الله فيه ، فـأقسم بـه:﴿ والسماء ذات البروج ﴾ [/] فعلم أن التكوينات التي تكون في الجنان من حركة هذا الفلك ، وله الحركة اليـومية في العـالم الزمـاني ، كما أن حركة الليل والنهار في الفلك الذي فيه جرم الشمس . . .

فيعلم التابع من هذه الحضرة التكوينات الجنانية ، وجميع ما ذكرناه . وأمـا صاحب النـظر رفيق التابع فما عنده خبر بشيء من هذا كله ، لأنه تنبيه نبويّ ، لا نظر فكري ؛ وصاحب النـظر مقيد تحت سلطان فكره ، وليس للفكر مجال إلا في ميدانه الخاص به ؛ وهو معلوم بين الميادين . فإنه لكل قوة في الانسان ميدان يجول فيه لا يتعداه ، ومهما تعدت ميدانها وقعت في الغلط والخطأ ، ووصفت بالتحريف عن طريقها المستقيم ، وقد يشهد الكشف البصري بما تعثر فيه الحجج العقلية ، وسبب ذلك خروجها عن طورها . فالعقول الموصوفة بالضلال إنما أضلتها أفكارها ، وانما ضلّـت أفكارها لتصـرفها في غـير موطنها . . .

الكرسي :

ثم يخرج بالتابع مع حامله الى الكرسي ؛ فيرى فيه انقسام الكلمة التي وصفت قبل وصـولها الى هـذا المقام بـالوحـدة ؛ ويرى القـدمين اللتين تدلتا اليه ، فيتكبّ من ساعتـه الى تقبيلهـا : القـدم الواحدة ، تعطي ثبوت أهل الجنات في جناتهم ، وهي : قدم الصدق . والقدم الأخرى تعطي ثبـوت أهل جهنم في جهنم على أي حالة أراد ، وهي : قدم الجبروت . .

فيعرف التابع من هذا المقام ما لكل دارٍ ؛ ثم إنه يفارق هذا الموضع ويُزَجُّ به في النور الأعظم فيغلبه الوجد .

النور الأعظم : حضرة الأحوال :

وهذا النور ، هو : حضرة الأحوال ، الظاهر حكمها في الأشخاص الانسانية . وأكثر ما يظهر عليهم في سماع الألحان .

الرحمة العامة : العرش :

ثم يخرج من ذلك النور الى موضع الرحمة العامة التي وسعت كل شيء ، وهو المعبّر عنه : بالعرش ، فيجد هنالك من الحقائق الملكية إسرافيل وجبريل وميكائيل ورضوان ومالك ، ومن الحقائق الملكية البشرية : آدم وابراهيم ومحمداً سلام الله عليهم . فيجد عند آدم وإسرافيل علم الصور الظاهرة في العالم المسماة : أجساماً وأجساداً وهياكل ، سواء كانت نورية أو غير نورية ، ويجد عند جبريل ومحمد عليهما السلام علم الأرواح المنفوخة في هذه الصور التي عند آدم وإسرافيل ، فيقف على معاني ذلك كله ، ويرى نسبة هذه الأرواح الى هذه الصور وتدبيرها إياها . . .

ويعلم من هذه الحضرة علم الأكاسير ، التي تَقْلب صور الأجساد بما فيه من الروح ، وينظر الى ميكائيل وابراهيم عليهما السلام فيجد عندهما علم الأرزاق ، وما يكون به التغذي للصور والأرواح . . . ثم ينظر الى رضوان ومالك فيجد عندهما علم السعادة والشقاء والجنة ودرجاتها وجهنم ودركاتها ، وهو : علم المراتب في الوعد والوعيد ، ويعلم حقيقة ما تعطي كل واحدة منها . وإذا علم هذا كله علم العرش وحَمَلَتِه وما تحت إحاطته ، وهو منتهى الأجسام وليس وراءه جسم مركب ذو شكل ومقدار .

معراج ثان معنوي

فإذا علم هذا كله عرج به معراجاً آخر معنوياً في غير صورة متخيلة ، الى مرتبة المقادير . فيعلم منها كميات الأشياء الجسمية وأوزانها في الأجسام المقدرة ، من المحيط الى التراب ، وما فيهن وما بينهن من أصناف العالم ، الذين هم عُمّار هذه الأمكنة ، ثم ينتقل الى علم الجوهر المظلم الكل . . ثم ينتقل من هذا المقام الى حضرة الطبيعة البسيطة . . .

اللوح المحفوظ :

ثم ينتقل من النظر في ذلك الى شهود اللوح المحفوظ ، وهو الموجود الانبعاثي عن القلم ، وقد رقم الله فيه ما شاءه من الكوائن في العالم . فيعلم هذا التالي لما في هذا اللوح علم : القوتين ، وهما علم العلم وعلم العمل . .

القلم الأعلى :

ثم ينتقل هذا التابع من هذا المقام الى مشاهدة القلم الأعلى ، فيحصل له من هذا المشهد علم الولاية . ومن هنالك هو ابتداء مرتبة الخلافة والنيابة ، ومن هناك دونت الدواوين وظهر سلطان

مِعراج معنوي لابن عربي

[الفتوحات المكية ج ٣ ص ص ٣٤٥ - ٣٥٠]

فلمّا أرادَ اللهُ أن يُسري بي ليُريني من آياتِه في أسمائِه من أسمائي ، وهو حظُّ ميراثِنا من الاسراءِ ، أزالني عن مكاني ، وعَرَجَ بي على بُراقِ إمكاني ، فَزَجَّ بي في أركاني ، فلم أرَ أرضي تصحبُني ، فقيل لي : أخذهُ الوالدُ الأصلي ، أل خلقَه اللهُ من تراب .

فلما فارقتُ ركنَ الماءِ فقدتُ بَعضي ، فقيل لي : إنّكَ مخلوقٌ من ماءٍ مَهين ، فإهانتُه ذَلّتْهُ فَلَصِقَ بالتراب ، فلهذا فارقتَهُ . فنقصَ مني جزآن .

فلما جئتُ ركنَ الهواءِ تغيّرتْ عليَّ الأهواء ، وقال لي الهواء : ما كان فيكَ منّي ، فلا يزولُ عنّي ، فإنّه لا ينبغي له أن يَعدو قدرَه ، ولا يمدَّ رجلَه في غير بساطه ، فإنَّ لي عليكَ مطالبة بما غَيّرَهُ مني تعفينُك ، فإنه لولاه ما كنتُ مسنوناً ؛ فإنّي طيبٌ بالذاتِ خبيثٌ بصحبةِ مَنْ جاورني ، فلما خَبّثني صحبتهُ ومجاورتُه ، قيل فيه : حمأ مسنون ، فعاد خبثُه عليه فإنّه هو المنعوت . فقلتُ له : ولماذا أتركه عندك ؟ قال : حتى يزولَ عنه هذا الخبثُ الذي اكتسبه من عفونتك ، ومجاورةِ طينِكَ ومائك . فتركتُه عنده .

فلما وصلتُ إلى ركنِ النّار ، قيل : قد جاءَ الفخار ؛ فقيل : وقد بُعثَ اليه ؟ قال : نعم ؛ قيل : ومَنْ معه ؟ قال : جبريلُ الجبر ، فهو مضطر في رحلته ، ومفارقةِ بُنيتِهِ ؛ فقال لي : عنده في نشأتِه جزءٌ مني لا أتركه معه ، إذ قد وصلَ الى الحضرةِ التي يظهرُ فيها مُلكي واقتداري ، ونفوذُ تصرّفي .

السماء الأولى :

فنفذتُ إلى السماءِ الأولى ، وما بَقِيَ معي من نشأتي البدنيةِ شيءٌ أعوِّلُ عليه ولا أنظرُ إليه ؛ فسلّمتُ على والدي ، وسألني عن تربتي ، فقلت له : إن الأرضَ أخذت مني جزأها . وحينئذٍ خرجتُ عنها ، وعن الماءِ بطينتي ، فقال لي : يا ولدي هكذا جَرى لها مع أبيك ، فمَنْ طلبَ حقَّه فما تعدّى ؛ ولا سيما وأنت لها مُفارق ، ولا تعرفُ هل ترجع إليها أم لا ، فإنّه تعالى يقول : ﴿ إذا شاءَ أَنْشَرَه ﴾ [عبس / ٢٢] ولا يعلمُ أحدٌ ما في مشيئةِ الحق ، إلا أن يُعْلِمَهُ الحقُّ بذلك .

فالتفتُ فإذا أنا بينَ يديه ، وعن يمينهِ من نِسَم بنيه ، عَيْني . فقلتُ لـه : هذا أنـا . فضحكَ ؛ فقلتُ له : فأنّـا بينَ يديـك وعَنْ يمينك ؟ قـال : نعم ، هكذا رأيتُ نفسي بـينَ يديّ الحق حـين بَسَطَ يده ، فرأيتُني وبنيَّ في اليد ، ورأيتُني بينَ يديه ؛

فقلتُ له : فما كـانَ في اليدِ الأخرى المقبوضـة ؟ قال : العـالَم . قلت له : فيمينُ الحقِ تقضي بتعيينِ السعادةِ ؟ فقال : نعم ، تقضي بالسعادة . فقلت له : فقد فَرّق الحقُّ لنا بين أصحابِ اليمين وأصحابِ الشمال ؟ . . . فقال لي : يا ولـدي ذلكَ يمـينُ أبيكَ وشمـاله ، ألا تـرى نِسَمَ بنيَّ على يميني وعلى شمالي ، وكلتا يديّ ربّي يمينٌ مباركة . فبنيَّ في يميني وفي شمالي ، وأنا وبنيَّ في يمين الحقِ ، وما سِـوانا من العَـالَم في اليد الأخرى الالهيـة ؛ قلت : فـاذن لا نشقى ؟ فقـال : لـو دامَ الغضبُ لـدامَ الشقاء ، فالسعادةُ دائمةٌ وان اختلفَ المَسْكن ، فانّ الله جاعلٌ في كلّ دارٍ ما يكون به نعيمُ أهلِ تلكَ الدار ، فلا بُدَّ من عمارةِ الدارين ؛ وقد انتهى الغضب في يوم العرض الأكبـر ، وأمر بـإقامة الحدود فأقيمت ، وإذا أقيمت زال الغضب . . . فلم يبق إلا الرضا وهو الرحمة التي وسعت كـل شيء ، فإذا انتهت الحدود صار الحكم للرحمة العامة في العموم .

فـأفادني أبي آدم هـذا العلم ولم أكن به خبيـراً . . . فأفـاد هذا الشهـود بقاء أحكـام الاسـماء في الاسماء ، لا فينا .

السماء الثانية :

ثم رحلت عنه بعدما دعا لي ، فنزلت بعيسى عليه السلام في السماء الثانية ، فوجدت عنـده ابن خالته يحيى عليهما السلام . . . فسلمت عليهما ، فقلت له : بماذا زدت علينا حتى سَمّـاكَ الله بـالروح المضاف الى الله ؟ فقال : ألم تر الى مَنْ وهبني لأمي ؟ ففهمت ما قال . فقال لي : لولا هذا ما أحييت الموتى . فقلت له : فقد رأينا من أحيا الموتى ممن لم تكن نشأته كنشأتك . فقـال : ما أحيـا الموتى من أحياهم إلا بقدر ما ورثه عني ، فلم يقم في ذلك مقامي ؛ كما لم أقم أنا ، مقـام مَنْ وهبني ، في احياء الموتى . . .

ثم رددتُ وجهي الى يحيى عليه السلام ، وقلت له : أُخبرتُ أنـكَ تذبـحُ الموتَ إذا أتى الله بـه يـوم القيامـة ، فيوضـع بين الجنـة والنار ليـراه هؤلاء وهؤلاء ، ويعرفـون أنه المـوت ؛ في صورة كبش أملح ؟ قـال : نعم ولا ينبغي ذلك إلا لي ، فـإني يحيى وإن ضدي لا يبقى معي ، وهي دار الحيـوان فلا بد من إزالة الموت ، فلا مزيل له سواي .

فقلت له : صدقت فيما أشرت إليّ بـه ، ولكن في العالم يحيى كثير ؟ فقال لي : ولكن لي مـرتبة الأولية في هذا الاسم ، فبي يحيى كـل من يحيَ من النـاس . . . وان الله مـا جعل لي من قبـل سميا ؛ فكل يحيَ تَبَعٌ لي ، فبظهوري لا حكم لهم . فنبهني على شيء لم يكن عندي . فقلت : جزاكَ الله عني خيراً من صاحب موروث .

وقلت : الحمد لله الذي جمعكما في سماء واحدة ، أعني روح الله عيسى ويحيى عليهما السـلام ، حتى أسألكما عن مسئلة واحدة فيقع الجواب بحضور كل واحد منكما ؛ فإنكما خصصتما بسـلام الحق ، فقيل في عيسى انه قال في المهد ﴿ والسـلام على يـوم ولدت ويـوم أموت ويـوم أبعث حيا ﴾ [مـريم /

قال : وفي الأصول مشروع ، فإن الله أجلّ من أن يكلف نفساً إلا وسعها .

قلت : فلقد كثر الاختلاف في الحق والمقالات فيه . قال : لا يكون إلا كذلك ، فإن الأمر تابع للمزاج ، قلتُ : فرأيتكم معاشر الأنبياء ما اختلفتم فيه . فقال : لأنّا ما قلناه عن نظر ، وإنما قلناه عن ال واحد ، فمَنْ عَلِمَ الحقائق علم أن اتفاق الأنبياء أجمعهم على قولٍ واحد في الله ، بمنزلة قول واحد من أصحاب النظر .

قلت : فهل الأمر في نفسه كما قيل لكم ، فإن أدلة العقول تحيل أموراً مما جئتم به في ذلك ؟ فقال : الأمر كما قيل لنا وكما قال من قال فيه ، فإن الله عند قول كل قائل ، ولهذا ما دعونا الناس إلاّ إلى كلمة التوحيد ، لا الى التوحيد . . . .

قلت : فاني رأيت في واقعتي شخصاً بالطواف اخبرني أنّه من أجدادي ، وسمّى لي نفسه ، فسألته عن زمان موته ، فقال : لي أربعون ألف سنة ؛ فسألته عن آدم لّما تقرر عندنا في التاريخ لمدته ، فقال لي : عن أي آدم تسأل ، عن آدم الأقرب ؟ فقال [ادريس عليه السلام] : صدق اني نبي الله ولا أعلم للعالم مدة نقف عندها بجملتها ، إلا أنه بالجملة لم يزال خالقاً ولا يزال دنيا وآخرة ، والآجالُ في المخلوقِ بانتهاءِ المدد ، لا في الخلق ؛ فالخلق مع الانفاس يتجدد ؛ فما أَعْلِمْنَاه عَلِمْنَاه ، ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . ﴾

فقلت له : فما بقي لظهور الساعة ؟ فقال ﴿ اقتربَ للناسَ حسابهم ، وهم في غفلة معرضون ﴾ قلت : فعرفّني بشرط من شروط اقترابها ؟ فقال : وجود آدم من شروط الساعة . قلت : فهل كان قبل الدنيا دار غيرها ؟ قال : دار الوجود واحدة ، والدار ما كانت دنيا إلاّ بكم ، والآخرة ما تميّزتْ عنها إلاّ بكم .

قلت : فأين الخطأ من الصواب ؟ قال : الخطأ أمر اضافي والصواب هو الأصل ، فمن عرف الله وعرف العالم عرف أن الصواب هو الأصل المستصحب ، الذي لا يزال . وان الخطأ بتقابل النظرين ، ولا بد من التقابل فلا بد من الخطأ . . .

قلت : من أي صفة صدر العالم ؟ قال : من الجود . . . . قلت : وإلى ماذا يكون المآل بعد انتقالنا من يوم العرض ؟ قال : رحمة الله وسعت كل شيء . . . ثم ودعته وانصرفت .

السماء الخامسة

فنزلت بهارون عليه السلام ، فوجدت يحيى قد سبقني اليه . فقلت له : ما رأيتك في طريقي ، فهل ثَمَّ طريق أخرى ؟ فقال : لكل شخص طريق لا يسلك عليها إلا هو . قلت : فأين هي هذه الطرق ؟ فقال : تَحْدُث بحدوث السلوك .

فسلمت على هارون عليه السلام فردّ وسهّل ورحّب ، وقال : مرحباً بالوارث المكمل . قلت : أنت خليفة الخليفة مع كونك رسولاً نبياً ؟ فقال : أما أنا فنبي بحكم الأصل ، وما أخذت الرسالة إلا بسؤال أخي ، فكان يوحى إلي بما كنت عليه .

قلت : يا هارون إن ناساً من العارفين زعموا أن الوجود ينعدم في حقهم فلا يرون إلا الله ولا يبقى للعالم عندهم ما يلتفتون به اليه في جنب الله ، ولا شك أنهم في المرتبة دون أمثالكم ، وأخبرنا

الحق أنك قلت لأخيك في وقت غضبه ، ﴿فلا الأصل: لا] تشمّت بي الأعداء﴾ [الأعراف / ١٥٠] فجعلتَ لهم قدراً ، وهذا حال يخالف حال أولئك العارفين ؟ فقال : صدقوا فإنهم ما زادوا على ما أعطاهم ذوقهم ، ولكن انظر هل زال من العالم ما زال عندهم ؟! قلت : لا . قال : فنقصهم من العلم بما هو الأمر عليه على قدر ما فاتهم ، فعندهم عدم العالم . فنقصهم من الحق على قدر ما انحجب عنهم من العالم . فإن العالم كله هو عين تجلي الحق لمن عرف الحق . . .

السماء السادسة

ثم ودعته ونزلتُ بموسى عليه السلام فسلّمت عليه فردّ وسهّل ورحّب ، فشكرته على ما صنع في حقنا مما اتفق بينه وبين نبينا محمد ﷺ في المراجعة في حديث فرض الصلوات ؛ فقال لي : هذه فائدة علم الذوق ، فللمباشرة حالٌ لا يُدرك الا بها . قلت : ما زلتَ تسعى في حق الغير حتى صحّ لك الخير كله . قال : سعْي الانسان في حق الغير انما يسعى لنفسه في نفس الأمر ، فما يزيده ذلك إلا شكر الغير . فالساعي ذاكر لله بلسانه ولسان غيره ، قال الله تعالى لموسى عليه السلام : يا موسى اذكرني بلسان لم تعصني به ، فأمره أن يذكره بلسان الغير . .

ثم قلت له : ان الله اصطفاك على الناس برسالته وبكلامه ، وأنت سألت الرؤية ، ورسول الله ﷺ ، يقول : إن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت . فقال : وكذلك كان ، لما سألته الرؤية ، أجابني ، فخررت صعقاً فرأيته تعالى في صعقتي ، قلت : موتاً ؟ قال : موتا .

قلت : فإن رسول الله ﷺ شكَّ في أمرك إذا وجدك في يوم البعث ، فلا يدري أجوزيت بصعقة الطور فلم تصعق في نفخة الصعق ، فإن نفخة الصعق ما تعم . فقال : صدقت ، كذلك كان ، جازاني الله بصعقة الطور فما رأيته تعالى حتى مت ، ثم أفقت ، فعلمت مَنْ رأيت ولذلك قلت : تبت اليك ، فإني ما رجعت الا اليه .

فقلت : أنت من جملة العلماء بالله ، فما كانت رؤية الله عندك ـ حين سألته اياها ؟ فقال : واجبة وجوباً عقلياً .

قلت : فبماذا اختصصت به دون غيرك ؟ قال : كنت أراه وما كنت أعلم أنه هو ، فلما اختلف عليّ الموطن ورأيته ، علمتُ مَنْ رأيت ، فلما أفقت ما انحجبت ، واستصحبتني رؤيته الى أبد الأبد ؛ فهذا الفرق بيننا وبين المحجوبين عن علمهم بما يرونه . . .

قلت : فلو كان الموت موطن رؤيته لرآه كل ميت ، وقد وصفهم الله بالحجاب عن رؤيته . قال : نعم هم المحجوبون عن العلم به انّه هو ، وإذا كان في نفسك لقاء شخص لست تعرفه بعينه ، وأنت طالب له من إسمه وحاجتك اليه ، فلقيته وسلمت عليه وسلم عليك ، في جملة من لقيت ، ولم يتعرّف اليك ، فقد رأيته وما رأيته ؛ فلا تزال طالباً له وهو بحيث تراه ، فلا معول إلا على العلم ؛ ولهذا قلنا في العلم ، انه عين ذاته ·

قلت : ان الله دلّك على الجبل وذكر عن نفسه أنه تجلّى للجبل ، فقال : لا يثبت شيء لتجليه ، فلا بد من تغير الحال ، فكان الدك للجبل كالصعق لموسى : يقول موسى : فالذي دكّه أصعقني ،

فهرست

الموضوع	الصفحة

الاهداء ٥

مقدمة المحققة ٧

١ ـ التعريف بمؤلف « الاسرا » محيي الدين بن عربي ١٠

٢ ـ رموز المعراج النبوي ١٩

٣ ـ المعراج الصوفي ٢٨

٤ ـ كتاب « الاسرا الى المقام الاسرى » ٣٤

٥ ـ النسخ المعتمدة ٤١

٦ ـ المنهج المتبع في التحقيق ٤٣

كتاب الاسرا الى المقام الأسرى

مقدمة المؤلف ٤٩

القسم الأول ٥٥

١ ـ باب سفر القلب ٥٧

٢ ـ باب عين اليقين ٦١

٣ ـ باب صفة الروح الكلي ٦٣

٤ ـ باب الحقيقة ٦٥

٥ ـ باب العقل والأهبة للاسراء ٦٨

٦ ـ باب النفس المطمئنة والبحر المسجور ٧١

هذا الكتاب

- في هذا الكتاب يحملنا معه الشيخ الاكبر، محيي الدين بن عربي، على أجنحة الصحبة وعلى هجعة من الحواس، في منامٍ يوقظ عالم نورٍ وعرفان .. منام يحيي حروفاً تقادمت في النصوص، وتنتظر ان تولد في الوجدان.
- ومعراج ابن عربي في رؤيا منامية الى السموات السبع فما فوقها، وسماعه الخطاب الالهي دون أيّ تشريع، ليس ببعيدٍ عقلاً ولا شرعاً .. رجالٌ استقاموا في يقظتهم وطهّروا أعماقهم، فاكرمهم الله عز وجلّ بأن تتنفّس أرواحهم في منامها من جبل الدنيا والبدن، وتحلّق في آفاقِ السما، والارض وتشاهد عالم ملك وملكوت؛ ثم ترجع مطمئنّة لتدخل في ابدانهم الطاهرة.
- ابن عربي عالم اسلامي كبير، الفقيه يتمتع بخفايا اشاراته الفقهية، والكلاميّ يجد عنده دقائق عقائدية، والصّوفي لا يشبع من فتوحاته ومشاهداته .. وأي إنسان دخل عالم ابن عربي لم يعد يستمتع بقراءة من عداه، لانه جمع أركان تكوين المفكّر الكبير، الاسلوب، العلم، الجدّة، الجرأة.

المحقّقة

دندرة للطباعة والنشر

To: www.al-mostafa.com